المختار

فى أجمل ما روى من

«قصص، وحكم، وأشعار»

جمال سيد أحمد الدقناوى

مكتبة الإيمان ـ المنصورة
ت/ ٢٥٧٨٨٢

مكتبة الإيمان - المنصورة
أمام جامعة الأزهر
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذى هدانا بالإسلام إلى خير الطريق ، ونجانا بالإيمان من كل كرب ، وضيق وأنزل فينا القرآن ليكون خير رفيق : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٣ ، ١٢٤].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . جعل من الأخبار عظة ، ومن القصص حكمة وعبرة ، فقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [يوسف : ١١١] . وقال : ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود : ١٢٠] .

وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ ما كان ينطق عن الهوى ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٤] أتاه الله جوامع الكلم ، ومنحه البيان والحكم ، ولقد قال ﷺ : « إن من الشعر لحكمة » (١) .

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، وأتباعه وأحبابه ، ومن كان أولى به ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعـــد :

فإن النفس البشرية ـ بطبيعة حالها ـ تَمَلُّ وتسأم ، وتشتاق إلى طرائف الحديث ، وإلى جميل الحكم ، وبديع القصص ، كما تحتاج إلى المواعظ الحسان ، وإلى رقائق الأشعار التى تحمل العظة والاعتبار ، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن من البيان سحرا ، وإن من العلم جهلا ، وإن من الشعر حكما ، وإن من القول عيالا » (٢) .

وعن سعيد بن المسيب قال : « مر عمر بحسان وهو ينشد فى المسجد فلحظ إليه ، فقال : كنت أنشد وفيه من هو خير منك فأجازه عمر للإنشاد فى المسجد لما أجازه

(١) رواه البخارى عن أبى بن كعب . (٢) صحيح رواه أبو داود .

النبى ﷺ » .

وقال محمد بن إسحاق : لما نزلت ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُون ﴾ [الشعراء : ٢٢٤] جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون قالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء ، فتلا النبى ﷺ : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات ﴾ قال : « أنتم » ﴿ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً ﴾[الشعراء : ٢٢٧] قال: « أنتم » ﴿ وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ [الشعراء :٢٢٧] قال: «أنتم»(١).

ـ وقد أردت فى هذا الكتاب أن أجمع بعضا مما تأنس به النفس وترتاح إليه الروح من قصص الصالحين ، وأشعار الزاهدين ، وحكم المتقين ، وأيضا بعض الطرائف والفكاهات ، وما تيسر من معلومات فى شتى نواحى الدين ، وقد أسميته « المختار . . فى أجمل ما روى من قصص وحكم وأشعار » .

وقد قسمته إلى أبواب حتى يسهل للقارئ الكريم الاستدلال على ما يرغبه من قصة أو حكمة أو أبيات شعر ، وراعيت فى كل باب أن أبدأه بذكر خبر عن النبى ﷺ فى نفس موضوع الباب ؛ لأنه هو القدوة الصالحة والأسوة الحسنة ﷺ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] مع ذكر تخريج هذا الخبر وبيان مصدره ، وكذلك القصص التى تضمنها هذا الكتاب فقد راعيت ذكر المراجع والكتب التى انتقيتها منها وكلها كتب مشهورة ومعلومة .

يقول ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: القلوب تَـمَـلُّ كما تَـمَـلُّ الأبدان فاطلبوا لها طرائف الحكم .

وقال الزهرى : كان رجل يجالس أصحاب رسول الله ﷺ ويذاكرهم ، فإذا ثقل عليه الحديث قال : إن الأذن مجاجة ألا فهاتوا لها من أشعاركم وحديثكم هذا .

* * *

هذا وأود أن أحيطك علما أخى القارئ ـ قبل مطالعتك هذا الكتاب ـ أن القرآن

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسير سورة الشعراء وقال : رواه ابن أبى حاتم، وابن جرير من رواية ابن إسحاق .

الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة قد أغنانا الله بهما عما سواهما ، فلا نستغنى بالقصص والآثار عن الصحيح من أحاديث النبى المختار ، ولا نتعلق بالشعر والأبيات ونترك الآيات البينات كما فعل بعض الصوفية ، وأسأل الله عز وجل أن ينفعنا بهذا الكتاب ، فإن ما كان فيه من خير وحق فهو من فضل الله وتوفيقه ،وما كان غير ذلك فهو من النفس والهوى والشيطان . . كما أسأله أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور أبصارنا ، وجلاء همنا وحزننا . . . إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المؤلف

جمال سيد أحمد الدقناوى

البـــاب الأول :

الثقـــة باللـــه

١ ـ قال أبو جهل : هل يُعفّر محمد وجهه بين أظهركم ـ أى يسجد ؟ قالوا : نعم. فقال : واللات والعزى لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبته ـ أضع قدمى ـ ولأعفرن وجهه فى التراب ، وعلم النبى ﷺ بذلك فلم يخف من تهديد أبى جهل ، وصلى كما كان يصلى ، فأتى ـ أبو جهل ـ رسول الله ﷺ وهو يصلى ليطأ على رقبته، فما فجأهم ـ أدهشهم ـ منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه ، فقيل لأبى جهل: مالك ؟ فقال : رأيت بينى وبينه خندقا من نار وأجنحة وأهوالا عظاما ، فقال رسول الله ﷺ: « لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا » فأنزل الله عز وجل : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق: ٩ـ١٤] (١) .

٢ ـ لما انتهى النبى ﷺ هو وأبو بكر الصديق إلى الغـــار ـ أثناء الهجـــرة ـ قـــال أبو بكر: والله لا تدخله حتى أدخله قبلك فإن كان فيه شىء أصابنى دونك ، فدخل فكسحه ، ووجد فى جانبه ثقبا فشق إزاره وسدها به ، وبقى منها اثنان فألقمهما رجليه، ثم قال لرسول الله ﷺ : ادخل فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه فى حجره ونام ، فلدغ أبو بكر فى رجله من الجحر ، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ فقال : «مالك يا أبا بكر ؟» قال : لدغت فداك أبى وأمى ، فتفل رسول الله ﷺ ، فذهب ما يجده (٢) .

(١) مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ / ٦٥٧ سورة العلق ، وقد ورد نحو هذا فى الرحيق المختوم ص ٨٢ .
(٢) رواه رزين عن عمر بن الخطاب،ومشكاة المصابيح باب مناقب أبى بكر ٥٥٦/٢ ،والرحيق المختوم:ص١٣٦ .

وقد وصل المطاردون ـ من كفار قريش ـ إلى باب الغار ، ولكن الله غالب على أمره ، روى البخارى عن أنس عن أبى بكر قال : كنت مع النبى ﷺ فى الغار فرفعت رأسى ، فإذا أنا بأقدام القوم ، فقلت: يانبى الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا ، قال: «اسكت يا أبا بكر ، اثنان الله ثالثهما »، وفى لفظ :« ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»(١) . فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠] .

٣ ـ جاء رجل إلى أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ فقال : يا أبا الدرداء، أدرك دارك فقد احترقت ، فقال : ما احترقت لأنى سمعت النبى ﷺ يقول : « من قال حين يصبح هذه الكلمات : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ، ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، أعلم أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما ، إن ربى على صراط مستقيم ، لم يصبه فى نفسه ولا أهله ولا ماله شىء يكرهه » وقد قلتها اليوم ، ثم قال للجالسين حوله : انهضوا بنا ، فقام وقاموا معه فانتهوا إلى داره وقد احترق ما حولها ولم يصبها شىء (٢) .

٤ ـ قال ابن إسحاق : لما أراد قوم إبراهيم عليه السلام إلقاءه فى النار ، كانوا يجمعون الحطب شهرا حتى إذا كثر الحطب وجمعوا منه ما أرادوا أشعلوا النار فى كل ناحية بالحطب ، فاشتعلت النار حتى إن كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها ، ثم عمدوا إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ، ثم اتخذوا منجنيقا بإشارة إبليس ـ لعنه الله تعالى ـ حيث لم يتمكنوا من إلقائه فى النار من شدة

---

(١) صحيح البخارى : ٧ / ٣٦٥٣ وأطرافه ٣٩٢٢ ، ٤٦٦٣ .

(٢) أنيس المؤمنين : ٨٨ ، ومفاتيح الفرج : ١٢٩ ، ومن وصايا الرسول : ٨٥٤ وصية ٣٣ وقال: رواه ابن السنى .

حرها، فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيدا مغلولا ، فضجت السموات والأرض والجبال ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين ضجة واحدة وقالوا : أى ربنا إبراهيم ليس فى أرضك أحد يعبدك غيره يحرق فى النار فأذن لنا فى نصرته ، فقال الله تعالى لهم : إن استعان بشىء منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت لكم فى ذلك وإن لم يدع غيرى فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى وبينه ، فلما أرادوا إلقاءه فى النار أتاه ملك المياه فقال : إن أردت أخمدت النار فإن خزائن المياه والأمطار بيدى ، وأتاه خازن الرياح فقال : إن شئت طيرت النار فى الهواء ، فقال إبراهيم عليه السلام : لا حاجة لى إليكم فاستقبله جبريل: عليه السلام فقال : يا إبراهيم ألك حاجة ؟ قال: أما إليك ، فلا. قال جبريل فاسأل ربك ، فقال إبراهيم عليه السلام : حسبى من سؤالى علمه بحالى.. حسبى الله ونعم الوكيل ، عندئذ قال الله تعالى للنار: ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (١) [الانبياء : ٦٩] ، كما روى البخارى عن ابن عباس أنه قال «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقى فى النار وقالها محمد ﷺ حين قيل له: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾الآية» [آل عمران : ١٧٣، ١٧٤] .

٥ ـ قال البخارى وهو يحدثنا عن ثقة السيدة هاجر عليها السلام فى ربها « . . ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل ـ وهى ترضعه ـ حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء فوضعهما هناك ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا فى هذا الوادى الذى ليس به أنيس ولا شىء ؟ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا ثم رجعت . . » (٢) .

---

(١) ذكره النيسابورى فى قصص الأنبياء المسمى بالعرائس : ٧٧ ، كما ذكر ابن كثير نحوه فى قصص الأنبياء: ١١٣ غير أنه لم يذكر نزول ملك الريح وذكر نزول ملك المطر ونزول جبريل عليه السلام على سيدنا إبراهيم عليه السلام .

(٢) رواه البخارى موصولا(٣١٨٤)قال: حدثنى عبد الله بن محمد ، ورواه أحمد (٣٢٤٠) حدثنا عبد الرزاق .

٦ - لما ركب فرعون فى جنوده طالبا بنى إسرائيل يقفو أثرهم ، كان فى جيش كثيف عرمرم ، حتى قيل كان فى خيوله مائة ألف فحل أدهم ، وكانت عدة جنوده تزيد على ألف ألف وستمائة ألف ، وكان بين خروجهم من مصر بصحبة موسى عليه السلام ودخولهم إليها بصحبة أبيهم إسرائيل أربعمائة سنة وستا وعشرين سنة ، ولحقهم فرعون بجنوده فأدركهم عند شروق الشمس وتراءى الجمعان ولم يبق ثم ريب ولا لبس وعاين كل من الفريقين صاحبه ولم يبق إلا المقاتلة والمجادلة ، فعندها قال أصحاب موسى وهم خائفون : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء : ٦١] وذلك لأنهم اضطروا فى طريقهم إلى البحر فليس لهم طريق ولا محيد إلا سلوكه وخوضه ، والجبال عن يسرتهم وعن أيمانهم وهى شاهقة ، فشكوا إلى نبى الله ماهم فيه مما قد شاهدوه وعاينوه ، فقال لهم موسى عليه السلام: ﴿ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين ﴾ [الشعراء : ٦٢] عند ذلك أوحى الحليم العظيم القدير إلى موسى الكليم ﴿ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء : ٦٣] فأنجى الله موسى وأغرق فرعون وفى ذلك يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَىٰ (٧٧) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ [طه : ٧٧ - ٧٩] (١) .

٧ - إن العالم الزاهد الإمام أبا الحسن بن سنان رضى الله عنه دخل على حاكم مصر أحمد بن طولون ذات يوم وقال له : يا ابن طولون اتق الله ؟ فعجب الجالسون حوله واستشاط ابن طولون غضبا وبعد ذلك قال لحرسه : جوعوا له الأسد ثلاثة أيام ، فجوع الأسد حتى اشتد به الجوع وكاد أن يأكل كل ما أمامه من بشر أو حيوان ولو كان خشبا أو حجرا وأدخلوا العالم قبل الأسد فى حجرة ليخلو به الأسد الجائع ، وجاء حارس الأسد بالأسد وأدخله على العالم أبى الحسن وأغلق الباب عليهما ليخلو الأسد بفريسته ، وبعد يوم أراد الحارس أن يرفع تقريرا إلى الأمير ففتح الباب على الأسد وظن أنه سيجد بقايا العالم من دم وعظام ولكنه رأى العالم ساجدا لله تعالى والأسد

(١) قصص الأنبياء/ ابن كثير : ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

واقف فى حراسته لم يمسه بسوء ، والعابد يقول فى سجوده : سبحان ربى الأعلى ، والأسد مطأطئ رأسه لربه الأعلى فرفع الحارس ما شاهده إلى الأمير ، فقال الأمير : ائتونى بهذا العالم فجيء به ودخل على الأمير مرفوع الرأس عزيزا بالله ، فقال له الأمير: كيف حالك؟ فقال له : حالى بخير كما ترانى ، قال له الأمير : كيف كان شعورك عندما دخل الأسد عليك ؟ فقال له العالم : كنت أقرأ قول الله تعالى : ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور :٨]، فقال له الأمير : فماذا كنت تخاف والأسد معك ؟ فقال له العالم : كنت أخاف أن يمسنى الأسد بلعابه فينجس ثوبى فلا أستطيع الصلاة ، وبعد ذلك شكره الأمير وعفا عنه وقبل نصيحته وأطلق سراحه [١] .

٨ ـ روى أن حاتم الأصم قال لأولاده : إنى أريد الحج فبكوا وقالوا : إلى من تكلنا ـ تتركنا ـ وكان له بنت فقالت : دعوه يذهب فليس برازق ، فخرج فباتوا جياعا فجعلوا يوبخون تلك البنت فقالت : اللهم لا تخجلنى بينهم ، فمر بهم أمير البلد فقال لبعض أصحابه : اطلب لى ماء ، فناوله أهل حاتم كوزا جديدا وماءًا باردا فشرب فقال: دار من هذه ؟ فقالوا : دار حاتم الأصم فرمى فيها منطقة من ذهب وقال : من أحبنى وافقنى فرمى العسكر ما معهم من المال فى هذا الإناء فجعلت البنت تبكى ، فقالت أمها : ما يبكيك وقد وسع الله علينا؟. فقالت : لأن مخلوقا نظر إلينا فاغتنينا ، فكيف لو نظر الخالق إلينا ؟ [٢] .

٩ ـ قال آدم بن أبى إياس رحمه الله : كنت بعسقلان وكان يغشانا شاب ويجالسنا ويتحدث معنا ، فإذا فرغنا قام إلى الصلاة يصلى ، وذات يوم ودعنا وقال: أريد الإسكندرية فخرجت معه فناولته دراهم فأبى أن يأخذها ، فألححت عليه فألقى كفا من الرمل فى ركوته واستقى من ماء البحر ، فقال لى كلمة ، فنظرت فإذا هم سويق وسكر كثير ، فقال لى : من كان حاله مثل هذا لا يحتاج إلى دراهمك ، ثم أنشأ يقول :

ليس فى القلب والفؤاد جميعا ... موضع فارغ لغير الحبيب

(١) أنيس المؤمنين : ٨٥ .

(٢) من وصايا الرسول : ٦٩٦ الوصية : ٢٩ .

هـو سؤلـى ومنيتى ومـرادى ... وبه ما حييت عيشى يطيـب
فإذا ما السقام حـل بقلـبى ... لم يكن غيره لسقمى طبيب (١)

١٠ ـ خرج رجل للجهاد فى سبيل الله وترك زوجته وأولاده ، وإذا ببعض النسوة من ضعاف الإيمان يقلن للزوجة : أيتها الأم المسكينة من يقوم على عيالك ، ويرعى أولادك إذا قدر الله على زوجك الموت وكتب له الشهادة ؟ !! فما كان من هذه المرأة المؤمنة إلا أن صرخت فيهن قائلة فى ثقة وإيمان واطمئنان: « إنى أعرف زوجى أكالا ولم أعرفه رزاقا ، فإذا مات الأكال بقى الرزاق » (٢) .

١١ ـ قال بعض الصالحين : كنت فى البادية فتقدمت القافلة ، فرأيت قدامى شخصا فسارعت حتى أدركته فإذا هى امرأة بيدها عكاز وهى تمشى الهوينا ، فظننت أنها أعيت فأدخلت يدى فى جيبى وأخرجت لها عشرين درهما وقلت: خذيها وامكثى حتى تلحقك القافلة فتكترى بها ثم ائتينى الليلة حتى أصلح أمرك فقامت ـ لوحت ـ بيدها فى الهواء هكذا فإذا فى كفها دنانير من الغيب ثم أنشدت تقول :

توكل على الرحمن تحظى برفده ... وكـن واثقا منه يرزقك بالفعل
وسلم إلى مـولاك أمرك إنـه ... سيكفيك أسباب الكريهة والثقـل
ومن يتوكل فى الأمور جميعها ... على الله يحظى بالتباشر والفضل (٣).

١٢ ـ قال ابن عباد الصيرفى البغدادى : بينما إذ نائم إذا قيل لى فى المنام : يا ابن عباد قم فأغث الملهوف ، فقلت : وأين هو ؟ فقيل لى : اركب دابتك فهو حيثما وقفت ، قال : فانتبهت من نومى وركبت دابتى وجعلت أتخلل أزقة بغداد حتى انتهيت إلى مسجد فوقفت الدابة ونزلت عنها ، ودخلت المسجد فإذا برجل مستقبل القبلة فسلمت عليه وقلت : ما قضيتك ؟ . قال : إنى رجل ذو عيال ولم يكن عندهم شىء فجلست ها هنا وطلبت من الله الفرج قال : فأعطيته مائة دينار وقلت له : أنا ابن عباد الصيرفى فإذا احتجت إلى شىء فائتنى ، فقال : سبحان الله . . أترك الذى أقامك من

(١) الروض الفائق : ١٤٦ .
(٢) مائة قصة : ٥٠ .
(٣) الروض الفائق : ٢١٦ .

فراشك وأتى بك إلى فى ظلمة الليل وأذهب إلى غيره ؟!! فودعته وانصرفت (١) .

*** وفى الثقة بالله أنشد أحد الشعراء (٢) :**

ياصاحب الهم إن الهم منفرج ... أبشر بخير فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه ... لا تيأسن فإن الكافى الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة ... لا تجزعن فإن الصانع الله
وإذا بليت فثق بالله وارض به ... إن الذى يكشف البلوى هو الله
والله ما لك غير الله من أحد ... فحسبك الله فى كل لك الله

وقال آخر :

كن عن همومك معرضاً ... وكل الأمور إلى القضا
وانعم بطول سلامة ... تسليك عما قد مضى
فلربما اتسع المضيق ... وربما ضاق الفضا
ولرب أمر مسخط ... لك فى عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء ... فلا تكن متعرضا

وقال آخر :

دع المقادير تجرى فى أعنتها ... ولا تبيتن إلا خالى البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها ... يغير الله من حال إلى حال

وقال آخر :

لا الأمر أمرى ولا التدبير تدبيرى ... ولا الشئون التى تجرى بتقديرى
لى خالق رازق ما شاء يفعل بى ... أحاط بى علماً من قبل تصويرى

وقال آخر :

لما علمت بأن قلبى فارغ ... ممن سواك ملأته بهداك
وملأت كلى منك حتى لم أدع ... منى مكاناً خالياً لسواك

(١) من وصايا الرسول : ٦٩٦ .

(٢) بعض هذه الأشعار ذكر دون اسم صاحبه والبعض نسب لأكثر من واحد ، لذا ذكرناه دون اسم صاحبه .

وقال آخر :

قصدت باب الرجا والناس قد رقدوا وبت أشكو إلى مولاى ما أجـد
فقلت: يا أمــــلى فى كـــل نائبة يَا مَنْ عليه لكشف الغـم أعتمدُ
أشـــكو إليك أمـوراً أنت تعلمهـا ما لى على حملها صبر ولا جلد
لـــقد مددت يـــدى بالذل مفتقراً إليك يا خير من مُدتْ إلـيه يـدُ
فـــلا تردنهــــا يارب خـائبة فبحر جودك يروى كل مَنْ يـردُ

* * *

الباب الثانى :

الخوف من الله

١ ـ قال رسول الله ﷺ: « كان رجل لم يعمل حسنة قط قال لأهله : إذا مت فأحرقونى ثم اطحنونى ثم ذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر فو الله لئن قدر الله عليه أى حكم عليه ليعذبنه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين ، فلما مات الرجل فعلوا به ما أمرهم : فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر أن يجمع ما فيه ، ثم قال : لم فعلت هذا ؟ قال: من خشيتك يارب وأنت أعلم ، فغفر الله تعالى له »(١) .

٢ ـ كان النبى ﷺ ـ وهو الذى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ـ إذا وقف يصلى يسمع لدمعه وقع كوقع المطر ، وكان إذا تغيرت الريح تغير وجهه ﷺ ويتردد خارجاً وداخلاً خوفاً على أمته من عذاب الله تعالى . كما ورد عنه أنه قال: « ما جاءنى جبريل قط إلا وهو يرعد فزعاً من الجبار عز وجل » (٢) .

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم :٦] تلاها رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه فخر فتى مغشياً عليه . . فوضع النبى ﷺ يده على فؤاده فإذا هو يتحرك : فقال رسول الله ﷺ :« يا فتى قل لا إله إلا الله » فقالها . . فبشره بالجنة : فقال أصحابه : يا رسول الله أمن بيننا ؟ قال :« أوما سمعتم قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾» [إبراهيم :١٤] (٣) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) من وصايا الرسول : ٥٦٥ الوصية ٢٤ .

(٣) رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٤ ـ روى فى الخبر أن عيسى عليه السلام مر بقرية وفى تلك القرية جبل وفى الجبل بكاء وانتحاب كثير ، فقال لأهل القرية ما هذا البكاء وهذا الانتحاب فى هذا الجبل ؟ قالوا: يا عيسى منذ سكنا هذه القرية نسمع هذا البكاء وهذا الانتحاب بهذا الجبل. فقال عيسى عليه السلام : يارب ائذن لهذا الجبل أن يكلمنى ؟ فأنطق الله الجبل، فقال : يا عيسى ، ما أردت منى ؟ قال :أخبرنى ببكائك وانتحابك ماهو ؟ قال: يا عيسى أنا الجبل الذى كانت تنحت منى الأصنام التى يعبدونها من دون الله فأخاف أن يلقينى الله تعالى فى نار جهنم ، فإنى سمعت الله يقول : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤] ، فأوحى الله إلى عيسى عليه السلام أن قل للجبل: اسكن فإنى قد أعذته من جهنم (١) .

٥ ـ روى أن داود عليه السلام كان إذا عوتب فى كثرة بكائه يقول : «دعونى أبكى قبل خروج يوم البكاء ، وقبل انحراق العظام ، واشتعال الحشا ، وقبل أن يؤمر بى ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (٢) .

٦ ـ كان إبراهيم ـ الخليل ـ عليه السلام يُسمع لقلبه أزيز إذا وقف يصلى كحس الرجل ، وكان كثير البكاء وفى هذا يقول الله تعالى :﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود :٧٥] ، فأتاه جبريل عليه السلام وقال له : الجبار يقرئك السلام ويقول لك : هل رأيت خليلاً يخاف خليله؟ . . فقال : يا جبريل إذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى (٣) .

٧ ـ بكى شعيب عليه السلام حتى ذهب بصره فرده الله عليه فبكى مرة أخرى حتى ذهب بصره ، فأوحى الله تعالى إليه : يا شعيب ما هذا البكاء؟. إن كان خوفاً من نارى فقد أمنتك منها : وإن كان شوقاً إلى جنتى فقد أبحتك إياها ، فقال : وعزتك وجلالك يارب ما بكائى شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من نارك ، ولكن عقد حبك فى قلبى عقدة لا يحلها إلا النظر إلى وجهك الكريم، فقال الله تبارك وتعالى : إذا كان ذلك إلى وجهى لأبعثن إليك عاجلاً عبداً من عبادى يخدمك عشر سنين ثم أجعله كليماً (٤) .

---

(١) تنبيه الغافلين : ٢٧٩ . (٢) من وصايا الرسول : ٥٦٤ .

(٣) قصص الأنبياء للنيسابورى :٧٢ ، كما ورد فى وصايا الرسول : ٥٦٤ .

(٤) الروض الفائق : ٩٩ ، وذكره ابن كثير فى « قصص الأنبياء » : ١٧٣ برواية أخرى عن شداد بن أوس عن النبى ﷺ مرفوعاً .

٨ ـ روى أن أبا بكر الصديق ﵁ وهو الذى قال الرسول ﷺ: فى شأنه «لو وضع إيمان أبى بكر فى كفة، وإيمان الأمة فى كفة لرجح إيمان أبى بكر» كان أشد الناس خوفاً من الله وأكثرهم مراقبة له وكان يقول: « لو كانت إحدى رجلى فى الجنة والأخرى على بابها ما أمنت من مكر الله » .

٩ ـ وكان سيدنا عمر بن الخطاب ﵁ ـ وهو الذى أعز الله به الإسلام ـ دائم البكاء من خشية الله تعالى ، حتى كان يرى على وجهه خطان أسودان من كثرة انحدار الدموع ، وكنت تشم من فمه رائحة الكبد المشوى من شدة الخوف من الله .

وقرأ ـ عليه رضوان الله ـ أى عمر ـ ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١] فلما بلغ ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ١٠] خر مغشياً عليه . . . وسمع مرة أخرى قارئاً يقرأ فى سورة الطور فوقف ، فلما بلغ قوله تعالى :﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ [الطور : ٧، ٨] استند إلى الحائط ساعة وذهب إلى منزله : فمرض شهراً والناس لا يدرون ما سبب مرضه (١) .

١٠ ـ كان زين العابدين بن الحسين ﵁ إذا توضأ اصفر لونه ، وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة ـ اضطراب وارتعاش ـ فقيل له فى ذلك ، فقال : ويحكم أتدرون بين يدى من أقوم ولمن أريد أن أناجى ؟

ووقع حريق فى بيته وهو ساجد ، فجعلوا يقولون له : يا ابن رسول الله . . النار النار فما رفع رأسه ، فقيل له فى ذلك ـ وقد انطفأت النار ـ فقال : ألهتنى عنها النار الكبرى (٢) .

١١ ـ قال يحيى بن بسطام: دخلت يوماً مع نفر من أصحابنا على«عفيرة » العابدة الضريرة وقد تعبت وتعبدت ربها كثيراً وبكت خوفاً من الله جل شأنه حتى عميت ، فقال بعض أصحابنا لرجل إلى جنبه: ما أشد العمى على من كان بصيراً . فسمعت «عفيرة » قوله فقالت: يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا، وإنى لوددت أن الله وهب لى كنه محبته وإن لم يبق منى جارحة إلا أخذها (٣) .

---

(١) من وصايا الرسول : ٥٦٥ .
(٢) الرياض الندية : ٦٥ .
(٣) أنيس المؤمنين : ١١٤ .

١٢ ـ قال منصور بن عمار ـ رحمه الله : حججت سنة من السنين فنزلت سكة من سكك الكوفة فخرجت فى ليلة مظلمة مدلهمة ، وإذا بصارخ يصرخ فى جوف الليل وهو يقول : إلهى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك ولقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بمكانك جاهل ولكن خطيئتى عرضت لى وسولت لى نفسى وأعاننى عليها شقائى فغرنى سترك المرخى على فعصيتك بجهلى وخالفتك لشقوتى ، فمن عذابك من يستنقذنى ، وبحبل من اعتصم إن قطع حبلك عنى ، واحسرتاه إذا قيل للمخفين من الذنوب جوزوا ، وللمثقلين حطوا أترانى مع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط ، ويلى كلما كبر سنى كثرت ذنوبى ، ويلى كم أتوب وكم أدعو ، أما آن لى أن أستحى من علام الغيوب ؟! ثم قال :

يـارب أنت أمــرتنى ونهــيتنى ... وأريتنى طـرق الضـلالة والـهدى
وعلـمت أنى لا أفـر مــن الـذى ... قـدرت لى إن كان خيرا أو ردى
وسلكت بى ماشئت للشىء الذى ... فى الخلق ما أخفيته عنهم سـدى
فاقبل بفضلك توبتى لك مخـلصا ... وارحم فإنى قد بسطت لك اليـدا
واصفح عن العبـد الذى يا سيدى ... قد جـاء معترفا وعـــاش موحـدا

قال منصور : فبكيت لما سمعت كلامه ، وقرأت قوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر : ٥٣] قال : فسمعت دكدكة عظيمة واضطرابا ثم انقطع الحس ، فلما أصبحت مررت على الباب فرأيت جنازة رجل . . . وامرأة تدخل وتخرج وهى تقول : يا بنى يا قتيل القرآن يا بنى يا قتيل الخوف من الرحمن ، فدنوت منها وقلت: يا أمة الله : من هذا الميت ؟ فقالت : ولدى وقرة عينى كان يعمل الخوص فينفق على ثلثا، وثلثا يأكله ، وثلثا يتصدق به ، فمر به رجل الليلة فقرأ عليه آية من كتاب الله فمات . . فما حيلتى !! (١) .

١٣ ـ بينما كان أحد الصالحين يمشى ذات يوم من الأيام فوجد رجلا يشوى لحما فى

(١) الروض الفائق : ١٦٥ ، وذكرت بصيغة أخرى فى من وصايا الرسول : ١١٦ .

النار فبكى الرجل الصالح ، فقال له الشواء : ما يبكيك ؟ هل أنت محتاج للحم ؟ فقال الرجل الصالح : لا ، فقال له الشواء : إذن فما يبكيك ؟ فقال الرجل الصالح : إنما أبكى على ابن آدم يدخل الحيوان النار ميتا وابن آدم يدخلها حيا [١] .

١٤ ـ قال رجل لبعض الصالحين : أوصنى . . قال : يا أخى . . إن استطعت أن تكون كرجل احتوشته السباع والهوام فهو خائف أن يغفل فتفترسه السباع ، أو تنهشه الهوام ، فهو خائف حذر وجل القلب ، فهو فى الخوف فى ليله وإن أمن المغترون ، وفى الحزن فى نهاره وإن فرح البطالون . . فقال: زدنى رحمك الله . . قال : يا أخى ، الظمآن يجزيه من الماء يسيره [٢] .

١٥ ـ قال ذو النون المصرى رحمه الله : مررت يوما ببعض الأسواق فرأيت جنازة محمولة يحملها أربع أنفس وليس معها أحد فقلت: والله لأكونن خامسهم لأنال الأجر والثواب، فلما أتوا الجبانة قلت:يا قوم أين ولى هذا الميت فيصلى عليه،فقالوا: يا شيخ كلنا فى الأمر سواء ليس منا أحد يعرفه ، فتقدمت وصليت عليه وأنزلناه فى لحده وحثونا عليه التراب ، فلما هموا بالانصراف قلت لهم : ما شأن هذا الميت ؟ فقالوا : لا نعرف خبره غير أن امرأة اكترتنا ـ استأجرتنا ـ لنحمله إلى هذا المكان وهى لا حقة بنا الآن . . . فبينما نحن فى الحديث إذ جاءت امرأة عليها سيما الخير والصلاح باكية العين حزينة القلب ، فلما وقفت على القبر كشفت وجهها ونشرت شعرها ورفعت يدها إلى السماء وهى تتضرع وتقول كلاما وتدعو ساعة ثم سقطت إلى الأرض مغشيا عليها ، ثم أفاقت بعد ذلك وهى تضحك ، فقلت لها: أخبرينى عن خبرك وخبر هذا الميت ، وكيف الضحك بعد ذلك البكاء الشديد؟ فقالت : من أنت ؟ فقلت : ذو النون ، فقالت: والله لولا أنك من أعيان الصالحين لما أخبرتك ، هذا ولدى وقرة عينى ، كان تائها بشبابه لابسا ثياب أعجابه ، لم يدع سيئة إلا ارتكبها ولا معصية إلا سعى إليها وطلبها ، وقد بارز مولاه العلام بالمعاصى والآثام فحصل له ذات يوم ألم ، فلما عاين

(١) أنيس المؤمنين : ٨٤ . (٢) من وصايا الرسول : ٥٦٦ .

الموت قال: يا أماه سألتك بالله إلا ما قبلت وصيتى ، إذا أنا مت فلا تعلمى بموتى أحدا من أصحابى وإخوانى ، ولا من أهلى وجيرانى فإنهم لا يترحمون على لسوء فعلى وكثرة ذنوبى وجهلى ثم بكى وقال :

لــى ذنوبى شغــــلتنى … عــن صيامــى وصــلاتــى
تركــت جسمى عـــليلا … مــــــات من قبل وفاتى
ليتـــنى تــبت لـــــربى … مــــن جـميع السيئـــات
أنــا عــبد يــا إلـــهى … هائم فـــــى الفلـــوات
بحــت جــهرا بعيـوبى … وذنـوبى قـــــاتـــلاتى
قــد تــوالت سيئــاتى … وتـــلاشــــت حسنــاتى

ثم بكى وقال: يا أماه . . آه على ما فرطت فى جنب الله . . آه على قلبى ما أقساه . . بالله عليك يا أماه إذا أنا مت فضعى خدى على الأرض والتراب ، وضعى قدمك على الخد الآخر وقولى هذا جزاء عبد عصى مولاه وخالفه وترك أمره ، واتبع هواه فإذا دفنتينى فارفعى يدك إلى الله عز وجل وقولى: اللهم إنى رضيت عنه فارض عنه ، فلما مات فعلت به جميع ما أوصانى به فلما رفعت رأسى إلى السماء سمعت صوتا بلسان فصيح : انصرفى يا أماه فقد قدمت على رب كريم غير غضبان على، فلما سمعت ذلك ضحكت(١) .

* وفى الخوف من الله يقول أحد الشعراء :

إلــهى لا تعـــذبنى فـإنى … مقـــر بالـــذى قد كــــان منى
فكم من زلة لى فى الخطايا … وأنت علــــىَّ ذو فضـــل وَمَنّ
إذا فكرت فى نـدمى عليـها … عضضت أناملى وقرعت سنى
وبين يَدَىَّ محتبس طـــويـل … كــأنى قـــد دعيــت له كـأنى
أجن بزهرة الدنيا جـــنونـا … وأفنى العـــمر منهـا بالتمـــنى
فما لى حيلـة إلا رجــــائى … بعفوك إن عفوت وحسن ظنــى
يظــن الناس بى خيرا وإنى … لشر الخلق إن لــم تعـف عنى (٢)

(١) الروض الفائق : ١٨ ، ١٩ .

(٢) نسبت هذه القصيدة للإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . انظر ديوان على : ١٠٨ .

وقال آخر :

حاسبت نفسى لم أجد لـى صالحا إلا رجـائى رحمـة الرحمن
ووزنت أعمالى علـىَّ فلـم أجد فـــى الأمر إلا خفـة الميزان
وظلمت نفسى فى أمورى كـلها ويحـــى إذا مـن وقفة الديان
يــا أيها الإخــوان إنى راحـل مهما يطل عمرى فـإنى فـان
يارب إن لم تـرض إلا ذا تـقى من للمسـىء المـذنب الحـيران
نوح الحمام على الغصون شجانى ورأى العزول صبـابتى فبكـانى
نوح الحمام ينوح من ألم النوى وأنا أنـوح مخـافة الـديـان
يـا واحدا فى ملكه مـاله ثانى يا من إذا قلت يـا مولاى لبانـى
أنســى وتذكرنى فى كــل نائبة فكيف أنساك يا من لست تنسانى؟

وقال آخر :

بكت عينى وحق لهـا بكـاها على نفسى التى عصت الإلها
ومـن أولى بطول الحزن منها وبالآثـام قـد قطعت مـداها
فلا تقوى تصد عن المعاصـى ولا تخشى الإلـه ولا تناهى
تتوب من الإساءة فى صبـاح وتنقض قبل أن يـأتى مساها
فتنكث عهـدها حينا فحينـا كأن اللــه أبدا لا يراهـا
وتبعد عن حقوق الله عمـداً وتبغى دائـما ما قد شقاها

وقال آخر :

أما واللـه لو علـم الأنـام لما خلقوا ما هجعوا وناموا
لقـد خلقـوا لأمـر لو رأته عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات ثـم قـبر ثـم حشـر وتـوبيخ وأهـوال عظـام
ليوم الحشر قد عملت رجال فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نُهـينا كـأهل الكهف أيقاظ نيام

وقال آخر :

يا نفس توبى فإن المـوت قد حانــا ... واعص الهوى فالهوى ما زال فتانـا
فى كـل يوم لـنـــا ميـت نشيعه ... ننسى بمصرعه آثـار مـــوتانا
يا نفس مـالـى وللأمـوال أكنزهـا ... خلفى وأخرج من دنيــاى عريانا
مــا بالنا نتعامى عـــن مصارعـنا ... ننســى بغــفلتنا مـن ليس ينسانا
فكم رأينا أناسا صـالحـين قضــوا ... موتا وقـد سلبوا ديــنا وإيمــانا
واستبدلوا الكفـر بالإيمان وانفصلوا ... بســوء خـــاتمة لـلموت أعيانا
أين الملوك وأبنـاء الملــوك ومـــن ... كانت تخر له الأذقـــان إذعـــانا؟
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا ... مستبدليـن مـن الأوطـان أوطانا
أخلوا منازلا كـــان العز مفــرشها ... واستفرشـــوا حفــرا غبرا وقيعانا
يا راكــدا فى ميادين الهــوى مرحا ... ورافلا فى ثيـــاب الغــى نشوانا
مضى الزمان وولى العمر فى لعـب ... يكفيك ما قد مضى قد كان ما كانا

وقال آخر :

يا رب قد تبت فاغفر زلتى كرمـا ... وارحم بعفوك من أخطأ ومن ندما
لا عدت أفعل ما قد كنت أفعــله ... عمرى فخذ بيدى يا خير من رحما
هذا مقام ظلـوم خائـف وجـل ... لـم يظلم الناس لكن نفسه ظلما
فاصفح بعفوك عمن جاء معتذرا ... واغفر ذنوب مسىء طالما اجـترما

وقال آخر :

تذكر وقوفك يوم العرض عريانا ... مستوحشا قلـق الأحـشـــاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... على العصاة ورب العــرش غضــبانا
اقرأ كتابك يا عبدى على مهـل ... فهـل ترى فيــه حرفا غـــير ما كانا؟
فلما قرأت ولــم تنكر قراءتــه ... وأقررت إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتى ... وامضوا بعبد عصى للـنـار شيــطانا
المجرمون غدا فى النـار يلتهبون ... والمسلمون لـــدار الخلــد سـكانا

١٦ ـ يقول الأصمعى ـ رحمه الله ـ ذهبت لأطوف بالكعبة ليلا فسمعت شابا يقول هذه الأبيات :

ألا أيها المقصود فى كل وجهـــة شكوت إليك الضر فارحــــم شكايتى
ألا يا رجائى أنت تكشف كربتى فهب لى ذنوبى [1] كلها واقض حاجتى
أتيت بأعمال قــباح رديئــــــة وما فى الورى عبد جـــنى كجنايتــى
أتحرقنى بالنار يـــا غاية المنــى فأين رجائـــى؟ ثم أين مخـــافتى؟

ثم سقط مغشيا عليه . . فدنوت منه ، فإذا هو زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله عنهم أجمعين ، فرفعت رأسه فى حجرى وبكيت ، فقطرت دمعة على خده، فلما أفاق قال : من هذا الذى يهجم علينا ؟ فقلت : أنا الأصمعى ، وسألته عن سبب بكائه وقلت له : لم تبكى وأنت من أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة الذين قال فيهم الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] فقال : يا أصمعى . . إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا ، وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا ، أليس الله تعالى يقول: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١، ١٠٢] أليس رسول الله ﷺ يقول : « إنى لأخوفكم من الله وأشدكم له خشية» [2] ثم قال وهو يبكى : أنسيت يا هذا أن النبى ﷺ قال لابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها : « اعملى فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا » [3] .

١٧ ـ حكى أن رجلا تعلق قلبه بامرأة بدوية ذهبت إلى حاجة لها ، فتبعها . . فلما خلا بها فى البادية والناس نيام حولها راودها عن نفسها . . فقالت له : انظر . . أنام الناس جميعا ؟ ففرح الرجل وظن أنه قد أجابته ، فقام وطاف حول مضارب الحى، فإذا الناس نيام ، فرجع إليها وأخبرها ، فقالت له : ما تقول فى الله تعالى ؟ . . أنائم

---

(١) هب لى ذنوبى : أى تجاوز عنها بكرمك .
(٢) حديث حسن .
(٣) أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

هو فى هذه الساعة ؟ فقال الرجل : إن الله لا ينام ، ولا تأخذه سنة ولا نوم. . فقالت المرأة : إن الذى لم ينم، ولا ينام يرانا . . وإن كان الناس لا يروننا فذلك أولى أن يخاف . . فاتعظ الرجل وتركها ، وتاب خوفا من الله تعالى . . ولما مات رئى فى المنام . . فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى لخوفى منه ، وتوبتى إليه (١) .

* * *

(١) « من وصايا الرسول » .

الباب الثالث :

أجمل ما روى عن معرفة الله

١ ـ جاء ناس من اليهود إلى النبى ﷺ فقالوا : صف لنا ربك ، فإن الله أنزل نعته فى التوراة ، فأخبرنا من أى شىء هو؟ ، ومن أى جنس هو؟ ، أذهب هو أم نحاس أم فضة ؟ وهو يأكل ويشرب وممن ورث الدنيا ومن يورثها ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص] (١) .

٢ ـ عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة فى صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس ، فخرج رسول الله ﷺ سريعا فثوب بالصلاة ، وصلى وتجوز فى صلاته ، فلما سلم قال : « كما أنتم على مصافكم » ثم أقبل إلينا فقال : « إنى سأحدثكم ما حبسنى عنكم الغداة . . إنى قمت من الليل فصليت ما قدر لى ، فنعست فى صلاتى حتى استثقلت ، فإذا أنا بربى عز وجل فى أحسن صورة ، فقال : يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ـ الملائكة ؟ قلت: لا أدرى رب ، قال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت: لا أدرى رب . . قال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت: لا أدرى رب ، فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله فى صدرى ، وتجلى لى كل شىء وعرفت ، فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : فى الكفارات والدرجات . . قال: وما الكفارات ؟

(١) مختصر تفسير الطبرى مذيلا بأسباب النزول للنيسابورى : تفسير سورة الإخلاص .

قلت: نقل الأقدام إلى الجمعات ، والجلوس فى المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء عند الكريهات . . قال : وما الدرجات ؟ قلت : إطعام الطعام ، ولين الكلام، والصلاة والناس نيام . . قال : سل . . قلت : اللهم إنى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى وترحمنى ، وإذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون ، وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربنى إلى حبك» . . وقال رسول الله ﷺ : « إنها حق فادرسوها وتعلموها » (١) .

٣ ـ قيل لأبى بكر الصديق رضى الله عنه : يا أبا بكر بم عرفت ربك ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : عرفت ربى بربى ، ولولا ربى ما عرفت ربى ، فقيل له : فكيف عرفت ربك . . . فقال الصديق رضى الله عنه : العجز عن الإدراك إدارك ، والبحث فى ذات الله إشراك (٢) .

٤ ـ قيل للإمام على بن أبى طالب : هل رأيت ربك ؟ قال : وكيف أعبد مالا أرى فقيل له : فكيف رأيته يا إمام ؟ قال : إن كانت العيون لا تراه بمشاهدة العيان ، فإن القلوب تدركه بحقيقة الإيمان . . فقيل له : يا على صف لنا ربك . فقال الإمام على: سبحان ربى لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالقياس ، فوق كل شىء ، وليس تحته شىء، وهو فى كل شىء، لا شىء فى شىء، وليس كمثله شىء وهو السميع البصير»(٣).

ومن وصايا الإمام على لابنه الحسن : « اعلم يا بنى أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد لا يضاده فى ملكه أحد » (٤) .

٥ ـ كتب ملك الروم إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « أخبرنى

---

(١) اخرجه الإمام أحمد والترمذى وقال : حديث صحيح . قال : وسألت البخارى عنه فقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) أنيس المؤمنين : ٧ .

(٣) أنيس المؤمنين : ١٠٠ .

(٤) المستطرف : ٧ .

رسولى أن ببلدكم شجرة يخرج ثمرها كآذان الحمير ثم ينشق عن أحسن شىء من اللؤلؤة ثم يخضر حتى يكون كالزمردة ، ، ثم يحمر ويصفر فيكون كشذور الذهب وقطع الياقوت ، ثم يينع - ينضج - فيكون أطيب من الفالوذج ، ثم ييبس ليكون للمقيم طعاما وزادًا للمسافر ، فإن صدق فهذه شجرة من شجـر الجنـة » . فكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « نعم وهى التى ولد تحتها عيسى فلا تدع مع الله إلها آخـر » (١) .

٦ - روى أن عمر بن الخطاب التقى ذات يوم مع عظيم من عظماء الروم أسلم بسبب آية من القرآن فلما رأى عمر قال له : لقد وجدت فى كتابكم آية جمعت كل ما فى الكتب السماوية ، فقال عمر : ما هى ؟ فقرأ: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور : ٥٢] ثم قال: إليك تفسيرها يا أمير المؤمنين كما فهمتها . . ومن يطع الله فى الفرائض ، ورسوله فى السنن ، ويخشى الله فيما مضى، ويتقه فيما هو آت فقد فاز فوزا عظيما والفائز من زحزح عن النار وأدخل الجنة . . فقال عمر : صدق رسول الله ﷺ فقد قال « أوتيت جوامع الكلم (٢) .

٧ - لما ولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة أتاه قوم من أحبار اليهود، فقالوا يا عمر أنت ولى الأمر بعد محمد ﷺ وصاحبه وإنا نريد أن نسألك عن خصال إن أخبرتنا بها علمنا أن الإسلام حق وأن محمدا كان نبيا ، وإن لم تخبرنا علمنا أن الإسلام باطل وأن محمدا لم يكن نبيا ، فقال عمر : سلوا عما بدا لكم . قالوا: أخبرنا عن أقفال السموات ما هى ، وعن مفاتيح السموات ما هى ، وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو ، وأخبرنا عمن أنذر قومه لا هو من الجن ولا هو من الإنس ولا من الملائكة ، وأخبرنا عن خمسة أشياء مشوا على وجه الأرض ولم يخلقوا فى الأرحام، وأخبرنا ما يقول الدراج فى صياحه وما يقول الديك فى صراخه ، وما يقول الفرس فى صهيله ، وما يقول الضفدع فى نقيقه ، وما يقول الحمار فى نهيقه ، وما

(١) نزهة المجالس : ٢٣ .

(٢) من وصايا الرسول : ١٦٨ .

يقول القنبر فى صفيره ؟ قال : فنكس عمر رأسه فى الأرض ثم قال : لا عيب بعمر إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وأن يسأل عما لا يعلم ، فوثبت اليهود وقالوا : نشهد أن محمدا لم يكن نبيا وأن الإسلام باطل ، فوثب سلمان الفارسى وقال لليهود قفوا قليلا ، ثم توجه نحو على بن أبى طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه وقال : يا أبا الحسن أغث الإسلام . فقال : وما ذاك ؟ فأخبره الخبر . فأقبل على يرفل فى بردة رسول الله ﷺ ، فلما نظر إليه عمر وثب قائما فاعتنقه وقال : يا أبا الحسن أنت لكل معضدلة وشدة تدعى ، فدعا على كرم الله وجهه اليهود فقال : سلوا عما بدا لكم، فإن النبى ﷺ علمنى ألف باب من العلم فتشعب لى من كل باب ألف باب ، فسألوه عنها ، فقال على كرم الله وجهه : إن لى عليكم شريطة إذا أخبرتكم كما فى توراتكم دخلتم ديننا وآمنتم . فقالوا نعم . فقال سلوا عن خصلة خصلة ؟ فقالوا : أخبرنا عن أقفال السموات ما هى ؟ قال : أقفال السموات والأرض الشرك بالله لأن العبد والأمة إذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل فى السماء ، قالوا : فأخبرنا عن مفاتيح السموات ما هى ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . قال: فجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويقولون : صدق الفتى . قالوا : فأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ؟ فقال: ذلك الحوت الذى التقم يونس بن متى فسار به فى البحار السبعة. فقالوا: أخبرنا عمن أنذر قومه لا هو من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة ؟ قال : هى نملة سليمان بن داود قالت: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل : ١٨] قالوا : فأخبرنا عن خمسة مشوا على الأرض ولم يخلقوا فى الأرحام ؟ قال : ذلكم آدم وحواء وناقة صالح وكبش إبراهيم وعصا موسى . قالوا : فأخبرنا ما يقول الدراج فى صياحه ؟ قال : يقول : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] قالوا : فأخبرنا ما يقول الفرس فى صهيله ؟ قال : يقول : إذا مشى المؤمنون إلى الكافرين للجهاد اللهم انصر عبادك المؤمنين . قالوا: فأخبرنا ما يقول الديك فى صراخه؟ قال : يقول: « اذكروا الله يا غافلون»، قالوا :فأخبرنا ما يقول الحمار فى نهيقه ؟ قال: يقول: « لعن الله العشار وينهق فى أعين الشياطين »

قالوا : فأخبرنا ما يقول الضفدع فى نقيقه ؟ قال : يقول: « سبحان ربى المعبود المسبح فى لجج البحاره» قالوا : فأخبرنا ما يقول القنبر فى صفيره ؟ قال : يقول: « اللهم العن مبغضى محمد وآل محمد » ، قال : وكان اليهود ثلاثة نفر ، فقال اثنان منهم : نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ووثب الحبر الثالث فقال : يا على لقد وقع فى قلوب أصحابى ما وقع من الإيمان والتصديق وقد بقيت خلة واحدة أسألك عنها، فقال : سل عما بدا لك ، فقال : أخبرنى عن قوم فى أول الزمان ماتوا ثلثمائة وتسع سنين ثم أحياهم الله فما كان من قصتهم ؟ وأخبرنى عن أسمائهم واسم كلبهم واسم ملكهم واسم كهفهم واسم بلدهم ؟ « فقص له على كرم الله وجهه قصتهم الطويلة التى لا مجال لذكرها الآن وما كان من ذلك الحبر اليهودى إلا أن قال : أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله »(١) .

٨ ـ كان أبو ذر الغفارى ﷺ يعبد صنماً لا يفارقه حضراً ولا سفراً ، فخرج يوماً إلى السفر فذهب لحاجته وقال للصنم : أيها الصنم احفظ متاعى ، فلما ذهب جاء الثعلب وبال عليه ، فلما رجع أبو ذر وجده مبلولاً : فقال : واعجبا . . السماء لم تمطر ، فوجد أثر الثعلب فرمق بطرفه نحو السماء وقال :

أرب يبـول الثـعلبان برأسـه لقد ذل من بالت عليه الثعالبُ
فلو كان رباً كان يمنع نفســه فلا خير فى رب نأته المطـالبُ
برئت من الأصنام يارب كلها وآمنت بالله الذى هو غـالبُ (٢)

٩ ـ بعد أن انتصر المسلمون على المشركين فى معركة اليرموك : جاء رجل من جيش الروم اسمه « جرجه » ودعا خالد بن الوليد ﷺ أن يبرز إليه ، فخرج إليه خالد، فقال له الرجل : يا خالد أصدقنى ولا تكذبنى ، فإن الحر لا يكذب هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاك إياه فلا تسله على أحد إلا هزمته ؟ قال خالد : لا . . قال الرجل : فيم سميت سيف الله ؟ قال خالد : إن الله بعث فينا رسوله ، فمنا من

(١) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس للنيسابورى : قصة أهل الكهف / ٤٢١ ـ ٤٢٣ .
(٢) نزهة المجالس : ٢٨ .

صدقه ، ومنا من كذب ، وكنت فيمن كذب حتى أخذ الله قلوبنا إلى الإسلام وهدانا برسوله فبايعناه ، فدعا لى الرسول ﷺ بالنصر وقال لى : « أنت سيف من سيوف الله» فهكذا سميت سيف الله . قال القائد الرومانى : وإلام تدعون ؟ قال خالد : إلى توحيد الله وإلى الإسلام قال القائد الرومانى : هل لمن يدخل فى الإسلام اليوم مثل ما لكم من المثوبة والأجر .. ؟قال خالد : نعم وأفضل . قال القائد : كيف وقد سبقتموه؟ قال خالد : لقد عشنا مع رسول الله ﷺ ورأينا آياته ومعجزاته ، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم فى يسر ، أما أنتم يا من لم تروه ولم تسمعوه ، ثم آمنتم بالغيب ، فإن أجركم أجزل وأكبر إذا صدقتم الله سرائركم ونواياكم .

وما كاد خالد ينتهى من كلامه هذا حتى دفع القائد الرومانى جواده إلى ناحية خالد ووقف بجواره ثم قال : « علمنى الإسلام يا خالد » .

وأسلم هذا الرجل الرومانى وصلى ركعتين لله لم يصل سواهما ، ثم قاتل فى صفوف المسلمين حتى ظفر بالشهادة .. فرضى الله عنه وعن خالد وعن الصحابة أجمعين (١) .

١٠ ـ قال يهودى لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه : أين ربنا ؟ فقال على : الذى أوجد الأين لا يسأل عنه بالأين ، فقال اليهودى : كيف ربنا ؟ قال على : الذى كيف الكيف لا يسأل عنه بالكيف. قال اليهودى : متى كان ربنا ؟ قال على : ويحك .. ومتى لم يكن ؟!! (٢) .

١١ ـ كان إبراهيم عليه السلام يبيع أصناماً ينحتها أبوه وينادى : من يشترى شيئاً يضره ولا ينفعه ، فقالت امرأة: يا إبراهيم أريد إلهاً أشتريه من أبيك . قال : أنا أدلك على إله من دعاه أجابه . ومن استغاث به أغاثه ، فقالت : كيف الوصول إليه ؟ قال : من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه وصل إليه : فقالت المرأة : لا إله إلا الله ... فسقط الصنم من يد إبراهيم على وجهه : فقالت: يا إبراهيم نعم الرب ربك من أمل

(١) من وصايا الرسول : ٤٤٢ .

(٢) نزهة المجالس : ١٤ .

غيره خاب ، والتعب فى غير طاعته ضائع ، ثم أخذت الصنم وكسرته (١) .

١٢ ـ رأى موسى عليه السلام شيخاً يعبد ناراً : فقال : أما آن لك أن ترجع عنها إلى عبادة الله ، فقال: إن رجعت إليه يقبلنى ؟ . قال : نعم ، ثم عرض عليه الإسلام فأسلم ، ثم بكى حتى غشى عليه فحركه موسى فوجده ميتاً ، فقال : يارب عامله كما أنت أهله ، فقال : يا موسى أما علمت أن من صالحنا صالحناه ، ومن تقرب إلينا قربناه، وقد أنزلته منازل الموحدين ، وجعلته فى منازل المقربين (٢) .

١٣ ـ كما روى أن موسى عليه السلام لما رجع من مناجاة ربه وجد فى طريقه رجلاً يعبد فرعون ، فدعاه إلى الإسلام ، وقال : ما حصل لك من عبادة فرعون ؟ فقال : وأنت ما حصل لك من عبادة ربك ؟ فقال موسى : أنا أعبد طاعة وأنت تعبد فرعون طمعاً فى ماله . قال: صدقت يا موسى ، قال موسى : إن فى دارك كنزاً إن أخبرتك به تؤمن بالله ، قال: نعم ، فأخبره به ، فقال: لا إله إلا الله موسى رسول الله، فبلغ فرعون ذلك ، فأخذه ووضعه فى دهن على النار ، فأخرجه جبريل ثلاث مرات، فقال الرجل : يا موسى اسأل ربك أن يخلصنى منهم فإن الموت على الإسلام خير من ذاك ، فأخذه فرعون ووضعه فى الدهن على النار ، فقال جبريل : يا موسى عظم الله أجرك فى صاحبك فقد فتحت الجنة لقدوم روحه (٣) .

١٤ ـ روى أن جعفر الصادق ﷺ جادله بعض الزنادقة فى وجود الله تعالى ، فقال جعفر للزنديق المجادل : هل ركبت البحر ؟ قال : نعمَ . . . قال : هل رأيت أهواله ؟ قال : بلى . . هاجت يوماً رياح هائلة فكسرت السفن وأغرقت الملاحين ، فتعلقت أنا ببعض ألواحها . . ثم ذهب عنى اللوح فإذا أنا مدفوع بتلاطم الأمواج حتى دفعت إلى الساحل . . فقال جعفر : قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح ، ثم على اللوح حتى ينجيك ، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك أسلمت نفسك للهلاك أم كنت ترجو السلامة بعد؟ قال : بل رجوت السلامة . . قال جعفر : ممن كنت ترجوها؟ فسكت الرجل . . فقال جعفر : إن الله هو الذى كنت ترجوه فى ذلك الوقت ، وقد

(١) قصص الأنبياء المسمى بالعرائس للنيسابورى . . ونزهة المجالس : ٢٧ .

(٢) نزهة المجالس : ٣٠ . (٣) نزهة المجالس : ٢٩ .

أقر به قلبك عند الشدة وإن أنكره لسانك عند النجاة ، وهو الذى أنجاك من الغرق . . قال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُوراً﴾ [الإسراء: ٦٧] (١) .

١٥ ـ سأل رجل جاحد الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه وقال له : هل رأيت ربك ؟ فقال : سبحان ربى لا تدركه الأبصار . فقال له : هل لمسته ؟ هل شممته ؟ هل سمعته ؟ وهل ذقته ؟ فقال الإمام أبو حنيفة : سبحان ربى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، فقال الجاحد : فإذا لم تكن رأيته ولا لمسته ولا شممته ولا أحسسته فمن أين تثبت أنه موجود ؟ فقال الإمام أبو حنيفة لهذا الجاحد : يا هذا هل رأيت عقلك ؟ قال الجاحد: لا ، قال : هل سمعت عقلك ؟ قال : لا ، قال : هل شممت عقلك ؟ قال : لا ، قال هل أحسست عقلك ؟ قال الجاحد : لا ، قال أبو حنيفة : أعاقل أنت أم مجنون ؟ قال الجاحد : أنا عاقل : قال له أبو حنيفة : فأين عقلك ؟ . . قال الجاحد : موجود: قال أبو حنيفة : كذلكِ الله جل جلاله موجود (٢) .

١٦ـ كما روى أن طائفة من « الدهرية » (٣) هجموا على الإمام أبى حنيفة رضي الله عنه ذات يوم فى المسجد على حين غفلة منه ليفتكوا به ، فقال لهم فى ثبات وإيمان : أجيبونى عن مسألة : ثم افعلوا بى ما شئتم فقالوا : سل ، فقال : ما تقولون فى رجل يقول لكم : إنى رأيت سفينة مشحونة بأحمال ، ومملوءة بأثقال ، قد احتوستها فى لجة البحر أمواج متلاطمة ، ورياح مختلفة ، وهى من بينها تجرى مستوية ، وليس لها ملاح يجريها ، ولا متعهد يدفعها . . هل يجوز ذلك فى العقل ؟ قالوا : هذا شىء لا يقبله العقل ، فقال أبو حنيفة : يا سبحان الله . . إذا لم يجز فى شرعة العقل سفينة تجرى فى العقل مستوية من غير متعهد ولا مجر . . فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة أطوافها وتباين أكنافها من غير صانع ولا موجد ؟ !! فبهتوا

---

(١) من وصايا الرسول : ٧٧٥ . (٢) أنيس المؤمنين : ٥٨ .

(٣) الدهرية : جماعة تنكر وجود الله تعالى وتقول : إن الدهر هو المتصرف .

جميعاً ثم قالوا : صدقت . . ثم أسلموا وانصرفوا تائبين (١) .

١٧ ـ قال الشيخ الشعراوى فى كتابه « الفتاوى » : دخل رجل ملحد على الإمام أبى حنيفة النعمان وهو بين تلاميذه ، فسأله ثلاثة أسئلة فلسفية شغلت بال المفكرين القدماء والمحدثين ، قال له : أولاً : كيف أعبد الله ولا أراه ؟ ثانياً : كيف ولماذا أحاسب على أشياء قد كتبها الله على ، وأنا مقهور عليها مسير فيها ؟ ثالثاً : كيف يعذب الجان فى النار وهو مخلوق من النار ؟

فمد الإمام يده إلى قلة إلى جواره ، وضرب بها الملحد ضربة قوية تهتك لها إهاب جبهته وانفجر الدم دافقاً من وجهه : فسأل الملحد نفسه ـ بعد أن فكر ملياً ـ لو أنه اعتدى على الشيخ لانقض عليه تلاميذ الشيخ وقتلوه ، فاختار أن يشكوه للقاضى ، الذى استدعاه على الفور وسأله عن سبب اعتدائه على الرجل : فأجابه الشيخ :

لأن هذه الضربة فيها الإجابة عن هذه الأسئلة الثلاثة .

فالأول : يشكو من الألم ولا يراه ، فلم لا يعبد الله وهو لا يراه ؟!

والثانى : عندما ضربته بالقلة كان مختاراً فى أن يشتمنى أو يضربنى ، أو يشكونى للقاضى ، فعلم أنه لو شتمنى لضربه التلاميذ ، ولو ضربنى قتلوه ، فاختار أن يشكونى للقاضى ، فهو مسير فى أشياء مخير فى أشياء أخرى .

والثالث : الإنسان مخلوق من صلصال كالفخار ، ولقد ضربته بالقلة التى ترجع أصولها إلى مادة خلق الإنسان ، ومثل ذلك يعذب الجان فى النار وهو مخلوق من النار(٢) .

١٨ ـ روى أن الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ سئل : ما دليلك على وجود الصانع؟

فقال : ورقة التوت . . طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد . . ولكن تأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسيم ـ الحرير ـ وتأكلها النحل فيخرج منها العسل ، وتأكلها الشاة فيخر منها اللبن : وتأكلها الظباء فينعقد فى نوافجها المسك . . فمن الذى جعل هذه الأشياء متنوعة الإفرازات . . والغذاء واحد ؟ إنه الله سبحانه (٣) .

---

(١) من وصايا الرسول : ٧٧٥ .
(٢) الفتاوى : للشيخ محمد متولى الشعراوى رحمه الله : ص ١٨ .
(٣) من وصايا الرسول : ٧٧٦ .

١٩ ـ كما سُئل الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ عن كيفية وجود الله . فقال: هذه قلعة حصينة ملساء لا فرجة فيها . . ظاهرها كالفضة المذابة ، وباطنها كالذهب الإبريز، ثم انشقت الجدران وخرج من القلعة حيوان سميع بصير . . قال : أفيحدث هذا من ذاك بلا صانع ؟ وعنى بالقلعة البيضة ، وبالحيوان الفرخ . وبالفضة البياض وبالذهب الصفار ، فسبحان الله الخالق (١) .

٢٠ ـ وسُئل الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ عن معنى قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ ، لأنه تعالى كان ولا مكان وهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان علم ما كان وعلم ما يكون وعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون (٢) .

٢١ ـ قال مالك بن دينار : وقفت يوماً على صومعة راهب فسمعته يقول : يامن لاذ بحرمه الخائضون ، ورغب فيما عنده الطالبون . . أسألك الخلاص من القصاص ، وأستغفرك من ذنوب ذهبت لذاتها ، وبقيت تبعاتها ، فناديته يا راهب كيف تركت الدنيا؟ قال : تركتها قبل أن تتركنى ، قلت : حدثنى بقصتك ، قال :كنت على دين النصرانية ، فرأيت فى منامى قائلاً يقول : « ويحك . . إلى كم تعبد غير الله . . إن عيسى عبد من عباد الله » ، فقلت له : من أنت ؟ قال :« أنا شفيع المذنبين . . أنا الذى بشر بى عيسى ، وشهد بنبوتى موسى . . أنا فى التوراة موصوف ، وفى الإنجيل معروف ». . ثم مسح بيده على صدرى وقال :« اللهم ألهم عبدك الرشـاد ووفقـه للسداد » فانتبهت ولا شيء أحب إلى من الإسلام ، فأسلمت وسكنت فى صومعتى هـذه(٣) .

---

(١) من وصايا الرسول : ٧٧٦ .
(٢) أنيس المؤمنين : ٦٦ .
(٣) نزهة المجالس : ٢٧ .

*** ومن أجمل ما قيل فى معرفة الله عز وجل :**

قل للطبيب تخطفته يد الردى ... يا شافى الأمراض من أبلاكا
قل للمريض نجا وعوفى بعدما ... عجزت فنون الطب من عافاكا
قل للصحيح يموت لا من علة ... بالموت من ياذا الصحيح دهاكا
قل للبصير وكان يحذر حفرة ... فهوى بها ما الذى أهواكا
بل سائل الأعمى خطا بين الزحام ... بلا اصطدام من يقود خطاكا
قل للجنين يعيش معزولاً بلا راع ... ولا مرعى ما الذى يرعاكا
قل للوليد بكى وأجهش بالبكا ... لدى الولادة ما الذى أبكاكا
وإذا ترى الثعبان ينفث سمه ... فاسأله من ذا بالسموم حشاكا
واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو ... تحيا وهذا السم يملأ فاكا؟
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت ... شهداً؟وقل للشهد من حلاكا؟
بل سائل اللبن المصفى كان بين ... دم ولحم ما الذى صفاكا

وقال آخر :

أيا من كلما نودى أجابا ... ومن بجلاله ينشى السحابا
وكلم فى الدجى موسى بلطف ... كلاماً ثم ألهمه الخطابا
ويا من رد يوسف بعد بُعدٍ ... وكان أبوه ينتحب انتحابا
ويا من خص أحمد واصطفاه ... وأعطاه الرسالة والكتابا
وقربه وسماه طه ... وأعتق من شفاعته الرقابا
لك الفضل المبين على عطاء ... مننت به وضاعفت الثوابا

وقال آخر :

تبارك الله فى علياء عزته ... وجل معنى فليس الوهم يحويه
وجوده سابق لا شىء يشبهه ... ولا شريك له .. لا شك لى فيه
لا كون يحصره لا عون ينصره ... لا كشف يظهره لا جهر يبديه
لا دهر يخلقه لا نقص يلحقه ... لا نقل يسبقه لا عقل يدريه

حارت جميع الورى فى كنه قدرته   وليس تدرك معنى من معانيه
سبحانه وتـعالى فى جـلالـته   وجل لطفاً وعزا فى تعـاليه

وقال آخر :

أيا من جل عن كيف وأين   وعن ند وعـن ولـد ووالـد
ملكت الكائنات بحسن صنع   ولانت عن مخافتك الجلامـد
وكنت بحيث لا كون وعـون   وأنت على جميع الخلق شاهـد
وأنت بحيث أنت وليس أيـن   ولا كيف تمثـله الشـواهـد
أحطت بجملة الأشياء علـماً   وأنت لـكل ما فيـها مراصد
فيا من مـاله فـى الملـك ثان   ولا مثل ولـيس له مـضادد
أجرنا من عذابك واعـف عنا   وبـلغنا إلى نيـل المقاصـد
فقد عودتنا الإحسـان لـطفاً   وصعب عنـدنا قطع العـوايد

★ ★ ★

الباب الرابع :

أجمل ما روى عن بــر الوالدين

١ ـ قال رسول الله ﷺ : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم . . قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق ـ لا أقدم فى الشرب ـ قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بى طلب الشجر يوماً فلم أرح ـ أرجع ـ عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما ، وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون (يصيحون من الجوع) عند قدمى ، فاستيقظا فشربا غبوقهما . . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة . . فانفرجت شيئاً لايستطيعون الخروج منه . . . . »[١] الحديث ، ثم راح كل منهم يدعوا بصالح أعماله حتى انفرجت الصخرة ونجوا .

٢ ـ قال سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه : كنت (فى الجاهلية) رجلاً باراً بأمى ، فلما أسلمت قالت : يا سعد ما هذا الذى أراك قد أحدثت ؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت ، فتعير بى فيقال : يا قاتل أمه . . فقلت : لا تفعلى يا أمه فإنى لا أدع دينى هذا لشىء ، فمكثت يوماً وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت ، ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل ، فأصبحت قد جهدت ، ثم مكثت يوماً وليلة أخرى لا تأكل ،

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت : يا أمه .. تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت دينى هذا لشىء ، فإن شئت فكلى وإن شئت لا تأكلى ، فأكلت ... فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان :١٥] (١) .

٣ ـ لما أسلم أبو هريرة ﷺ رفضت أمه أن تسلم وظلت على كفرها .. ليس هذا فحسب ، بل كانت تؤذى ابنها فى رسول الله ﷺ فتذكره بسوء .. وذات يوم أسمعت « أبا هريرة » فى رسول الله ﷺ ما يكرهه ، فانفض عنها باكياً محزوناً وذهب إلى مسجد الرسول ﷺ .

يقول أبو هريرة : فجئت إلى رسول الله وأنا أبكى : فقلت : يا رسول الله . كنت أدعو أم أبى هريرة إلى الإسلام فتأبى على ، وإنى دعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة إلى الإسلام .. فقال رسول الله ﷺ :« اللهم اهد أم أبى هريرة » .

يقول أبو هريرة : فخرجت أعدو أبشرها بدعاء رسول الله ، فلما أتيت الباب إذا هو مجاف ـ أى مغلق ـ وسمعت خضخضة الماء ونادتنى : يا أبا هريرة مكانك ، ثم لبست درعها ، وعجلت عن خمارها وخرجت وهى تقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فجئت أسعى إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكى من الفرح كما بكيت من الحزن ، وقلت : أبشر يا رسول الله ، فقد أجاب الله دعوتك .. قد هدى الله أم أبى هريرة إلى الإسلام ، ثم قلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يحببنى وأمى إلى المؤمنين والمؤمنات . فقال ﷺ :« اللهم حبب عُبيدك هذا وأمه إلى كل مؤمن ومؤمنة » .

يقول أبو هريرة : فما سمع بى وأمى مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبنا (٢) .

٤ ـ حكى أنه كان فى زمن النبى ﷺ شاب يسمى علقمة وكان كثير الاجتهاد فى

(١) رواه الطبرانى عن داود بن أبى هند .. هكذا فى التفسير لابن كثير .

(٢) رجال حول الرسول : ٤٤٩ .

طاعة الله ، فى الصلاة والصوم والصدقة ، فمرض واشتد مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ : إن زوجى علقمة فى النزع فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله ، فأرسل النبى ﷺ عماراً وصهيباً وبلالاً وقال :« امضوا إليه ولقنوه الشهادة » فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجدوه فى النزع ، فجعلوا يلقنونه « لا إله إلا الله » ولسانه لا ينطق بها ، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة فقال النبى ﷺ : « هل من أبويه أحد حى ؟ » قيل : يا رسول الله . . أم كبيرة السن ، فأرسل إليها رسول الله ﷺ ، وقال للرسول ـ الذى أرسله ـ :« قل لها : إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقرى فى المنزل حتى يأتيك » ، قال : فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ ، فقالت : نفسى لنفسه فداء أنا أحق بإتيانه ، فتوكأت وقامت على عصا، وأتت رسول الله ﷺ فسلمت ، فرد عليها السلام وقال لها : « يا أم علقمة . . اصدقينى وإن كذبتى جاء الوحى من الله تعالى ، كيف كان حال ولدك علقمة ؟ » قالت : يا رسول الله كان كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة .

قال رسول الله ﷺ :« فما حالك ؟ » قالت : يا رسول الله أنا عليه ساخطة . . قال :« ولم ؟ » قلت : يا رسول الله كان يؤثر زوجته ويعصينى .

فقال رسول الله ﷺ:« إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة » ، ثم قال :« يا بلال انطلق واجمع لى حطباً كثيراً » ، قالت : يا رسول الله وما تصنع ؟ قال : « أحرقه بالنار بين يديك » قالت: يا رسول الله ولدى لا يحتمل قلبى أن تحرقه بالنار بين يدى، قال :« يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى فإن سرك أن يغفر الله له فارضى عنه فوالذى نفسى بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة » فقالت : يا رسول الله . . إنى أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرنى من المسلمين أنى قد رضيت عن ولدى علقمة .

فقال رسول الله ﷺ: « إنطلق إليه يا بلال وانظر هل يستطيع أن يقول : لا إله إلا الله أم لا فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حياء منى » .

فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول : لا إله إلا الله ، فدخل بلال فقال :

يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وإن رضاها أطلق لسانه ، ثم مات علقمة من يومه فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه ، ثم قام على شفير قبره وقال : « يا معشر المهاجرين والأنصار . . من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . . لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ، ويحسن إليها ويطلب رضاها ، فرضا الله فى رضاها ، وسخط الله فى سخطها» (١) .

٥ ـ كان الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ بارا بأبيه رغم أن أباه كان كافرا يصنع الأصنام لقومه كى يعبدونها من دون الله ، ولما دعا إبراهيم أباه إلى الإيمان بالله قائلا: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ [مريم :٤٣] استخف به أبوه آزر وتوعده وهدده قائلا: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم :٤٦] فعندها قال له الابن البار إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم :٤٧] أى لا يصلك منى مكروه وزاده برا فوعده أن يستغفر له . ولذلك روى الإمام البخارى فى صحيحه . . عن النبى ﷺ قال : « يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة ـ سواد وظلمة ـ وغبرة ، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصنى ؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يا رب إنك وعدتنى أن لا تخزنى يوم يبعثون، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد ـ الأبعد من رحمتك ـ فيقول الله عز وجل : إنى حرمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال له : يا إبراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذبح متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار » (٢) .

٦ ـ ويمتد هذا البر إلى إسماعيل عليه السلام . . فلما شب إسماعيل وصار صبيا، رأى أبوه ـ إبراهيم عليه السلام ـ رؤيا وهى أنه يذبح ابنه الوحيد إسماعيل ، فلما أخبر

---

(١) الحديث : فى الترغيب والترهيب : روى عن عبد الله بن أبى أوفى وقال : رواه الطبرانى، وأحمد مختصرا، وذكره ابن الجوزى فى « الموضوعات » ثم قال : لا يصح. فائدة ـ أى ابن عبد الرحمن العطار ـ متروك (والحديث موضوع) .

(٢) رواه البخارى .

إبراهيم ولده بهذا الأمر لم يعترض أو يحتج بل ضرب مثالا عظيما يحتذى به فى طاعة الابن لأبيه وبره له وامتثاله لأمر الله عز وجل وفى ذلك يقول تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠١، ١٠٢] .

٧ ـ قال موسى عليه السلام : يا رب أوصنى . قال: أوصيك بأمك ، قال: أوصنى، قال: أوصيك بأمك . . . حتى قال فى التاسعة : أوصيك بأبيك ، يا موسى من بر والديه كنت له وليا فى الدنيا وفى القبر مؤنسا وفى الحشر رحيما وعلى الصراط دليلا وفى الجنة محدثا يكلمنى وأكلمه بلا واسطة (١) .

٨ ـ كما روى أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يريه رفيقه فى الجنة ، فقال تعالى: إذهب إلى بلد كذا تجد رجلا قصابا فهو رفيقك فى الجنة ، فلما رآه فى حانوته ـ دكانه ـ وعنده زنبيل قال الشاب لموسى : يا جميل الوجه هل لك أن تكون فى ضيافتى ؟ قال موسى : نعم ، فانطلق معه إلى منزله ، فوضع الطعام بين يديه فكلما أكل لقمة وضع فى الزنبيل لقمتين ، فبينما هو كذلك إذ بالباب يطرق ، فوثب الشاب وترك الزنبيل فنظر موسى فيه ، وإذا بشيخ وعجوز قد كبرا حتى صارا كالفرخ الذى لا ريش له ، فلما نظرا إلى موسى تبسما وشهدا له بالرسالة ثم ماتا ، فلما دخل الشاب ونظر الزنبيل قبل يد موسى وقال: أنت موسى رسول الله ، قال : ومن أعلمك بذلك ؟ قال: هذان اللذان كانا فى الزنبيل أبواى قد كبرا فحملتهما فى الزنبيل خوفا عليهما ، وكنت لا آكل ولا أشرب إلا بعدهما ، وكانا يسألان الله كل يوم أن لا يقبضهما حتى ينظرا إلى موسى ، فلما رأيتهما ماتا علمت أنك موسى رسول الله ، فقال له موسى : أبشر فإنك رفيقى فى الجنة (٢) .

٩ ـ لقد كان يوسف عليه السلام بارا بوالديه كما أخبرنا القرآن الكريم ، فعندما دخل يعقوب وأولاده على يوسف وكان وقتئذ عزيزاً على مصر . . نزل يوسف وزوجته

(١) المستطرف : ٢٨٠، ونزهة المجالس : ١ / ٢٢٨ . (٢) نزهة المجالس : ١ / ٢٣٠ .

من على كرسى العرش ، ورفع أبويه وأجلسهما بدلاً منه ، وفى ذلك يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ . . . ﴾

[يوسف :٩٩، ١٠٠].

١٠ ـ ولقد ذكر الله تبارك وتعالى فى كتابه الجليل أن بر الوالدين من تمام صفات الأنبياء ، وأخلاق الرسل الحميدة : فها هو يحيى بن زكريا عليهما السلام لما تحدث القرآن عن أوصافه وأخلاقه قال تعالى فى شأنه :﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مريم :١٤] .

وكذلك لما تحدث القرآن العظيم عن عبده ورسوله عيسى عليه السلام الذى كان مولده معجزة لقومه وللناس أجمعين . . قال تعالى على لسانه :﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم : ٣٢] وذلك لأن الذى يعق والديه هو جبار يتجبر عليهما بعد أن رحماه وأرفقا به وهو مولود ضعيف ، وشقى يشقى فى الدنيا والآخرة .

١١ ـ كان رجل على عهد النبى محمد ﷺ له أبوان شيخان كبيران ، وكان يحملهما إلى المسجد ليصليا خلف النبى ﷺ وفى أحد الأيام بعدما سلم النبى ﷺ التسليمتين لم يجد الرجل والمرأة العجوزين ، فقال : «أين المقعدان ؟» فقالوا له : لقد مات ابنهما يا رسول الله . . . فقال النبى ﷺ : « لو بقى أحد لأحد لبقى ابن المقعدين لهما ولكن لا خلود ولا بقاء إلا لله» (١) .

١٢ ـ روى أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه سمع رجلاً يقول حول الكعبة :

يا من يجيب دعاء المضطر فى الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقـم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهـوا ... وأنت يا حى يا قيوم لم تـــنـــم
هب لى بجودك ما أخطأت من جرم ... يا من إليه أشار الخلق بالـــكرم
إن كان عفوك لم يسبق لمجتـــرم ... فمن يجود على العاصين بالنعـــم

فقال: يا حسن أدركه، فإذا هو رجل حسن الوجه إلا أنه قد شل جانبه الأيمن،

(١) ذكر هكذا فى « أنيس المؤمنين » : ٣٦ دون ذكر سند .

فقال : أجب أمير المؤمنين ، فجاء يجر شقه : فقال : من أنت ؟ قال : من العرب وكان والدى ينهانى عن المعاصي فلطمته على وجهه فركب ناقته وأتى الكعبة وقال :

يا من إليه أتى الحجاج من بـعد ... يرجون لطف عزيز واحد صمد
هذى منازل ما قد خاب قاصدها ... فخذ بحقى يا رحمن من ولـدى
فشل منه بجود منـك جانبـه ... يامن تقدس لم يولد ولم يلـد

قال : فو الذى رفع السماء ، وأنبع الماء ، ما استتم كلامه حتى شل جانبى الأيمن، فظللت كالخشبة الملقاة ، وكان الناس يغدون ويروحون على ويقولون : هذا الذى أجاب الله فيه دعوة أبيه فقال له على ﷺ : وماذا فعل أبوك ؟ قال : يا أمير المؤمنين سألته أن يدعو الله لى فى الموضع الذى دعا على فيه بعد أن رضى عنى فخرج على ناقته فسقط عنها فمات ، فقال على ﷺ أفلا أعلمك دعاءً سمعته من النبى ﷺ . . «وعلمه على ﷺ دعاءً طويلاً فلما دعا به الرجل عافاه الله وشفاه » (١) .

١٣ ـ كان الحسين بن على ﷺ لا يأكل مع أمه فاطمة الزهراء ﷺ فسألته عن ذلك فقال : أخاف أن آكل شيئاً سبق إليه نظرك فأكون عاقاً لك ، فقالت : كل ما شئت وأنت فى حل (٢) .

١٤ ـ كان لأحد الصالحين أم يقوم بنفسه على خدمتها ولا يشرك زوجته فى أمر من أمور أمه ، فعندما توفى وصعدت روحه إلى الله . . لقى الله وهو عليه غضبان ، فقالت الملائكة: يا ربنا لقد كان يكرم أمه . . فقال الله لهم : يا ملائكتى أنتم لا تعلمون ماذا كان يقول بينى وبينه؟ . . إنه كلما قدم لها طعاماً سألنى قائلاً : اللهم خذها وأرحنى منها (٣) .

١٥ ـ رأيت فى « الترغيب والترهيب » . . عن بعض التابعين أنه مر على حى فوجد مقبرة فانشق منها قبر بعد العصر ، فخرج منه رجل رأسه كرأس الحمار وبدنه بدن

---

(١) مفاتيح الفرج : ١٢٦ وذكرت أيضاً فى « نزهة المجالس » ١/ ٢٨٠ .
(٢) المستطرف : ٢٨٠ .
(٣) أنيس المؤمنين : ٨٢ .

آدمى فنهق ثلاث مرات ثم انطبق عليه القبر ، فسألت امرأة عنه قالت : كان يشرب الخمر فتقول أمه له : اتق الله فيقول لها انهقى كالحمار ، فمات بعد العصر ، فهو كل يوم بعد العصر ينشق عنه القبر وينهق ثلاث مرات (١) .

١٦ ـ كان فى بنى إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها إلى غيضة وقال : اللهم إنى أستودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ، ومات الرجل فصارت العجلة فى الغيضة أعواماً وكانت تهرب من كل من رآها ، فلما كبر الابن كان باراً بوالديه ، وكان يقسم الليل ثلاثة أقسام . . يصلى ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً . . فإذا أصبح احتطب على ظهره فيأتى السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطى أمه والدته ثلثه ، فقالت له أمه يوماً : إن أباك ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا فانطلق فادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردها عليك، وعلامتها أنك إذا نظرت إليها تخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها ، وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفوتها ـ فأتى الغيضة ـ فرآها ترعى فصاح بها ، وقال : أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى وقالت : أيها الفتى البار بوالديه . . اركبنى فإن ذلك أهون عليك . . فقال الفتى : إن أمى لم تأمرنى بذلك ولكن قالت : خذ بعنقها . . فقالت البقرة : بإله بنى إسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر على أبدا ، فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأمك ، فسار الفتى بها إلى أمه . . فقالت له أمه : إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة . . قال : بكم أبيعها ؟ قالت : بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى . . وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها إلى السوق ، فبعث الله ملكا ليرى خلقه وقدرته وليختبر الفتى وكيف بره بأمه وكان الله به خبيرا . . فقال الملك : بكم تبيع هذه البقرة ؟ . . قال : بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضاء والدتى . . فقال الملك: لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك ؟ . . فقال الفتى :

---

(١) ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب .

لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه إلا برضاء أمى فردها إلى أمه وأخبرها بالثمن . . فقالت له: ارجع فبعها بستة دنانير على رضا منى فانطلق بها إلى السوق وأتى الملك فقال : استأمرت أمك ؟ فقال الفتى : إنها أمرتنى ألا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها . . فقال الملك : فإنى أعطيك اثنى عشر دينارا . . فأبى الفتى ورجع إلى أمه وأخبرها بذلك . . فقالت : إن الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليختبرك فإذا أتاك فقل له : أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ؟ ففعل . . فقال الملك : اذهب إلى أمك وقل لها: أمسكى هذه البقرة فإن موسى بن عمران سيشتريها منكم لقتيل يقتل من بنى إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير . . فأمسكوها ، وقدر الله على بنى إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها ، فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على بره بوالدته فضلا ورحمة ، فاشتروها بملء مسكها ذهبا ، فذبحوها وضربوا القتيل ببعض منها كما أمر الله تعالى . . فقام القتيل حيا بإذن الله تعالى وأوداجه تسخب دما ، وقال : قتلنى فلان . . ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث (١) .

١٧ ـ قال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن لى أما بلغ منها الكبر أنها لا تقضى حاجتها إلا وظهرى لها مطية فهل أديت حقها ؟ قال : لا . . لأنها كانت تصنع بك ذلك وهى تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها (٢) .

١٨ ـ كان رجل فى بنى إسرائيل له امرأة يحبها ومعه أم عجوز وأم امرأته عجوز أيضا ، وكانت تغرى ابنتها بأم زوجها ، وكان العجوزان قد ذهب بصرهما . . فلم تزل امرأته حتى خرج بأمه ووضعها فى فلاة من الأرض ليس معها طعام ولا شراب ليأكلها السباع ، ثم انصرف عنها فغشيتها السباع فجاءها ملك فقال : ما هذه الأصوات التى أسمع حولك ؟ قالت : خيرا هذه أصوات إبل وبقر وغنم . . قال : خيرا . . فيكن إن شاء الله . . ثم انصرف عنها ، فلما أصبحت أصبح الوادى ممتلئًا إبلاً وبقرًا وغنمًا. . فقال ابنها: لو جئت فنظرت ما فعلت أمى . . فجاء فإذا الوادى قد امتلأ من

(١) مائة قصة وقصة : ٨٢ .

(٢) المستطرف : ٢٨٠ .

الإبل والبقر والغنم . . فقال : أى أماه . . ما هذه ؟ فقالت : يا بنى عققتنى وأطعت امرأتك . . فاحتمل أمه وساق ما أعطاها الله تعالى ورجع بأمه إلى امرأته .

فقالت امرأته : والله لا أرضى حتى تذهب بأمى فتضعها حيث وضعت أمك . . فانطلق بها ، فلما أمست غشيتها السباع . . فجاءها الملك الذى جاء لأمه فقال : أيتها العجوز ما هذه الأصوات ؟ قالت : شرا . . هذه أصوات سباع تريد أن تأكلنى . . فقال : شرا فليكن ثم انصرف . فجاءها سبع فأكلها . . فلما أصبحت قالت امرأته : اذهب فانظر ما فعلت أمى . . فذهب فما وجد منها إلا ما فضل عن السبع فأخذ عظامها وأتى امرأته فماتت كمدا (١) .

١٩ ـ كان لرجل ثلاثة أولاد فمرض . . فقال كبيرهم لإخوته : أعدونى خدمته ولكم ميراثه ، ففعلوا . . فخدمه حتى مات ، فرأى فى منامه قائلا يقول : اذهب إلى موضع كذا وخذ منه دينارا ولك فيه البركة . . قال : لا ، فتركه ثم رأى فى الليلة الثانية كذلك وفى الثالثة مثلها ، فلما أصبح أخذه واشترى به سمكة فوجد فيها جوهرتين فباعهما للسلطان بستين ألف دينار ، ثم رأى فى منامه قائلا يقول له : هذا بخدمتك لأبيك (٢) .

٢٠ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة ، فكان فيها . . فأتته أمه وهو يصلى فقالت : يا جريج . فقال : يا رب أمى وصلاتى ، فأقبل على صلاته فانصرفت ، فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت : يا جريج . فقال : يا رب أمى وصلاتى، فأقبل على صلاته ، فانصرفت . . . فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت : يا جريج . فقال : يا رب أمى وصلاتى، فأقبل على صلاته . . فقالت : اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات . . فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته . . وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها، فقالت : إن شئتم لأفتنه ، فتعرضت له فلم يلتفت إليها . . فأتت راعيا كان يأوى إلى

(١) نزهة المجالس : ١ / ٢٢٨ .
(٢) المرجع السابق .

صومعته ، فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت . . فلما ولدت قالت : هو من جريج .

فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته ، وجعلوا يضربونه . . فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : زنيت بهذه البغى فولدت منك . . قال : أين الصبى ؟ فجاءوا به . . فقال : دعونى حتى أصلى فصلى ، فلما انصرف أتى الصبى فطعن فى بطنه . . وقال : يا غلام من أبوك ؟ . قال : فلان الراعى . . فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به . . وقالوا : نبنى لك صومعتك من ذهب . . قال : لا أعيدوها من طين كما كانت . . ففعلوا » (١) .

٢١ ـ قيل لعمر بن ذر : كيف بر ابنك ؟ قال : ما مشيت نهارا قط إلا مشى خلفى، ولا ليلا إلا مشى أمامى ، ولا رقى سطحا وأنا تحته (٢) .

٢٢ ـ قال المأمون : لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه ، بلغ على بره له أنه كان لا يتوضأ إلا بماء ساخن ، فمنعهم السجان من الوقود فى ليلة باردة ، فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل إلى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح . . فلم يزل قائما وهو فى يده إلى المصباح حتى استيقظ أبوه من منامه (٣) .

٢٣ ـ جرى بين أبى الأسود الدؤلى (٤) وبين امرأته كلام فى ابن كان لها منه وأراد أخذه منها ، فسارت إلى زياد وهو والى البصرة ، فقالت المرأة : أصلح الله الأمير . . هذا ابنى كان بطنى وعاءه ، وحجرى فناءه ، وثديى سقاءه ، أكلؤه ـ أرعاه ـ إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، حتى إذا استوفى فصاله ، وكملت خصاله ، واستوعكت ـ اشتدت ـ أوصاله ، وأملت نفعه ، ورجوت دفعه ، أراد أن يأخذه منى كرها ، فآدنى ـ قونى وأعنى ـ أيها الأمير . فقد رام ـ أراد ـ قهرى ، وأراد

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) أنيس المؤمنين : ١٠٤ .

(٣) المستطرف : ٢٨٠ .

(٤) هو ظالم بن عمرو الدؤلى الكنانى واضع علم النحو ، كان معدودا من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء. الأعلام للزركلى : ٣ / ٢٣٦ .

قسرى - إجبارى - فقال أبو الأسود : أصلحك الله ، هذا ابنى حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه فى أدبه ، وأنظر فى أوده - كده وتعبه - وأمنحه علمى ، وألهمه حلمى ، حتى يكمل عقله ، ويستحكم فتله . . فقالت المـــرأة : صدق . . أصلحك الله حمله خفا ، وحملته ثقلا ، ووضعه شهوة ، ووضعته كرها . . فقال زياد : أردد على المرأة ولدها فهى أحق به منك ، ودعنى من سجعك(١) .

٢٤ - روى أن أبا هريرة رضى الله عنه أبصر رجلين ، فقال لأحدهما : ما هذا منك ؟ قال : أبى . قال : لا تسمه باسمه ، ولا تمشى أمامه ، ولا تجلس قبله (٢) .

٢٥ - جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال : يا رسول الله ، إن أبى أخذ مالى فقال : «اذهب فأتنى بأبيك » ، فنزل جبريل على النبى ﷺ فقال: إن الله يقرئك السلام ويقول لك : إذا جاء الشيخ سله عن شىء قاله فى نفسه ما سمعته أذناه . . فلما جاء الشيخ قال له النبى ﷺ :« ما بال إبنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله ؟» قال : سله يا رسول الله هل أنفقته إلا على عماته وخالاته أو على نفسى . . فقال له النبى ﷺ : « دعنا من هذا . . أخبرنى عن شىء قلته فى نفسك ما سمعته أذناك ». . فقال الشيخ : والله يا رسول الله ما زال الله يزيدنا بك يقينا . . لقد قلت شيئا فى نفسى ما سمعته أذناى . . فقال : «قل وأنا أسمع» . . قال : قلت :

غدوتك مولودا وعلتك يا فعا ... تَعـُلُّ بما أجنى عليك وتنهـــل
إذا ليلة ضاقتك بالسقم لم أبت ... لسقمك إلا ساهــرا أتــملمــل
كأنى أنا المطروق دونك بالـذى ... طرقت به دونــى فعينى تهمــل
تخاف الردى نفسى عليك وإنها ... لتعلم أن الموت وقـت مـــؤجل
فلما بلغت السن والغاية التــى ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمـــل
جعلت جزائى غلظة وفظاظـة ... كـأنـــك أنت المنعم المتفضـــل

(١) الغاز العلماء : ٢٨ .

(٢) رواه البخارى .

فليتك إذ لم ترع حــق أبوتى فعلت كما الجار المجاور يفعل
فوافيتنى حق الجوار ولم تكن على بمالى دون مالـك تبخــل

قال : فأخذ النبى ﷺ بتلابيب ابنه وقال :« أنت ومالك لأبيك » (١) .

٢٦ ـ روى أن ابن عمر شهد رجلا يمانياً يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهــره ويقول:

إنى لها بعيرها المذلل إن أذعرت ركابها لم أذعر
الله ربى ذو الجلال الأكبر

ثم قال : يا ابن عمر أترانى جزيتها . . قال: لا ولا بزفرة واحدة (٢) .

٢٧ ـ شكى رجل إلى رسول الله ﷺ سوء خلق أمه ، فقال : لم تكن سيئة الخلق حين حملتك فى بطنها تسعة أشهر . قال : إنها سيئة الخلق . . قال : لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين . قال : إنها سيئة الخلق . قال : لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت لك نهارها . قال : لقد جازيتها . قال : ما فعلت ؟ قال : حججت بها على عنقى . قال : ما جزيتها (٣) .

٢٨ ـ روى أن ابن عمر رضي الله عنه رأى رجلاً يطوف بالكعبة حاملاً أمه على رقبته ، فقال : يا ابن عمر أترى أنى جزيتها ؟ قال : لا ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ، ولكنك أحسنت والله يثيبك على القليل كثيراً .

*** ومن أجمل ما قيل فى بر الوالدين من شعر :**

لأمــك حق لو عــلمت كـبير كثيرك يا هــذا لديه يسـير
فكم ليلة باتت بثقلـك تشـــتكى لها من جــواها أنة وزفير
وفى الوضع لو تدرى عليك مشـقة فمن غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بـيـمينها وما حجرها إلا لديك ســرير

(١) رواه الطبرانى والبيهقى .

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد .

(٣) روى هكذا دون سند فى الرياض الندية : ١٧٨ .

وتـــفديك مما تشتكـــيه بنفســها ... ومن ثديها شرب لـــديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطـــتك قوتهـا ... حناناً وإشفاقاً وأنــت صـغير
فآها لذى عـــقل ويتبع الــــهوى ... وآها لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب فى عميم دعـــائها ... فأنت لما تدعو إليــــه فقـــير

* الشريف الرضى من أعظم شعراء العربية عاش فى القرن الرابع الهجرى . . كان باراً بوالدته التى توفيت فى ذى الحجة سنة ٣٨٥ هجرية . . فأنشد فى رثائها قصيدة عظيمة أعدت من روائع الشعر العربى . . اخترت منها هذه الأبيات .

قال الشريف الرضى فى رثاء أمه « فاطمة بنت الناصر »:

أبكيك لو نقع الغــــليل بكائى ... وأقول لو ذهب المقــال بدائى
وأعوذ بالصبر الجميل تعــزيـا ... لو كان بالصبر الجميل عزائـــى
طوراً تكاثرنى الدموع وتــــارة ... آوى إلــى أكرومــتى وحيائــى
ما كنت أدخر فى فـداك رغيبـة ... لو كان يرجع ميـت بفـــــداء
وجرى الزمان على عوائد كيـده ... فى قلب آمالى وعكس رجائـى
قد كنت آمل أن أكون لك الفدا ... مما ألم فكنت أنت فــــدائى
وتفرق البعـــــداء بعد مـــودة ... صعب ، فكيف تفرق القرباء؟
أنضيــــت عيشك عفة وزهادة ... وطرحت مثقلة من الأعبـــاء
لو كـــان مثـــلك كل أم برة ... غُنى البنون بها عن الآبـــاء
فعلات مــــعروف تقر نواظرى ... فتكون أجلب جالب لبكـائى
ما مات من نزع البقاء ، وذكـره ... بالصالحات يعد فى الأحـــياء
فبأى كـــــف أســتجن وأتقى ... صرف النوائب أم بأى دعــاء
ومن الذى إن ساورتنى نـــكبة ... كان الموقى لى من الأســـواء
أم من يلط [1] على ستر دعـــائه ... حرماً من البأساء والضــــراء

---

(١) يلط : يرخى .

شهد الخـــلائق أنهـــــا لنجيبة بدليل من ولـدت مـــن النجبـــاء
فى كل مظلم أزمة أو ضيـــــقة يبدو لها أثر اليـــد البيـــــضـــاء
لو كان يبلغك الصـــــفيح رسائلى أو كان يسمعك التـــراب ندائـــى
لسمعت طول تأوهى وتــــــفجعى وعلمت حسن رعايتى ووفـــــائى
كان ارتكاضى فى حشاك مســـبباً ركض الغليل عليك فى أحشائـــى
إن الذى أرضاه فعلـــــك لا يزل ترضيك رحمـــته صباح مســـــاء[1]

★ ★ ★

(١) القصيدة مكونة من أربعة وستين بيتاً اخترنا منها عشرين بيتاً لعدم الطول .

الباب الخامس :

حق الأبناء على الآباء

١ ـ عن أنس بن مالك ﷺ قال : ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ . قال : كان إبراهيم مسترضعاً له فى عوالى المدينة . فكان ينطلق ونحن معه فيدخل النبى ﷺ فيأخذه فيقبله ثم يرجع[1] ، ويوم أن نام إبراهيم ابن النبى ﷺ فى حضن أمه مارية وكان عمره ستة عشر شهراً والموت يرفرف بأجنحته عليه ، والرسول ﷺ ينظر إليه ويقول له : « يا إبراهيم أنا لا أملك لك من الله شيئاً » ، ومات إبراهيم وهو آخر أولاده ، فحمله الأب الرحيم ووضعه تحت أطباق التراب وقال له :« يا إبراهيم إذا جاءتك الملائكة فقل لهم: الله ربى ورسول الله أبى والإسلام دينى » ، فنظر الرسول ﷺ خلفه فسمع عمر بن الخطاب ﷺ ينهنه بقلب صديع ، فقال له : «ما يبكيك يا عمر ؟» . . فقال عمر : يا رسول الله ابنك لم يبلغ الحلم ولم يجر عليه القلم وليس فى حاجة إلى تلقين . . فماذا يفعل ابن الخطاب وقد بلغ الحلم وجرى عليه القلم ولا يجد ملقناً مثلك يا رسول الله ؟ وإذا بالإجابة تنزل من رب العالمين جل جلاله رداً على سؤال عمر: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[إبراهيم : ٢٧] [2] .

٢ ـ وأما بنات النبى ﷺ فلقد كان يحبهن وينصحهن ويسدى إليهن النصائح بحسن

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه : ٢/ ٢٥٤ وأخرجه أحمد .

(٢) أنيس المؤمنين :١٥ .

معاشرة أزواجهن . . ومن هذا ما رواه عبد الرحمن القرشى ﷺ أن النبى ﷺ دخل على ابنته رقية ﷺ وهى تغسل رأس زوجها سيدنا عثمان ﷺ : فقال لها :« يا بنية أحسنى إلى أبى عبد الله فإنه أشبه أصحابى بى خلقاً »[١] .

ومن حبه لهن ما قاله ﷺ يوم أن أرادت السيدة زينب الكبرى ابنة رسول الله ﷺ أن تفتدى زوجها بقلادة أمها السيدة خديجة ﷺ، فدمعت عينى رسول الله ﷺ وقال لأصحابه: « إن شئتم أن تردوه وتردوا عليها قلادتها» . . ففعلوا [٢] .

٣ ـ كان النبى ﷺ إذا أقبل من سفر أول ما يقصد المسجد فيصلى ركعتين ، ثم يثنى بفاطمة ثم بأول أزواجه ، ولقد كان ﷺ يخفف عنها لضيق عيشتها مع الإمام على ﷺ ويزف إليها البشرى باصطفاء الله إياها . . ولقد قال لها ﷺ عندما عادها فى مرضها : « أما ترضين يا فاطمة أن تكونى سيدة نساء العالمين ؟» فقالت : وأين مريم بنت عمران ؟ فقال لها :« تلك سيدة نساء عالمها ، وأنت سيدة نساء عالمك ، والله لقد زوجك الله سيداً فى الدنيا والآخرة . . » وكان ﷺ إذا دخلت عليه يقوم لها ويقبلها ويأخذ بيدها ويجلسها فى مجلسه ، وكانت تفعل مع حضرته ذلك إذا أقبل عليها [٣] .

٤ ـ قالت عائشة ﷺ: إن رسول الله ﷺ دعا فاطمة ابنته ﷺ فى وجعه ـ أى مرض وفاته ـ الذى توفى فيه فسارها ـ كلمها فى أذنها ـ بشىء فبكت ، ثم دعاها فسارها فضحكت ، قالت : ـ أى السيدة عائشة ـ فسألتها عن ذلك ، فقالت : أخبرنى رسول الله ﷺ أنه يقبض فى وجعه هذا فبكيت ، ثم أخبرنى أنى أول أهله لحاقاً به فضحكت [٤] وقد كان هذا ، فكانت ﷺ أول من لحق بحضرته بعد وفاته ﷺ [٥] .

٥ ـ ويمتد هذا الحب إلى أحفاده ﷺ ولقد حكت لنا السيرة العطرة عن ذلك الحب. منها ما رواه البراء بن عازب ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يصلى فجاء الحسن

---

(١) أخرجه الطبرانى ـ الهيثمى ٩/ ٨١ .
(٢) من أخلاق المصطفى : ١٩ .
(٣) من أخلاق المصطفى :٢١ .
(٤) أخرجه ابن سعد : ٢/ ٣٩ .
(٥) من أخلاق المصطفى : ٢١ .

والحسين أو أحدهما ﷺ فركب على ظهره فكان إذا رفع رأسه قام بيده فأمسكه ـ أو أمسكهما ـ قال : « نعم المطية مطيتكما » (١) .

ـ وعن جابر ﷺ قال : دخلت على النبى ﷺ وهو يمشى على أربعة وعلى ظهره الحسن والحسين ﷺ وهو يقول : « نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما » (٢) .

ـ وروى جابر ﷺ قال : كنا مع رسول الله ﷺ فدعينا إلى الطعام ، فإذا الحسين ﷺ يلعب فى الطريق مع صبيان ، فأسرع النبى ﷺ أمام القوم ثم بسط يده فجعل حسين يفر هاهنا وهاهنا فيضاحكه رسول الله ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه فى ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه ثم اعتنقه وقبله ثم قال :« حسين منى وأنا منه . أحب الله من أحبه . الحسن والحسين سبطان من الأسباط » (٣) .

ـ وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر يخطب الناس فخرج الحسين بن على ﷺ فى عنقه خرقة يجرها ، فعثر فيها فسقط على وجهه فنزل النبى ﷺ عن المنبر يريده فلما رآه الناس أخذوا الصبى فأتوه به فأخذه وحمله فقال: « قاتل الله الشيطان . إن الولد فتنة والله ما علمت ـ أى ما شعرت ـ أنى نزلت عن المنبر حتى أتيت به» (٤) .

٦ ـ قال الإمام ابن كثير فى تفسيره : ذكر الله تعالى لقمان بأحسن الذكر ، وهو يوصى ولده الذى هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه ، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ، ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً : ثم قال محذراً له : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان :١٣] (٥) .

ـ ومن هذه الوصايا :« يا بنى . . إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير . . فاجعل سفينتك فيها تقوى الله ، والأعمال الصالحة بضاعتك التى تحمل فيها ،

(١) أخرجه الطبرانى .

(٢) أخرجه الطبرانى . وذكره الهيثمى ٩/ ١٨٢ .

(٣) أخرجه الطبرانى . كذا فى الكنز : ٧/ ١٠٧ .

(٤) أخرجه الطبرانى عن شيخه حسن . كذا فى « من أخلاق المصطفى» .

(٥) مختصر تفسير ابن كثير : ٣/ ٦٢ .

والحرص عليها ربحك ، والأيام موجها ، وكتاب الله دليلها ، ورد النفس عن الهوى حبالها ، والموت ساحلها ، والقيامة أرض المتجر التى تخرج إليها ، والله مالكها »[١] .

٧ ـ من حق الابن على أبيه أن يسدى إليه النصيحة ويدله على الطريق القويم وهذا ما فعله إبراهيم مع ابنه إسماعيل روى الإمام البخارى فى صحيحه قال :« . . . وماتت أم إسماعيل : فجاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ بعد أن تزوج إسماعيل يطالع تركته ـ يتفقد حالهم ـ فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغى ـ يطلب صيداً ـ لنا ، ثم سألها عن عيشتهم وهيئتهم فقالت : نحن بشر ، نحن فى ضيق وشدة ، وشكت إليه . قال : فإذا جاء زوجك اقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته ، فسألنى : كيف عيشنا فأخبرته أنا فى جهد وشدة . قال : فهل أوصاك بشىء ؟ قالت : نعم ، أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول : غير عتبة بابك . قال : ذاك أبى وقد أمرنى أن أفارقك ، الحقى بأهلك : فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسأل عنه . قالت : خرج يبتغى لنا . قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت: نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله . فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم . قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء . قال : اللهم بارك لهم فى اللحم والماء . قال النبى ﷺ : « ولم يكن لهم يومئذٍ حب ، ولو كان لهم حب لدعا لهم فيه » قال : فهما لا يخلوان عليهما أحد بغين إلا لم يوافقاه .

قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ، ومريه يثبت عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة ، وأثنت عليه، فسألنى عنك فأخبرته ، فسألنى كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا بخير . قال : فأوصاك بشىء ؟ قالت : نعم . هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك ، قال : ذاك أبى ، وأنت العتبة ، وأمرنى أن أمسكك . . . » [٢] .

(١) من وصايا الرسول : ٦٥٤ .

(٢) جزء من حديث رواه البخارى موصولاً (٣١٨٤) ورواه أحمد (٣٢٤٠) موصولاً أيضاً .

٨ ـ روى عن عمر بن الخطاب ﷺ أن رجلاً جاء إليه بابنه فقال : إن ابنى هذا يعقنى . فقال عمر ﷺ للابن : أما تخاف الله فى عقوق والدك ؟ فإن من حق الوالد كذا ومن حق الولد كذا ، فقال الابن : يا أمير المؤمنين أما للابن على والده حق ؟ قال : نعم ، حقه عليه أن يستنجب أمه ـ يعنى لا يتزوج دنيئة لكى لا يكون للابن تعيير بها ـ قال : ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب . فقال الابن : فو الله ما استنجب أمى وما هى إلا سندية اشتراها بأربعمائة درهم ، ولا أحسن اسمى ولكنه سمانى جعلاً ـ ذكر الخفاش ـ ولا علمنى من كتاب الله آية واحدة . فالتفت عمر ﷺ إلى الأب وقال : تقول ابنى يعقنى فقد عققته قبل أن يعقك . . قم عنى (١) .

٩ ـ دخل عمرو بن العاص ﷺ على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذه تفاحة القلب ، فقال : انبذها عنك ، فإنهن يلدن الأعداء، ويقربن البعداء ويورثن الضغائن . . قال : لا تقل يا عمرو ذلك ، فو الله ما مرض المرضى ، ولا ندب الموتى ، ولا أعان على الإخوان إلا هن . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين إنك حببتهن إلى (٢) .

١٠ ـ قال ثابت البنانى : روى أن رجلاً كان يضرب أباه فى موضع ، فقيل له: ما هذا ؟ فقال الأب : خلوا عنه فإنى كنت أضرب أبى فى هذا الموضع ، فابتليت بابنى يضربنى فى هذا الموضع ، هذا بذاك ولا لوم عليه (٣) .

١١ ـ دخل الأقرع بن حابس على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فوجده يلعب مع صبيانه ، وهم متعلقون بذراعه وفوق ظهره ، فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ أهكذا تفعلون مع أولادكم ؟ فتنبه عمر وسأله : وأنت يا أقرع ماذا تفعل فى بيتك ؟ قال : أما أنا فإذا دخلت بيتى جلس الواقف، وسكت المتكلم، واعتدل النائم . . .وإن لى عشرة أولاد ما قبلت واحداً منهم . فقال عمر:إذن أنت لا تصلح أن تكون والياً للمسلمين ،

---

(١) تنبيه الغافلين : ٩١ .

(٢) المستطرف : ٢٨١ .

(٣) تنبيه الغافلين : ٩١ .

وأمر به فعزل (١) .

١٢ ـ قيل لحكيم : أى ولدك أحب إليك ؟ قال : صغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم حتى يبرأ ، وغائبهم حتى يحضر (٢) .

١٣ ـ روى عن أبى حفص البيكندى ـ وكان من علماء سمرقند ـ أنه أتاه رجل فقال: إن ابنى ضربنى وأوجعنى . قال : سبحان الله ، الابن يضرب أباه . قال : نعم: ضربنى وأوجعنى . فقال : هل علمته الأدب والعلم ؟ قال : لا . قال : فهل علمته القرآن ؟ قال : لا . . قال : فأى عمل يعمل ؟ قال : الزراعة . . فقال : هل علمته لأى شىء ضربك ؟ . قال : لا .

قال أبو حفص : فلعله حين أصبح وتوجه إلى الزرع وهو راكب على الحمار والثيران بين يديه والكلب من خلفه . . وهو لا يحسن القرآن فتغنى ، وتعرضت له فى ذلك الوقت ، فظن أنك بقرة فاحمد الله حيث لم يكسر رأسك (٣) .

١٤ ـ فى يوم من أيام العيد جاءت بنات عمر بن عبد العزيز ﷺ إليه وقلن : يا أمير المؤمنين إن العيد غداً وليس عندنا ثياب جديدة نلبسها ، فنظر أمير المؤمنين إليهن وقال : يا بناتى ليس العيد لمن لبس الجديد ، وإنما العيد لمن خاف يوم الوعيد .

وعندما حضرته الوفاة ترك خمسة عشر ولداً منهم الذكور والإناث ، وعاده الناس وهو على فراش الموت ، وسألوه : ما تركت لأولادك الخمسة عشر ؟

فقال لهم : تركت لهم تقوى الله ، فإن كانوا صالحين فالله يتولى الصالحين ، وإن كانوا غير ذلك فلم أترك لهم شيئاً يستعينون به على معصية الله (٤) .

١٥ـ كان لأعرابى امرأتان . فولدت إحداهما جارية والأخرى غلاماً ، فرقصته أمه يوماً وقالت معايرة ضرتها :

الحمد لله الحميد العالـى أنقذنى العام من الجوالى

---

(١) مائة قصة : ٥٤ ، ومن وصايا الرسول : ١٦٠ .

(٢) المستطرف : ٢٨١ .

(٣) تنبيه الغافلين : ٩١ .

(٤) أنيس المؤمنين : ٤٨ .

من كل شوهاء كشن بالى ... لا تدفع الضيم عن العيالِ

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول :

وما على أن تكون جارية ... تغسل رأسى وتكون الغالية
وترفع الساقط من خمارية ... حتى إذا بلغت ثمانية
أزرتها بنقبة يمانية ... أنكحتها مروان أو معاوية
أصهار صدق ومهور غالية

قال : فسمعها مروان . فتزوجها على مائة ألف مثقال . وقال : إن أمها حقيقة ألا يكذب ظنها ، ويخان عهدها ، فقال معاوية : لولا مروان سبقنا إليها لأضعفنا لها المهر، ولكن لا نحرم الصلة ، فبعث إليها بمائتى ألف درهم (١) .

١٦ ـ سب أعرابى ولده وذكر له حقه ، فقال : يا أبتاه . . إن عظيم حقك على لا يبطل صغير حقى عليك .

- روى عن بعض الصالحين أنه كان لا يأمر ابنه بأمر ، وكان إذا احتاج إلى شىء يأمر غيره ، فسئل عن ذلك فقال : إنى أخاف أنى لو أمرت ابنى بذلك يعصينى فى ذلك فيستوجب النار ، وأنا لا أحرق ابنى بالنار.

*** ومن أجمل ما قيل فى هذا من شعر :**

قال عبد العزيز الديرينى :

أحب بنيتى وودت أنى ... دفنت بنيتى فى قاع لحد
ما بى أن تهون على لكن ... مخافة أن تذوق الذل بعدى
فإن زوجتها رجلاً فقيراً ... أراها عنده والهم عندى
وإن زوجتها رجلاً غنياً ... فيلطم خدها ويسب جدى
سألت الله يأخذها قريباً ... ولو كانت أحب الناس عندى

وقال هارون بن يحيى :

أرى ابنى تشابه من على ... ومن يحيى وذاك به خليق

(١) المستطرف : ٢٨٢ .

وإن يشبهما خُلقاً وخلقاً فقد تسرى إلى الشبه العروق

وقال الحسن بن زين العلوى :

قالوا عقيم لم يولد لــــه ولد والمرء يخلفه من بـــعده الولدُ
فقلت من علقت بالحرب همته عاف النساء ولم يكثر له عدد

وكان الزبير بن العوام ﷺ يرقص ولده فيقول :

أزهر من آل بنى عتيـق
مبارك من ولد الصديق
ألذه كـــــما ألذ ريقى

وقال آخر :

وإنما أطفــــالنا بــــيننا أكبادنا تمشى عـــلى الأرض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عينى عن الغمض

ابن الرومى من أعظم شعراء العصر العباسى ، قال فى رثاء ابنه محمد :

توخى حمام الموت أوسط صبيتى فلله كيف اختار واسطة العــقــد؟
طواه الردى عنى فأضحى مـزاره بعيداً على قرب قريباً عــلى بعــد
لقد أنجزت فيه المنايا وعيدهــــا وأخلفت الآمال ما كان من وعــد
ألح عليه النزف حتى أحــــاله إلى صفرة الجادى عن حمرة الورد
فيالك من نفس تـــساقط أنفساً تســاقط در من نظـــام بلا عقد
الام لما أبدى عليك مـــن الأسى وإنى لأخفى منك أضعاف ما أبدى
محمد ما شىء تــــوهم سلوة لقلبى إلا زاد قــلبى من الوجـــد
أرى أخويك البـــــاقين كليهما يكونان للأحزان أورى مـــن الزند
إذا لعبا فى ملعب لــــك لذعا فؤادى بمثل النار من غير ما قصـــد
وأنت وإن أفردت فى دار وحشة فإنى بدار الأنس فى وحشة الفـــرد

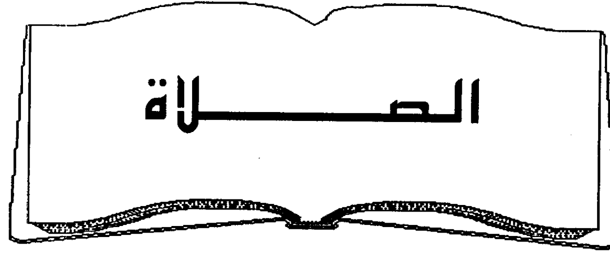
وقال الإمام على ﷺ :

حرض بنيك على الآداب فى الصغر كيما تقر بهم عيناك فى ال

وإنما مثــل الآداب تجــمعها	فى عنفوان الصبا كالنقش فى الحجر
هى الكنوز التى تنمـو ذخـائرها	ولا يخاف عليها حـادث الغــير
إن الأديب إذا زلــت به قــدم	يهوى إلى فــرش الديباج والسرر
الناس صنفان ذو علم ومستمع	واع وسائرهم كالــلغو والعكـر

* * *

الباب السادس :



١ ـ قال الله عز وجل فى الحديث القدسى الجليل : « إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصراً على معصيتى ، وقطع النهار فى ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب .. ذلك نوره كنور الشمس : أكلؤه بعزتى ، وأستحفظه ملائكتى أجعل له فى الظلمة نوراً ، وفى الجهالة حلماً .. ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة »(١) .

٢ ـ روى أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فى ناحية المسجد ، فصلى ثم جاء فسلم عليه : فقال له النبى : «وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل »، فصلى ثم جاء فسلم ، فقال :« وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل» ، فصلى ثم جاء فسلم ، فقال : «وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل »، فقال فى الثانية أو فى التى تليها : والذى بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمنى يا رسول الله . فقال : «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ، ثم استقبل القبلة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تطمئن قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها »(٢) .

٣ ـ أقبل ابن أم مكتوم فقال : يا رسول الله بأبى وأمى .. أنا كما ترانى قد دبرت سنى ورق عظمى وذهب بصرى ولى قائد لا يلايمنى قياده إياى ، فهل تجد لى رخصة

---

(١) أخرجه البزار عن ابن عباس .

(٢) رواه الشيخان .

أصلى فى بيتى الصلوات ؟ فقال الرسول ﷺ : « هل تسمع المؤذن فى البيت الذى أنت فيه ؟» قال : نعم يا رسول الله . قال :« لا أجد لك رخصة » (١) .

٤ ـ وفى حديث الإسراء . . « ثم أتى ـ يعنى النبى ﷺ ـ على قوم ترضخ رءوسهم بالصخرة ، كلما رضخت عادت كما كانت ، ولا يفتر عنهم من ذلك شىء . فقال : يا جبريل . . من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين تثاقلت رءوسهم عن الصلاة المكتوبة . . »(٢).

٥ ـ روى أن امرأة من بنى إسرائيل جاءت إلى موسى عليه السلام فقالت : يا رسول الله إنى أذنبت ذنباً عظيماً ، وقد تبت منه إلى الله تعالى فادع الله أن يغفر لى ذنبى ويتوب على، فقال لها موسى عليه السلام : وما ذنبك ؟ قالت : يا نبى الله إنى زنيت وولدت ولداً فقتلته ، فقال لها موسى : اخرجى يا فاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك ، فخرجت من عنده منكسرة القلب ، فنزل جبريل عليه السلام وقال : يا موسى . . الرب تعالى يقول لك : لم رددت التائبة ؟ يا موسى أما وجدت شراً منها؟ قال موسى : يا جبريل ومن هو شر منها ؟ قال : تارك الصلاة عامداً متعمداً (٣) .

٦ ـ لقد فرض الله تعالى الصلاة على الأمم التى سبقتنا . . فقال لموسى عليه السلام: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه :١٤] : وقال عن زكريا عليه السلام : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران : ٣٩] وقال تعالى عن مخاطبة الملائكة لمريم عليها السلام : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران : ٤٣] وقال على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣١] .

٧ ـ روى أن عيسى عليه السلام مر على شاطئ البحر فرأى طيراً من نور انغمس فى الطين ثم خرج فاغتسل فعاد إلى حسنه، ثم انغمس فى الطين ، ثم خرج فاغتسل فعاد

(١) رواه الطبرانى .
(٢) رواه البزار .
(٣) الكبائر : ١٧ .

إلى حسنه ، وهكذا خمس مرات ، فتعجب من ذلك ، فقال جبريل : يا عيسى إن الطير جعله الله مثلاً لمن صلى الصلوات الخمس من أمة محمد ﷺ فالطين كالذنوب ، والاغتسال فى البحر كفعل الصلوات الخمس (١) .

٨ ـ كما روى أيضاً أن عيسى عليه السلام مر على قرية كثيرة الأشجار والأنهار فأكرمه أهلها فتعجب من حسن طاعتهم ، ثم مر عليها بعد ذلك بثلاث سنين ، فرأى الأشجار يابسة والأنهار ناشفة ، وهى خاوية على عروشها .. فتعجب من ذلك ، فأوحى الله إليه : قد مر على القرية رجل تارك الصلاة فغسل وجهه من عينها ، فنشفت العين ويبست الأشجار وخربت القرية ، يا عيسى لما كان ترك الصلاة سبباً لهدم الدين كان سبباً لخراب الدنيا (٢) .

٩ ـ روى عن قتادة : أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﷺ فقال : يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما أغرقوا ، ولو صلاها قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم ، ولو صلاها قوم ثمود ما أخذتهم الصيحة ثم قال قتادة : عليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين حسن (٣) .

١٠ ـ روى أنه كان مكتوباً فى محراب داود عليه السلام :« أيها المصلى من أنت ؟ ولمن أنت ؟ وبين يدى من أنت ؟ ومن تناجى ؟ ومن يسمع كلامك ؟ ومن ينظر إليك؟» (٤) .

ـ ولذلك روى أن داود قال ذات يوم فى مناجاته :« إلهى .. من يسكن بيتك؟ وممن تتقبل الصلاة ؟ فأوحى الله إليه : يا داود إنما يسكن بيتى وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتى ، وقطع نهاره بذكرى ، وكف نفسه عن الشهوات ... من أجلى يطعم الجائع ويؤوى الغريب ويرحم المصاب، فذلك الذى يضىء نوره فى السموات كالشمس، إن دعانى لبيته ، وإن سألنى أعطيته ، أجعل له فى الجهل حلماً ، وفى الغفلة ذكراً

(١ ، ٢) نزهة المجالس : ١/ ١٣٠ .

(٣) تنبيه الغافلين : ٢١٠ .

(٤) الرياض الندية : ٦٥ .

وفى الظلمة نوراً ، وإنما مثله فى الناس كالفردوس فى أعلى الجنان ، لا تيبس أنهاره ولا تتغير ثماره » (١) .

١١ ـ عندما انتهى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم من صلاة العصر وكان يؤم المسلمين سأل عن أحد الصحابة الذى لم يحضر الصلاة فقيل : إنه مريض يا أمير المؤمنين ، فذهب إلى بيته وطرق الباب ، وإذا بالصحابى يقول : من الطارق ؟

فقال له : أنا عمر بن الخطاب ، فأخذ الصحابى يجرى ليفتح الباب لأمير المؤمنين، وعندما وقعت عينا أمير المؤمنين على وجه الصحابى قال له : ما الذى خلفك عن الصلاة معنا ؟ أينادى عليك الله من فوق سبع سموات « حى على الصلاة » فلا تجبه ، وينادى عليك عمر بن الخطاب فتجيبه (٢) ؟!

١٢ ـ قال ابن عمر رضي الله عنهما : خرج عمر يوماً إلى حائط ـ بستان ـ له ، فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتنى صلاة العصر مع الجماعة، أشهدكم أن حائطى على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر (٣) .

ـ كما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال وهو على المنبر : « إن الرجل ليشيب عارضاه فى الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة » قيل : وكيف ذلك ؟ قال :« لا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها وتواضعه وإقباله على الله فيها » (٤) .

ـ ولما طُعن عمر بن الخطاب قيل : الصلاة يا أمير المؤمنين . قال : نعم أما أنه لاحظ فى الإسلام لمن ترك الصلاة ، وذلك حين استيقظ من إغمائه بعد أن طعنه المجوسى أبو لؤلؤة اللعين ، وصلى رضي الله عنه وجرحه يجرى دمه (٥) .

١٣ ـ إن التابعى عروة بن الزبير رضي الله عنه ابن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنه ابتلى بسرطان فى ساقه : فقال له الأطباء : لا بد من بتر الساق يا عروة ، فسلم عروة الأمر

(١) إحياء علوم الدين :١/ ٢٢٢ .
(٢) أنيس المؤمنين : ٢٧ .
(٣) الكبائر : ٢٢ .
(٤) المستطرف : ٨ .
(٥) الرياض الندية :٥٢ .

لله ورضى بقضائه وجىء به إلى غرفة العمليات الجراحية ليبتر الساق عن الفخذ ، قال له الأطباء : تناول مخدراً لكى لا تشعر بألم الجراح يا عروة ، فقال لهم عروة : معاذ الله أن أتناول شيئاً يغيب عقلى عن التفكير فى عظمة الله ، فقالوا له : فكيف تقطع الساق يا عروة ؟ قال لهم : إذا أنا دخلت الصلاة وكبرت تكبيرة الإحرام وجلست لقراءة التشهد فاقطعوا ساقى فإننى عند ذلك لا أفكر فى الدنيا ، وإنما أكون فى سبحات مع الله العلى العظيم . . ففعلوا (١) .

١٤ ـ سُئل حاتم الأصم : كيف تصلى ؟ فقال : إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء، وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه ، وأقعد حتى تجتمع جوارحى ، ثم أقوم إلى صلاتى ، وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى ، والجنة عن يمينى ، والنار عن شمالى ، وملك الموت ورائى ، وأظنها آخر صلاتى ، ثم أقوم بين الخوف والرجاء ، وأكبر تكبيراً بتحقيق ، وأقرأ قراءة بترتيل ، وأركع ركوعاً بتواضع ، وأسجد سجوداً بتخشع ، وأقعد على الجانب الأيسر ، وأنصب قدمى اليمنى على الإبهام ، وأتبعها الإخلاص ، ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا (٢) .

ـ ولذلك روى أن حاتم الأصم قال : فاتتنى صلاة الجماعة مرة ، فعزانى أبو إسحاق البخارى وحده ، ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف نفس ؛ لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا . ولو مات أولادى كلهم لكان أهون على من فوات تلك الجماعة (٣) .

١٥ ـ عن عبيد الله بن عمر القواريرى (٤) ﷺ قال : لم تكن تفوتنى صلاة العشاء فى الجماعة قط ، فنزل بى ليلة ضيف فشغلت بسببه وفاتتنى صلاة العشاء فى الجماعة فخرجت أطلب الصلاة فى مساجد البصرة ، فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد ، فرجعت إلى بيتى وقلت : قد ورد فى الحديث أن صلاة الجماعة تزيد على

---

(١) أنيس المؤمنين : ٥١ وستَرِد القصة كاملة فى باب « الصبر على البلاء » .

(٢) من وصايا الرسول : ٢١٩ .

(٣) الكبائر : ٢٢ .

(٤) شيخ البخارى ومسلم وأبى داود مات سنة ٢٣٥ هـ .

صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، فصليت العشاء سبعا وعشرين مرة ، ثم نمت ، فرأيت فى المنام كأنى مع قوم على خيل وأنا أيضا على فرس ونحن نستبق ، وأنا أركض فرسى فلا ألحقهم ، فالتفت إلى أحدهم فقال لى : لا تتعب فرسك فلست تلحقنا ، قلت : ولم ؟ قال: لأنا صلينا العشاء فى جماعة وأنت صليت وحدك ، فانتبهت وأنا مهموم وحزين لذلك (١) .

١٦ ـ روى أن رجلا راود امرأة عن نفسها ، فأخبرت زوجها بذلك ـ وكان إماما ـ فقال : قولى له: صل خلف زوجى أربعين صباحا ـ فجرا ـ حتى أطيعك فيما تريد ، فقالت له ففعل ، ثم دعته ـ بعد هـذه المدة ـ إلى نفسها فقال : إنى تبت إلى الله عز وجل ، فأخبرت زوجها فقال : صدق الله العظيم فى قوله : ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] (٢) .

١٧ ـ أخر أمير المؤمنين هارون الرشيد خليفة الدولة العباسية صلاة العصر ذات يوم، فدخل عليه الإمام أبو يوسف رضى الله عنه ومعه كوب من الماء وقال له : السلام على أمير المؤمنين ، فرد عليه السلام . فقال الإمام أبو يوسف : يا أمير المؤمنين لو أن الأرض جفت من مائها واشتد بك العطش وجئت إليك بنصف هذا الكوب من الماء لتشربه ، فكم تعطينيه ؟

فقال له أمير المؤمنين هارون الرشيد : أعطيك نصف مملكتى . فقال له أبو يوسف: فإذا شربت الماء وحبس فيك الماء فلم ينصرف ، وجاءك طبيب ليصرف الماء بعد حبسه فكم تعطيه ؟

قال هارون الرشيد : أعطيه النصف الآخر من مملكتى ، فقال له أبو يوسف : الله سقاك الماء مجانا ، وصرفه عنك مجانا ، ومع ذلك أخرت له صلاة العصر ! (٣) .

١٨ ـ روى أن عيسى عليه السلام لقى إبليس فقال له : أقسمت عليك بالحى القيوم ما الذى يقصم ظهرك؟ فضرب بنفسه الأرض وقال : لولا الحى القيوم لما أخبرتك . . .

(١) الكبائر : ٢٢ .
(٢) نزهة المجالس : ١ / ١٢٤ .
(٣) أنيس المؤمنين : ٨٦ .

صلاة المرء فى بيته إلا الكتوبة (١) .

ـ كما ذكر أن إبليس ـ عليه لعنة الله ـ كان يرى فى الزمن الأول ، فقال له رجل : يا أبا مرة كيف أصنع حتى أكون مثلك ؟ قال : ويحك لم يطلب منى أحد مثل هذا فكيف تطلب أنت ؟ فقال الرجل : إنى أحب ذلك ، فقال إبليس : أما أن أردت أن تكون مثلى فتهاون بالصلاة ، ولا تبالى من الحلف صادقا أو كاذبا ، فقال له الرجل : لقد عاهدت الله ألا أدع الصلاة ، ولا أحلف يمينا أبدا ، فقال له إبليس : ما تعلم أحد منى بالاحتيال على غيرك ، وأنا عاهدت الله ألا أنصح آدميا قط (٢) .

١٩ ـ سئل الحسن البصرى رحمه الله : ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها؟ قال : لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره (٣) .

ـ وسئل ابن عباس رضى الله عنهما : ما تقول فى رجل يقوم الليل ويصوم النهار ولا يشهد الجمعة ولا يصلى فى جماعة فمات على ذلك فأين هو ؟ فقال : هو فى النار، فاختلف إليه شهراً يسأله عن ذلك وهو يقول : هو فى النار (٤) .

ـ وسُئل الإمام ابن سيرين عن الصلاة فقال : لو خيرت بين الجنة وبين ركعتين لاخترت الركعتين لأن فيهما محبة الله ورضاه ، وفى الجنة محبة النفس ورضاها (٥) .

ـ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : « إن أهم أموركم عندى الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها كان لما سواها أحفظ ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع .

ـ وكان الحسن يقول : يا ابن آدم أى شىء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك ، وأنت أول ما تسأل عنها يوم القيامة (٦) .

٢٠ ـ روى عن بعض السلف أنه أتى(٧) أختا له ماتت فسقط كيس منه فيه مال فى

---

(١) نزهة المجالس : ١ / ١٤١ .
(٢) تنبيه الغافلين : ٢٠٤ .
(٣) المستطرف : ٨ .
(٤) تنبيه الغافلين : ٢٠٥ .
(٥) نزهة المجالس : ١ / ١٤٤ .
(٦) الرياض الندية : ٥٢ .
(٧) أتى : أى أتى قبرها وهو يدفنها .

قبرها فلم يشعر به أحد حتى انصرف عن قبرها ، ثم ذكره فرجع إلى قبرها فنبشه بعدما انصرف الناس ، فوجد القبر يشتعل عليها ناراً فرد التراب عليها ورجع إلى أمه باكياً حزيناً ، فقال : يا أماه . . أخبرينى عن أختى وما كانت تعمل ؟ قالت : وما سؤالك عنها ؟ قال : يا أمى . . رأيت قبرها يشتعل عليها ناراً ، قال : فبكيت وبكت أمى وقالت : يا ولدى . . كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها (١) .

٢١ ـ يروى عن مسلم بن يسار أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله : تحدثوا أنتم فإنى لست أسمعكم . ويروى عنه أنه كان يصلى يوماً فى جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة .

ـ وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه ، فقيل له : ما لك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها .

ـ ويروى عن على بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفر وجهه وتغير لونه ، فيقول له أهله : ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم؟ ولمن أريد أن أناجى ؟ إنه الله (٢) .

٢٢ ـ كان الإمام مالك بن أنس ﷺ يمنع من الصلاة بعد العصر ، فدخل يوماً الجامع فقال له صبى : يا إمام قم واركع ركعتين تحية المسجد ، فقام فصلى ، فقيل له: كيف خالفت مذهبك ؟ فقال : خشيت أن أكون من الذين : ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات : ٤٨] .

*** ومن أجمل ما قيل فى الصلاة من أشعار :**

يا تاركاً لصلاتـــه ... إن الصلاة لتشتكى

وتقول فى أوقاتها ... الله يلعـــن تاركى

وقال آخر :

ألا فى الصلاة الخير والفضل أجمعُ ... لأن بها الرِّقاب لله تخضعُ

(١) الكبائر : ١٧ .

(٢) إحياء علوم الدين : ١/ ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

وأول فرض فى شريعة دينـــنا وآخر ما يبقى إذ الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمـــة وكان كعبد بباب مولاه يقـرع
وكان لرب العرش حين صلاته نجياً فيا طوبى له حين يخشع

وقال آخر :

واغتنم ركعتين فى ظلمة الليـل إذا كنـــت فارغاً تســــتريحا
وإذا ما هممت بالخوض الباطل فاجعـل مكـــانـــه تسبيحـــا
واغتنام السكوت أفضل من خو ض وإن كنت بالحديث فصيحاً

وقال آخر :

خسر الذى ترك الصلاة وخـابا وأبى مـــــعاداً صالحاً ومآبـــا
إن كان يجحدها فحسبك أنـــه أضــحى بربك كـــــافراً مرتابا
أو كان يتركها لنوع تـكاســـل غطى على وجه الصواب حجابا
فالشــــافعى ومالـــك رأيا له إن لم يتب حد الحسام عـــقابا
والــــرأى عندى للإمام عذابه بجميع تأديــــب يــــراه صوابا

ولعبـد الله بن المبارك ﷺ :

إذا ما الليل أظلم كابـدوه فَيُسْفِرُ عنهم وهم ركـــــوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن فى الدنيا هجوع

وقال آخر :

يا أيها الراقد كم تـــرقدُ قم يا حبيبى قد دنا الموعدُ
وخذ من الليل ولو ساعة تحظى إذا ما هجع الرُّقَـــدُ
من نام حتى ينقضى ليـله لم يبلغ المنزل لـــو يجهدُ

* * *

الباب السابع :

الزكـــاة والصدقـــة

١ ـ قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم . فيكوى بها جبينه وجنبيه وظهره ، كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »، قيل : يا رسول الله فالإبل ؟ قال : «ولا صاحب إبل لا يؤدى حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر [١] أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً ، تطؤه بأخفافها ، وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس ، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »، فقيل : يا رسول الله فالبقر والغنم ؟ قال :« ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا غضباء[٢] .. تنطحه بقرونها ، وتطؤه بأظلافها [٣] كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها ، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس ، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » [٤]
قلت : وذلك مصداق قول الله عز وجل :﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا

(١) قاع قرقر : هو المستوى من الأرض الأملس .
(٢) العقصاء : الملتوية القرن ، والجلحاء : التى لا قرن لها ، والعضباء : مكسورة القرن .
(٣) الأظلاف : للبقر والغنم كالحافر للفرس .
(٤) رواه البخارى ومسلم بهذا اللفظ والنسائى مختصراً .

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة : ٣٤ ، ٣٥] .

٢ ـ قال الأحنف بن قيس : كنت فى نفر من قريش فمر أبو ذر فقال: بشر الكانزين بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم، وبكى فى أقفائهم يخرج من جباههم(١) .

ولذلك يروى لنا أبو ذر الغفارى رضي الله عنه . . عن النبى ﷺ أنه قال : « تعبد عابد من بنى إسرائيل ، فعبد الله فى صومعته ستين عاماً ، فأمطرت الأرض واخضرت ، فأشرف الراهب من صومعته فقال : لو نزلت فذكرت الله فازددت خيراً ، فنزل ومعه رغيف أو رغيفان ، فبينما هو فى الأرض لقيته امرأة فلم يزل يكلمها وتكلمه حتى غشيها . . ثم أغمى عليه . . فنزل الغدير يستحم ، فجاء سائل ، فأومأ إليه أن يأخذ الرغيفين ، ثم مات ، فوزنت عبادة ستين سنة بتلك الزنية بحسناته ، ثم وضع الرغيف أو الرغيفان مع حسناته فرجحت حسناته فغفر له » (٢) .

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج، أو تجب فيه الزكاة ولم يزك سأل الرجعة عند الموت ، فقال له رجل : اتق الله يا ابن عباس . . فإنما يسأل الرجعة الكفار ، فقال ابن عباس : سأتلو عليك بذلك قرآناً . قال الله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ..﴾ [المنافقون: ١٠] أى أؤدى الزكاة ﴿ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [المنافقون : ١٠] أى أحج ، قيل له : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتى درهم وجبت فيه الزكاة . قيل : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة . ولا تجب الزكاة فى الحلى المباح إذا كان معداً للاستعمال ، فإن كان معداً للقنية أو الكراء وجبت فيه الزكاة (٣) .

٤ ـ كما روى أنه كان فى زمن ابن عباس رضي الله عنهما رجل كثير المال ، فلما مات حفروا قبره فوجدوا فيه ثعبانا عظيماً ، فأخبروا ابن عباس بذلك فقال : احفروا غيره ،

---

(١) إحياء علوم الدين : ١/ ٣٠٤ . (٢) رواه ابن حبان .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير : ٣ / ٥٠٧ وقال: رواه الترمذى .

فحفروا فوجدوا الثعبان فيه .. حتى حفروا سبعة قبور ، فسأل ابن عباس أهله عن حاله فقالوا: إنه كان يمنع الزكاة ، فأمرهم بدفنه معه ـ أى مع الثعبان (١) .

٥ ـ كانت السيدة عائشة وأم سلمة ﵄ إذا أرسلتا معروفاً إلى فقير قالتا للرسول : احفظ ما يدعو به ، ثم كانتا تردان عليه مثل قوله : وتقولان : هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا (٢) .

ـ وعن أم ذر ـ وكانت تدخل على عائشة ـ ﵂ قالت : بعث عبد الله بن الزبير إلى عائشة رضى الله تعالى عنها بمال فى غرارتين فيهما ثمانون ومائة ألف درهم وهى صائمة ، فجعلت تقسم بين الناس ، فأمست وما عندها من ذلك درهم ، فلما أمست قالت : يا جارية هلمى فطورى ، فجاءتها بخبز وزيت ، فقالت لها: أما استطعت فيما قسمت هذا اليوم أن تشترى لنا لحماً بدرهم ؟ قالت عائشة : لا تعنفينى لو كنت ذكرتينى لفعلت .

ـ وعن عروة بن الزبير قال : لقد رأيت عائشة ﵂ تصدقت بسبعين ألف درهم وإنها لترقع جانب درعها (٣) .

٦ ـ عن أبى هريرة ﵁ قال : لما توفى رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبى بكر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ :« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله ». قال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه ، فقال عمر : فو الله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق (٤) .

٧ ـ روى الحسن أن رجلا أصبح على عهد رسول الله ﷺ صائما ، فلما أمسى لم

---

(١) نزهة المجالس : ١/ ١٦٤ .
(٢) إحياء علوم الدين : ١/ ٣٠٤ .
(٣) تنبيه الغافلين : ٢٣٣ .
(٤) رواه الشيخان وأبو داود والترمذى .

يجد ما يفطر عليه إلا الماء فشرب ، ثم أصبح صائما ، فلما أمسى لم يجد ما يفطر عليه إلا الماء فشرب ، ثم أصبح صائما ، فلما كان اليوم الثالث جهده الجوع ، ففطن به رجل من الأنصار ، فلما أمسى أتى به منزله ، فقال لأهله : قد نزل بنا الليلة ضيف فهل عندنا طعام ؟ فقالت : إن عندنا من الطعام ما يشبع الواحد ،وكانا صائمين ولهما صبى. . فقال لها : إنا نطعم ذلك ضيفنا ونصبر الليلة فنومى الصبى قبل وقت العشاء، وإذا قربت الطعام فأطفئى السراج حتى يرى الضيف أنا نأكل معه حتى يشبع ، فجاءت بثريدة فوضعتها ثم دنت من السراج كأنها تصلحه فأطفأته ، فجعل الأنصارى يضع يده فى القصعة بين يده ولا يأكل شيئا ، فأكل الضيف حتى أتى على ما فى القصعة ، فلما أصبح الأنصارى صلى مع رسول الله ﷺ الفجر ، فلما سلم النبى ﷺ أقبل على الأنصارى وقال : « لقد عجب الله من صنيعكما » يعنى رضى به وتلا هذه الآية : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] وفى رواية للبخارى : « لقد عجب الله عز وجل ـ أو ضحك ـ من فلان وفلانة » وفى رواية لمسلم تسمية هذا الأنصارى بأبى طلحة رضى الله عنه(١) .

٨ ـ روى عن محمد بن يوسف الفريانى قال : خرجت أنا وجماعة من أصحابى فى زيارة أبى سنان رحمه الله ، فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده قال : قوموا بنا نزور جارا لنا مات أخوه ونعزيه فيه ، فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه ، فجلسنا نسليه ونعزيه وهو لا يقبل تسلية ولا تعزية ، فقلنا : أما تعلم أن الموت سبيل لابد منه ؟ قال : بلى ولكن أبكى على ما أصبح وما أمسى فيه أخى من العذاب ، فقلنا له : هل أطلعك الله على الغيب ؟ قال : لا . ولكن لما

---

(١) الحديث متفق عليه : رواه البخارى فى « المناقب » باب ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ﴾ فتح (٧ / ١١٩) ومسلم فى « الأشربة » باب « إكرام الضيف وفضل إيثاره » (ح ١٧٢) ، وقد ذكره الإمام ابن كثير فى تفسيره (٣ / ٤٧٤) برواية أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أصابنى الجهد : فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا ، فقال النبى ﷺ :« ألا رجل يضيف هذا الليلة»، فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله . . . الحديث .

دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره إذ صوت من قبره يقول : آه . . . أقعدونى وحيدا أقاسى العذاب ، وقد كنت أصلى وقد كنت أصوم ، قال : فأبكانى كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر حاله ، وإذا القبر يشتعل عليه نارا وفى عنقه طوق من نار ، فحملتنى شفقة الأخوة ومددت يدى لأرفع الطوق عن رقبته فاحترقت أصابعى ويدى ، ثم أخرج إلينا يده فإذا هى سوداء محترقة قال : فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكى على حاله وأحزن عليه ؟ فقلنا : فما كان أخوك يعمل فى الدنيا ؟ قال : كان لا يؤدى الزكاة من ماله ، قال : فقلنا : هذا تصديق قوله تعالى : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] وأخوك عجل له العذاب فى قبره إلى يوم القيامة: قال : ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول ﷺ وذكرنا له قصة الرجل وقلنا له : يموت اليهودى والنصرانى ولا نرى فيهم ذلك ، فقال : أولئك لا شك أنهم فى النار وإنما يريكم الله فى أهل الإيمان لتعتبروا قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [الانعام : ١٠٤] (١) .

٩ ـ كلمات وآثار فى الزكاة :

ـ قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الأعمال تباهت ، فقالت الصدقة : أنا أفضلكن .

ـ وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول: سمعت الله يقول: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران : ٩٢] والله يعلم أنى أحب السكر .

ـ وقال النخعى : إذا كان الشىء لله عز وجل لا يسرنى أن يكون فيه عيب .

ـ وقال عبيد بن عمير : يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط ، وأعطش ما كانوا قط ، وأعرى ما كانوا قط ، فمن أطعم لله أشبعه الله ، ومن سقى لله سقاه لله، ومن كسا لله عز وجل كساه الله .

---

(١) القصة ذكرها الإمام الذهبى فى « الكبائر » : ٢٥ ، ومحمد بن يوسف هذا هو صاحب الثورى وأحمد وإسحاق والبخارى ، ولد سنة ١٢٠هـ وتوفى سنة ٢١٢ هـ ، والمعروف أن أبا ذر الغفارى صاحب رسول الله ﷺ توفى قبل ولادة محمد بن يوسف الفريانى بأكثر من ثمانين سنة . . فكيف يلتقيان ؟

ـ وقال الحسن : لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض .

ـ وقال الشعبى : من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته ، فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه .

ـ وروى أن الحسن مر به نخاس ومعه جارية ، فقال للنخاس : أترضى فى ثمنها الدرهم والدرهمين ؟ قال : لا ، قال الحسن : فاذهب فإن الله عز وجل رضى فى الحور العين بالفلس واللقمة .

ـ وكان عمر رضى الله عنه يقول : اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوى الحاجة منا .

ـ وقال عمر بن عبد العزيز : الصلاة تبلغك نصف الطريق ، والصوم يبلغك باب الملك ، والصدقة تدخلك عليه .

ـ وقال ابن أبى الجعد : إن الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء ، وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفا وإنها لتفك لحى سبعين شيطانا .

ـ وقال ابن مسعود : إن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله، ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف ، فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة .

ـ وقال لقمان لابنه : إذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة .

ـ وقال يحيى بن معاذ : ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة .

ـ وقال عبد العزيز بن أبى رواد : كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة : كتمان المرض ، وكتمان الصدقة ، وكتمان المصائب [١] .

١٠ ـ كان رجل من قوم صالح ـ عليه السلام ـ قد آذاهم ، فقالوا: يا نبى الله . . ادع الله عليه . . فقال صالح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : « اذهبوا فقد كفيتموه » وكان يخرج كل يوم يحتطب ، قال : فخرج يومئذ ومعه رغيفان ، فأكل

(١) ذكرت هذه الآثار فى باب « أسرار الزكاة ـ إحياء علوم الدين ـ للشيخ الغزالى .

أحدهما وتصدق بالآخر . . قال : فاحتطب ثم جاء بحطبه سالما لم يصبه شىء . . قال : فدعاه صالح وقال : أى شىء صنعت اليوم ؟ قال : خرجت ومعى قرصان فتصدقت بأحدهما وأكلت الآخر . . فقال صالح عليه السلام : حل حطبك . . فحله . . فإذا فيه ثعبان أسود مثل الجذع عاض على جذع من الحطب . . فقال : بهذا دفع عنك . . يعنى بالصدقة (١) .

١١ ـ وعن وهب بن منبه قال : بينما امرأة من بنى إسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابا ، وصبى لها يدب بين يديها إذ جاءها سائل فأعتطه لقمة من رغيف كان معها . . فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبى . . فجعلت تعدو خلفه وهى تقول: يا ذئب . . ابنى ، فبعث الله ملكا انتزع الصبى من فم الذئب ورمى به إليها وقال : لقمة بلقمة (٢) .

١٢ ـ روى أن رجلا أتى إلى أبى هريرة ﷺ فقال : ادع الله لابنى فقد وقع فى نفسى الخوف من هلاكه ، فقال له : ألا أدلك على ما هو أنفع من دعائى وأنجع وأسرع إجابة ؟ قال : بلى . قال : تصدق عنه بصدقة تنوى بها نجاة ولدك وسلامة ما معه ، فخرج الرجل من عنده ، وتصدق على سائل بدرهم وقال : هذا خلاص ولدى وسلامته وما معه ، فنادى فى تلك الساعة مناد فى البحر : ألا إن الفداء مقبول وزيد مغاث ، فلما قدم سأله أبوه عن حاله فقال : يا أبت لقد رأيت فى البحر عجباً يوم كذا وكذا فى وقت كذا وكذا ـ وهو اليوم الذى تصدق فيه والده عنه بالدرهم ـ وذلك أنا أشرفنا على الهلاك والتلف ، فسمعنا صوتاً من الهواء : ألا إن الفداء مقبول وزيد مغاث ، وجاءنا رجال عليهم ثياب بيض فقدموا السفينة إلى جزيرة كانت بالقرب منا وسلمنا وصرنا بخير أجمعين (٣) .

١٣ ـ ذكر أن مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ كان جالساً ذات يوم ، فجاء سائل

(١) وصايا الرسول : ٥٢٢ .
(٢) تنبيه الغافلين : ٢٣٥ .
(٣) المستطرف :١٢ .

وسأله وكان عنده سلة تمر ، فقال لامرأته : ائتينى بها، فأخذها مالك فأعطى نصفها للسائل ورد نصفها إلى امرأته فقالت له امرأته: مثلك لا يسمى زاهداً . . هل رأيت أحداً يبعث إلى الملك هدية مكسرة ؟، فدعا مالك بالسائل وأعطاه البقية ، ثم أقبل على امرأته فقال لها : يا هذه اجتهدى : ثم اجتهدى ، فإن الله تعالى قال : ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ فيقال من أين هذه الشدة ؟ قال : ﴿إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة : ٣٠ ـ ٣٢] اعلمى أيتها المرأة أنا قد طرحنا من عنقنا نصفها بالإيمان ، فينبغى أن نطرح النصف الآخر بالصدقة (١) .

١٤ ـ حكى أن رجلاً جلس يوماً يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية ، فوقف سائل ببابه فخرج إليه وانتهره وطرده ، ودارت الأيام وافتقر هذا الرجل وزالت نعمته حتى أنه طلق زوجته ، وتزوجت من بعده برجل آخر ، فجلس يأكل معها فى بعض الأيام وبين أيديهما دجاجة مشوية ، وإذا بسائل يطرق الباب ، فقال الرجل لزوجته : ادفعى إليه هذه الدجاجة ، فخرجت بها إليه فإذا به زوجها الأول ، فأعطته الدجاجة ورجعت وهى تبكى إلى زوجها ، فسألها عن بكائها ، فأخبرته أن السائل كان زوجها ، وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الأول وطرده ، فقال لها زوجها : ومم تعجبين؟ . . وأنا والله السائل الأول !! (٢) .

١٥ ـ روى أن رجلاً كان غنياً ، وكان له صديق فقير فكان يعطيه من فضل الله ، وبما أن الزمان يتقلب ، فقد انقلب الوضع بمرور الأيام فأصبح الفقير غنياً ، وأصبح الغنى فقيراً ، لكن الفقير عندما ذاق الغنى لم يكن أصيلاً مع صديقه الذى دار عليه الدهر ، فذات يوم ذهب الرجل الذى كان غنياً وافتقر إلى صديقه الغنى يطلب منه كما كان هو يعطيه قبل أن يحل به الفقر، لكن الغنى عندما رآه حول وجهه عنه ولم يعطه شيئاً ، فقال له صديقه السائل :

ترانى مقبلاً فتصد عـنى ... وتزعــــم أننى أبغى رضاكا
سيغنينى الذى أغناك عنى ... فلا فقرى يدوم ولا غناكا (٣)

(١) تنبيه الغافلين : ٢٣٦ .
(٢) مائة قصة .
(٣) وصايا الرسول .

١٦ ـ كان على بن أبى طالب كرم الله وجهه يتصدق بأجود ما عنده ويقول : إنى لأستحى أن أقرأ فى كتابى يوم القيامة : إنك منعت الصحيح لنفسك ، وتصدقت بالرديء لأجلى .

ـ ومن أقواله ـ كرم الله وجهه ـ : اعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت خازناً لغيرك .

ـ رفع رجل إلى الحسن بن على ﷺ رقعة ، فقال : حاجتك مقضية ، فقيل : يا ابن رسول الله لو نظرت فى رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك ؟ فقال : أخاف أن يسألنى الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدى حتى أقرأ رقعته .

ـ قيل لأعرابى معه ماشية : لمن هذه ؟ قال : لله عندى .

ـ عوتب سهل بن عبد الله فى كثرة الصدقة ، فقال : لو أن رجلاً أراد أن ينتقل من دار إلى دار أكان يبقى فى الأولى شيئاً ؟

ـ وروى أن محمد بن كعب القرظى أصاب مالاً كثيراً ، فقيل له : لو ادخرته لولدك من بعدك ؟ قال : لا ، ولكنى أدخره لنفسى عند ربى ، وأدخر ربى لولدى.

ـ وقال يحيى بن معاذ : مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما تصيبان العبد عند موته . . يؤخذ منه ماله كله ، ويسأل عنه كله (١) .

١٧ ـ جاءت امرأة إلى حسان بن أبى سنان فسألته شيئاً فجعل ينظر إليها فإذا هى امرأة جميلة ، فقال : يا غلام أعطها أربعمائة . . فقيل له : يا عبد الله سائلة تسألك درهماً فأعطيتها أربعمائة درهم ؟! فقال : لما نظرت إلى جمالها خشيت أن تفتن فتقع فى المعصية فأحببت أن أغنيها فعسى أن يرغب فيها أحد فيتزوجها (٢) .

١٨ ـ وروى أن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ أهدى إليه برأس شاة فقال : أخى فلان أحوج منى فبعث إليه بها ، فقال الذى بعث إليه : إن فلاناً أحوج منى ، فبعث إليه . . فلم يزل يبعث به واحد بعد واحد حتى تداولت سبعة بيوت . . . ثم رجع إلى

---

(١) الرياض الندية : ٢٢٨ .

(٢) تنبيه الغافلين : ٢٣٣ .

الأول (١) .

١٩ ـ وقف سائل على أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فقال للحسن ـ أو للحسين : اذهب إلى أمك فقل لها : تركت ستة دراهم عندك فهات منها درهماً ، فذهب ثم رجع فقال : قالت : إنما تركت ستة دراهم للدقيق ، فقال على : لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده . . قل لها : ابعثى بالستة دراهم ، فبعثت بها إليه فدفعها إلى السائل . قال : فما حل حبوته حتى مر به رجل معه جمل يبيعه ، فقال على : بكم الجمل ؟ قال : بمائة وأربعين درهماً . فقال على : أعقله على أن نؤخرك بثمنه شيئاً : فعقله الرجل ومضى ، ثم أقبل رجل فقال: لمن هذا البعير ؟ فقال على : لى ، فقال : أتبيعه ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال : بمائتى درهم . قال : قد ابتعته . قال : فأخذ البعير وأعطاه المائتين . فأعطى الرجل الذى أراد أن يؤخره مائة وأربعين درهماً ، وجاء بستين درهماً إلى فاطمة رضي الله عنها ، فقالت: ما هذا ؟ قال : هذا ما وعدنا الله على لسان نبيه ﷺ : ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام : ١٦٠] (٢).

٢٠ ـ عن نافع قال : كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا اشتد عجبه بشىء من ماله قربه لربه عز وجل .

قال نافع : وكان رقيقه ـ عبيده وإماءه ـ قد عرفوا ذلك منه ، فربما شمر أحدهم فيلزم المسجد ، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه ، فيقول له أصحابه : يا أبا عبد الرحمن ـ والله ـ ما بهم إلا أن يخدعوك !! فيقول ابن عمر : فمن خدعنا بالله عز وجل انخدعنا له (٣) .

* والقصص والحكايات كثيرة فى هذا الصدد ، ونظراً لعدم الإطالة فى هذا الباب فقد اكتفينا فيه على ما ذكرناه آنفاً . . على أننا خصصنا له باباً آخراً فى هذا الكتاب اسمه « المتاجرة مع الله » (٤) .

(١) تنبيه الغافلين : ٢٣٣ . (٢) حياة الصحابة/ للكاندهلوى: ٢ / ٢٤٥ وقال : « كذا فى الكنز : ٣/ ٣١١ .
(٣) حياة الصحابة : ٢/ ٢٤٩ وقال : أخرجه أبو نعيم فى الحلية : ١/ ٢٩٤ .
(٤) سيأتى ص (٢٠٢) من هذا الكتاب . .

*** ومن أجمل ما قيل فى الصدقات من أشعار اخترنا ما يلى :**

قال الإمام الشافعى ـ رحمه الله :

يا لهف نفسى على مال أفرقــه   على المقلين مـن أهـل المـــروءات
إن اعتذارى إلى من جاء يسألنى   ماليس عندى من إحدى المصيبات (١)

وقال أيضاً :

وأنطقت الدراهم بعد صمت   أناساً بعد ما كانوا سكـــوتاً
فما عطفوا على أحد بفضـل   ولا عرفوا لمكرمة ثبـــوتا(٢)

وقال آخر :

قدم لنفسك خـــيراً   وأنت مالك مـالك
من قبل تصبح فرداً   ولون حالك حـالك
ولست والله تـدرى   أى المسالك ســالك
إمـــا لجنة عــــدن   أو فى المهالك هالك

وقال آخر :

وكان المال يأتينا فكنــا   نبذره وليس لنا عقــــول
فلما أن تولى المال عنا   عقلنا حين ليس لنا فضول

وقال آخر :

فاحرص على الدرهم والعين   تسلم من العيلة والدين
فقوة العين بإنـــســانــــهـا   وقوة الإنسان بالعـيـن

قال الحافظ السيوطى ـ رحمه الله :

إذا مات ابن آدم ليس يجرى   عليه من خصال غيـــر عـشر
علوم بثها ودعــاء نــــجل   وغرس النخل والصدقات تجرى
وراثة مصحف ورباط ثـــغر   وحفر البئر أو إجراء نهـــــر

(١) انظر : ديوان الإمام الشافعى : ٣٣ .
(٢) ديوان الإمام الشافعى : ٧ .

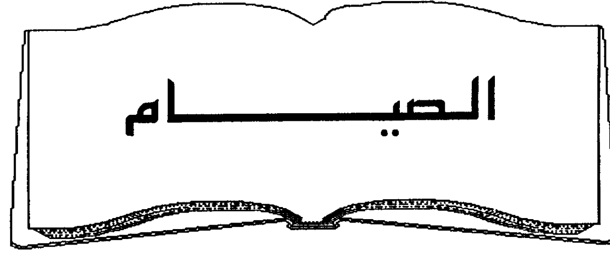
وبيت للغريب بناه يأوى إليه . . أو بناه محل ذكر
وتعليم لقرآن كــــريم فخذها من أحاديث بحصر

وقال حكيم :

إن الغنى إذا تكلم بالخطـــا قالوا صدقت وما نطقت محالا
أما الفقير إذا تكلم صادقـــاً قالوا كذبت وأبطلوا ما قـــالا
إن الدراهم فى المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجـــلالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحـة وهى السلاح لمن أراد قتـــالاً

* * *

الباب الثامن :



١ ـ قال سلمان الفارسى رضي الله عنه :

« خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان قال :« يا أيها الناس . . قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيام نهاره فريضة ، وقيام ليله تطوعاً ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شىء » ، قالوا : يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم عليه ؟ فقال ﷺ :« يعطى الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة أو على شربة ماء ، أو مذقة لبن ، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، واستكثروا فيه من أربع خصال . . خصلتين ترضون بهما ربكم ، وخصلتين لا غناء بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله ، وتستغفرونه ، وأما اللتان لا غناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار ، ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة » (١) .

---

(١) رواه ابن خزيمة فى صحيحه وابن حبان والبيهقى .

٢ـ روى أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ فأجهدهما الجوع والعطش فى آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا، فبعثتا إلى رسول الله ﷺ تستأذنانه فى الإفطار ، فأرسل إليهما قدحاً وقال ﷺ : « قل لهما قيئا فيه ما أكلتما » فقاءت إحداهما نصفه دماً عبيطاً ولحماً غريضاً ، وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه، فعجب الناس من ذلك ، فقال ﷺ : « هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما . . قعدت إحداهما إلى الأخرى ، فجعلتا يغتابان الناس ، فهذا ما أكلتا من لحومهم » (١) .

٣ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ ، فقال : هلكت يا رسول الله . . قال :« وما أهلكك؟ » قال : وقعت على امرأتى فى رمضان ـ جامعتها ـ فقال: « هل تجد ما تعتق رقبة ؟ » قال : لا . . . قال : « فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ » قال : لا . . قال :« فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً ؟ » ، قال : لا . . قال : ثم جلس فأتى النبى ﷺ بعرق (٢) فيه تمر . . فقال: « تصدق بهذا » . . . قال : فهل على أفقر منا ؟ فما بين لابتيها (٣) أهل بيت أحوج إليه منا . . فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه وقال :« اذهب فأطعمه أهلك » (٤) .

٤ـ روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول إذا دخل شهر رمضان : مرحباً بمطهرنا ، فرمضان خير كله ، صيام نهاره ، وقيام ليله ، والنفقة فيه كالنفقة فى سبيل الله (٥) .

ـ وأتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجل شرب الخمر فى رمضان ، فلما رفع إليه عثر الرجل ، فقال عمر : على وجهك . . ويحك وصبياننا صيام ! ثم أمر به فضرب ثمانين سوطاً ، ثم سيره إلى الشام . . وكان رضي الله عنه إذا غضب على إنسان سيره إلى الشام .

٥ـ وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه يحب الصوم فى الحر الشديد ، وكان

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣١) واللفظ له وابن أبى الدنيا وأبو يعلى .
(٢) العرق : مكيال يسع خمسة عشر صاعاً .
(٣) لابتيها : والمراد أطراف المدينة .
(٤) رواه الجماعة .
(٥) روى هذا الأثر فى وصايا الرسول : ٢٢١، وقد ذكرناه كاملاً فى باب « الزهد » .

يتحرى الأيام الحارة فيصومها ، فهو يعلم أنك كلما قاسيت وعانيت فى الصوم زاد أجرك عند الله عز وجل .

ـ ولذلك يروى فى الأثر أن النبى ﷺ كان يجلس ذات يوم بين أصحابه الكرام ، فنظر إلى صاحبه الصديق رضي الله عنه ثم قال له : « أتحب من الدنيا شيئاً يا أبا بكر ؟» قال : نعم . . أحب لأجلك ثلاثا . . قال :« وما هى ؟» قال : نظرى إليك ، وجلوسى بين يديك ، وإنفاق مالى عليك . ثم نظر إلى عمر رضي الله عنه وقال له :« وأنت يا عمر أتحب من الدنيا شيئاً ؟» قال : نعم . . أحب لأجلك ثلاثاً . قال : « وما هى؟ » قال : أمر بالمعروف ولو كان سراً ، ونهى عن منكر ولو كان جهراً ، وقول الحق ولو كان مراً .

ثم نظر إلى عثمان رضي الله عنه وقال له :« وأنت يا عثمان أتحب من الدنيا شيئاً ؟» . قال: نعم . . أحب لأجلك ثلاثاً . . قال :« وما هى ؟ » قال : إطعام الطعام ،وإفشاء السلام ، وركعات بالليل والناس نيام. ثم نظر إلى على رضي الله عنه وقال له :« وأنت يا على أتحب من الدنيا شيئاً ؟ » قال : نعم . . أحب لأجلك ثلاثاً . . قال :« وما هى ؟ » قال : إكرام الضيف ، والصيام فى الصيف ، وضرب أعناق المشركين بالسيف . . .

٦ ـ قيل للأحنف بن قيس : إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك ، فقال : إنى أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه [١].

ـ قال ابن عبد البر : كفى بقوله : الصــوم لــى ، فضلا للصيام على سائر العبادات[٢].

ـ وسئل يوسف عليه السلام : لم تصوم كثيراً وأنت على خزائن الأرض ؟ فقال : « أخاف أن أشبع فأنسى الجائع » [٣].

٧ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما . . أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سرية فى البحر . . فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع فى ليلة مظلمة إذا هاتف فوقهم : يا أهل

---

(١) إحياء علوم الدين : ١/٣٤٣ .

(٢) الرياض الندية : ١٩٤ .

(٣) من وصايا الرسول : ٣١٩ .

السفينة قفوا أخبركم بقضاء الله على نفسه .. فقال أبو موسى : أخبرنا إن كنت مخبراً.. قال : إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه .. أنه من أعطش نفسه له فى يوم حار سقاه الله يوم العطش ، وكان حقاً على الله عز وجل أن يرويه يوم القيامة .. قال راوى الحديث : فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذى يكاد الإنسان ينسلخ فيه حراً فيصومه (١) .

٨ ـ رأى مجوسى ابنه يأكل فى رمضان بحضرة المسلمين فضربه وقال : لِمَ لَمْ تحفظ حرمة المسلمين فى رمضان ، فمات فى ذلك الأسبوع فرآه عالم البلد فى النوم وهو فى الجنة ، فقال : ألست كنت مجوسياً ؟ قال : بلى ولكن لما حضرت وفاتى أدركنى الله بالإسلام لاحترامى شهر رمضان (٢).

٩ ـ إن الحجاج بن يوسف الثقفى كان أميراً على العراق فى عهد الخليفة عبد الملك ابن مروان خليفة الدولة الأموية ، وكان الحجاج لا يأكل إلا إذا أرسل إلى رجل يأكل معه ، وذات يوم وبينما الحجاج فى حال صيد فى الخلاء إذ حضر وقت الغداء فأرسل حارسهُ ليأتى له بمن يشاركه الطعام ، فلم يجد الحارس إلا أعرابياً ينام فى ظل جبل فأيقظه الحارس ، فقام الأعرابى مذعوراً وقال للحارس : لم أيقظتنى يرحمك الله ؟ فقال له الحارس : لتتناول الغداء مع أمير العراق .. أتدرى من هو ؟ فقال الأعرابى : نعم إنه الحجاج بن يوسف ، فأخذه الحارس معه إلى الحجاج ، ولما وقف الأعرابى أمام الحجاج قال له الحجاج : اجلس لتتناول معى الغداء ، فقال الأعرابى : لقد دعانى من هو أفضل منك لأتناول الطعام عنده ، فقال الحجاج : ومن أفضل منى يا أعرابى ؟ قال: إننى اليوم صائم ومدعو على مائدة الله جل جلاله ، قال الحجاج : يا أعرابى أتصوم هذا اليوم واليوم شديد الحرارة ؟ قال الأعرابى : يا حجاج أصومه ليوم أشد منه حراً ، فقال له الحجاج : يا أعرابى صم غداً وأفطر معى اليوم ، قال الأعرابى : يا حجاج .. هل اطلعت على علم الغيب فوجدتنى سأعيش إلى الغد ؟ .. ثم قال

(١) أخرجه البزار وابن أبى الدنيا .

(٢) نزهة المجالس : ١/١٩٣ .

الأعرابى : ماذا تريد منى يا حجاج ؟ فقال له : لا أريد منك شيئاً . . قال الأعرابى : إذاً فدعنى مع الله . . ثم انصرف .

١٠ ـ فى عهد الملك الكامل الأيوبى كان يأمر فى رمضان بإغلاق المطاعم والمقاهى نهاراً ، وإمساك البغايا والقيان . . وكان يذيع هذا النداء : « يا أهل مصر قد أظلكم شهر مبارك . . من لم يصمه بغير عذر شرعى فقد باء بغضب الله عليه ، واستحق أشد أنواع العقاب ، واستهدف لغضبنا عليه وإنزال أشد عقوبتنا به » .

ـ وكان عند ثبوت الرؤية ينزل بنفسه فى أول يوم من رمضان لمباشرة الأسواق ، وتفقد أحوال الرعية ، فإذا صادف مفطراً وتبين أنه أفطر تهاوناً بحرمة الشهر أمر بطرحه وبضربه ضرباً مبرحاً .

١١ ـ قال محمد أبو الفرج ـ رحمه الله : احتجت فى شهر رمضان إلى جارية تصنع لنا الطعام فوجدت فى السوق جارية ينادى عليها بثمن يسير وهى مصفرة اللون نحيفة الجسم يابسة الجلد ، فاشتريتها رحمة لها ، وأتيت بها إلى المنزل فقلت : خذى أوعية وامضى معى إلى السوق لنشترى حوائج رمضان ، فقالت : يا سيدى أنا كنت عند قوم كل زمانهم رمضان ، فعلمت أنها من الصالحات ، فكانت تقوم الليل كله فى شهر رمضان ، فلما كانت آخر ليلة قلت لها : امضى بنا إلى السوق لنشترى حوائج العيد . . فقالت: يا مولاى أى حوائج العيد . . حوائج العوام . .أم حوائج الخواص، فقلت : صفى لى حوائج العوام وحوائج الخواص ؟ فقالت : يا سيدى . . حوائج العوام الطعام المعهود فى العيد . . .وحوائج الخواص الاعتزال عن الخلق والتفريد . . . والتفرغ للخدمة والتجريد . . والتقرب بالطاعات للملك المجيد . . والتزام ذل العبيد ، فقلت لها : إنما أريد حوائج الطعام . قالت : يا سيدى أى الطعام تعنى ؟ طعام الأجساد. . أم طعام القلوب ؟ فقلت : صفيهما لى . . قالت : أما طعام الأجساد ، فهو القوت المعتاد ، وأما طعام القلوب . . فترك الذنوب . . وإصلاح العيوب . . وبحصول المقصود والمطلوب . . وحوائجه الخشوع والتقوى . . وترك الكبر والدعوى. . والرجوع إلى المولى . . والتوكل عليه فى السر والنجوى . . ثم إنها قامت

تصلى ، فقرأت فى الركعة الأولى سورة البقرة إلى آخرها .. ثم لم تزل تصلى وتقرأ سورة بعد سورة حتى وصلت إلى سورة إبراهيم إلى قوله تعالى : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم : ١٧] قال: ولم تزل تردد هذه الآية وهى تبكى إلى أن أغمى عليها ووقعت إلى الأرض فحركها فإذا هى ميتة(١) .

١٢ ـ دخل رجل على أمير المؤمنين على ـ كرم الله وجهه ـ يوم العيد ، فوجده يأكل خبزاً فيه خشونة فى الوقت الذى يأكل فيه غيره من رعيته ما لذ وطاب من الأطعمة .. قال : يا أمير المؤمنين .. يوم عيد .. وخبز خشن ؟ فقال على : اليوم عيد من قبل بالأمس صيامه وقيامه .. عيد من غُفر ذنبه ، وشكر سعيه ، وقبل عمله.. اليوم لنا عيد ، وغدا لنا عيد، وكل يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد (٢) .

١٣ ـ يقول أنس بن مالك ﷺ : للمؤمن خمسة أعياد .. الأول كل يوم يمر على المؤمن ولا يكتب عليه ذنب فهو يوم عيد ، والثانى اليوم الذى يخرج فيه من الدنيا بالإيمان والشهادة والعصمة من كيد الشيطان فهو يوم عيد ، والثالث اليوم الذى يجاوز فيه الصراط ويأمن من أهوال القيامة ومن زبانية النار فهو يوم عيد ، والرابع اليوم الذى يدخل فيه جنة الرحمن فهو يوم عيد،والخامس الذى ينظر فيه إلى ربه فهو يوم عيد(٣) .

* **وهذه بعض الأشعار التى قيلت فى رمضان والصوم :**

شهر الصيام لقد علوت مكرمـاً ... وغدوت من بين الشهور معظماً
يا صائمى رمضان هذا شهركـم ... فيه أبا حكم المهيمن مغـــنما
يا فوز من فيه أطاع إلـــــهه ... متقرباً متجنباً مـــا حرمـــاً
فالويل كل الويل للعاصى الذى ... فى شهره أكل الحرام وأجـــرما

(١) الروض الفائق : ٥٩ .
(٢) من وصايا الرسول : ٣٥٠ .
(٣) درة الناصحين .

وقال آخر:

يا ناقضى العهد كم هـذا الجفـا … توبوا فقد وافاكموا شهر الصفا
شهر الرضا والعفو عن زلاتكم … والله فيه عن الجرائم قد عفـا
شهر على الأيام فضل قـدره … وعلا على كل الشهور مشرفـا
فأحيوا لياليه المنيرة كـلها … وأجروا لفرقته الدموع تأسفـا
فعسى الإله يجود فيه بفضـله … فهو الذى يمحو الذنوب تلطفا

وقال آخر :

يـامن عـمره طال … إلى كم أنـت بطال
جـميع الـدهر نقال … على ظهـرك أثقال
تبـارز بالمعـاصى … وعنا أنـت قاصى
وتدعـو بـالخلاص … وما عندك إقـبال
إلى الغيبـة تـرتاح … وما عندك إصـلاح
وما يرضيـك يا صاح … سوى قد قيل أو قال
تمد الطرف فى الصـوم … ولا تخشى من اللوم
ليكتب منك فـى اليوم … وفى الليلة أفعـال
فتب ذا الشهر كى تحظى … وكمل صومه فرضـا
لعـل الله أن يرضـى … ويصلح منك أحوال

وقال آخر :

سبحان من قد تصدق عليكموا بصيامكم
وخصكم بالعـطايا . . يا أمـة المختار
تأتون يوم القيامة وصومكم من فوقـكم
حيث اتجهتم توجه . .وحيث سرتم سـار
محمول فوق الغمائم على يد الملائكـة
شعاعه يتـلألؤ مـن كـثرة الأنـوار

وتقدمون الموقف تباهوا كل الأمـــم
مثل الشمس وفيكم من يشبه الأقمـار
وقد صفا الوقت لما ناداكموا مولاكمو
قوموا تعالوا تملوا بالوصـل يـــا زوار
هذا جمالى تبدى والحجب عنـكم رُفعت
ونورنا قد تجـلى وزالت الأكـــدار

وقال آخر :

شهر الصيام لقد كرمت نزيـلاً ... وشفيت من كل القلوب عليلاً
شهر الأمانة والصيانة والتقى ... والفوز فيه لمـن أراد قـبولاً
فيه الجنان تفتحت لقـــدومه ... والحور فيه تـزينت تخفـيلاً
طوبى لعبد صح فيه صـيامه ... ودعا المهيمن بكرة وأصـيلاً
وبليله قد قـام يقرأ ســورة ... متبتـــلاً لإلهه تبـــتيلاً
شهر يفوق على الشهور بليلةٍ ... من ألف شهر فضلت تفضيلا
فاجهد عساك تنالها فيما بقــى ... بالجد واحذر أن تكون غفولاً

وقال آخر :

من كان يشكو عظم داء ذنــوبه ... فليأت فى رمضان باب طبيبه
ويفوز من عرف الصيام بطيـــبه ... أوليس قال الله فى ترغـــيبه

« الصوم لى وأنا الذى أجزى به ؟»

يا صائمى رمضان فوزوا بالمنــى ... وتحققوا نيل السعادة والغـنى
وثقوا بوعد الله إذ فيـه الهـــنا ... أوليس هذا قـــول إلهـــنا

« الصوم لى وأنا الذى أجزى به؟ »

من صام نال الفوز من رب العلا ... وبوجهه أضحى عليه مقــبلا
يا من يروم توسـلاً وتوصــــلاً ... صم رغبة فى قول رب قد علا

« الصوم لى وأنا الذى أجزى به »

وأتى بحسن القول فيه وصـــدقه ... يا فوز من للصوم قام بحقه
ومن الجحيم نجا وفاز بعـــتقه ... فالله قال عن الصيام لخـلقه

« الصوم لى وأنا الذى أجزى به »

وقال آخر :

يا غافلاً وليالى الصوم قد ذهبت ... زادت خطاياك قف بالباب وابكيها
واغنم بقية هذا الشهر تحظ فما ... غرسته من ثمار الخير تجنيـــها
وتب لعلك تحظى بالقبول عسى ... أن تبلغ النفس بالتقوى أمـــانيها
وقل: إلهى أنا العبد الذليل وقـد ... أتيت أرجو أجوراً فاز راجيـــها
فلا تكلنى إلى علمى ولا عملى ... واغفر ذنوبى فإنى غارق فيـــها

*** ومن أجمل ما قيل فى ليلة القدر وفضلها :**

هى ليلة القدر التى شرفت على ... كل الشهور وســائر الأعوام
من قامها يمحو الإله بفضـــله ... عنه الذنـــوب وسائر الآثام
فيها تجلى الحق جـل جـــلاله ... وقضى القضاء وسائر الأحكام
فادعوه واطلب فضله تعط المنى ... وتـجـاب بالإنعام والإكـــرام
فالله يرزقنا القبـول بفضلـــه ... ويجـود بالغفـران للصـوام
ويذيقنا فيها حـــلاوة عفـــوه ... ويميتنا حقـــاً على الإسلام

وقال آخر :

يا أيها العبد قم لله مجتـــهـداً ... وانهض كما نهضت من قبلك السعـدا
قم فاغتنم ليلة تحيا النفوس بـها ... ومثلها لم يكن فـى فضلها أبـــدا
طوبى لمن فى العـــمر أدركهـا ... ونال منها الذى يبغـــيه مجـــتهدا
فليلة القدر خير قال خالقـــهـا ... «من ألف شهر» هنيئاً من لها شـــهدا
فيها القرآن بأمر الله أنـــزله ... إلى السماء وقد خاب الذى جـــحدا
فيها تفتح أبواب السماء لمـــن ... يرى من الكشف من يعطى بـها مددا
وينزل الروح فيها والملائك من ... عند المهيمن لن تحصى لهم عـــددا

يا فوز عبد رآها إنـــه رجـــــل قد عاش فى الدهر عيشاً دائماً رغدا

وفاز بالأمن والغـــفران مغتـــبطاً ونــــال ما يرتجى من ربــه أبـــدا

فاطلب من الله إن وافيتها سحرا جنات عدن تكن من جملـة السعدا

وقال آخر :

لليلة القدر عند الله تـــــفضيل وفى فضلها قد جــــاء تنزيل

فجد فيها عـــلى خير تنـــال به أجراً فللخير عند الله تـــفضيل

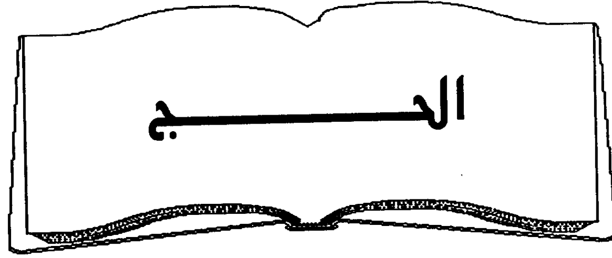
واحرص على فعل أعمال تسر بها يوم المعاد ولا يغررك تأمــــيل

فتب إلى الله واحذر من عــقوبته عن كل ما فيه توبيخ وتنكـــيل

ولا تغـــرنك الدنيا وزخــــرفها فكل شيء سوى التقوى أباطيل

* * *

الباب التاسع :



١ ـ عن ابن شماسة رضى الله تعالى عنه قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياقة الموت[١] فبكى طويلاً وقال : فلما جعل الله الإسلام فى قلبى أتيت النبى ﷺ قلت : يا رسول الله .. ابسط يمينك لأبايعك .. فبسط يده فقبضت [٢] يدى .. فقال: « مالك يا عمرو ؟ » قال : أردت أن أشترط .. قال :« تشترط ماذا ؟ » قال : أن يغفر لى [٣] . قال :« أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ » [٤] .

٢ ـ وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كنت جالساً مع النبى ﷺ فى مسجد .. فأتاه رجل من الأنصار ، ورجل من ثقيف .. فسلما ثم قالا : يا رسول الله جئنا نسألك .. فقال :« إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألانى عنه فعلت .. وإن شئتما أن أمسك وتسألانى فعلت ؟ » فقالا : أخبرنا يا رسول الله .. فقال الثقفى للأنصارى : سل .. فقال : أخبرنى يا رسول الله .. فقال : «جئتنى تسألنى عن مخرجك من بيتك تؤم [٥] البيت الحرام ومالك فيه ، وعن ركعتيك بعد الطواف ومالك

(١) أى وهو فى النزع الأخير .

(٢) أى كففتها ولم أضعها فى يد رسول الله ﷺ .

(٣) أى ما فعلته فى الجاهلية .

(٤) رواه ابن خزيمة فى صحيحه هكذا مختصراً ، ورواه مسلم وغيره أطول منه .

(٥) أى تقصد وتريد .

فيهما ، وعن طوافك بين الصفا والمروة ومالك فيه ، وعن وقوفك عشية عرفة ومالك فيه ، وعن رميك الجمار ومالك فيه ، وعن نحرك ومالك مع الإفاضة » فقال : والذى بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك . . قال :«فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفاً ولا ترفعه إلا كتب الله به حسنة ، ومحا عنك خطيئة . . وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى إسماعيل عليه السلام . . وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة . . وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة يقول : عبادى جاءونى شعثاً من كل فج عميق يرجون جنتى . . فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل ، أو كقطر المطر ، أو كزبد البحر لغفرتها . . أفيضوا عبادى مغفوراً لكم ولمن شفعتم له . . وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات . . وأما نحرك فمدخور لك عند ربك . . وأما حلقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ، ويمحى عنك بها خطيئة . . وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنب لك . . يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى» (١) .

٣ ـ روى أن الخليل إبراهيم عليه السلام لما بنى البيت ، قال له المولى عز وجل : ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧] قال إبراهيم: يارب كيف أبلغ الناس وصوتى لا ينفذهم ؟ فقال : ناد وعلينا البلاغ . . فقام على مقامه ـ وقيل على الحجر ، وقيل على الصفا، وقيل على أبى قبيس ـ وقال: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه ، فيقال : إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض،وأسمع من فى الأرحام والأصلاب،وأجابه كل شىء سمعه من حجر ومدر وشجر ،ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة:« لبيك اللهم لبيك» (٢) .

٤ ـ قال أبو سعيد الخدرى ﷺ : حججنا مع عمر بن الخطاب ﷺ فى أول

(١) رواه الطبرانى فى الكبير والبزار واللفظ له وقال : روى هذا الحديث من وجوه لا نعلم له أحسن من هذا الطريق .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير : ٥٣٩/٢ وقال : هذا ما ورد عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد .

خلافته ، فدخل المسجد حتى وقف على الحجر ثم قبله وقال : إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك (١) ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت إلى ورائه فرأى علياً كرم الله وجهه فقال : يا أبا الحسن هاهنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات فقال على رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع : قال: وكيف ؟ قال : إن الله تعالى أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتاباً ثم ألقمه هذا الحجر ، فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود .

٥ - عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال : فيما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام . . ذكر بيت الله الحرام وفضيلته قال : إلهى ما الحج ؟ قال : بيتى الذى اخترته على جميع البيوت ، وحرمى الذى حرمه خليلى إبراهيم . . ينتهون إليه من أطراف الأرض يهللون بالتلبية كما يلبى العبد لسيده ، قال موسى : إلهى فما ثوابهم ؟ قال : ألحقهم المغفرة حتى أشفعهم فى جيرانهم وقرابتهم ، فقال موسى : إلهى منهم من ليس له نفقة طيبة ولا قلب زاك . . قال : فإنى أهب المسيء منهم للمحسن (٢) .

٦ - يروى عن على بن موفق قال : حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى فى مسجد الخيف ، فرأيت فى المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه : يا عبد الله فقال الآخر : لبيك يا عبد الله ، قال : أتدرى كم حج بيت ربنا عز وجل فى هذه السنة ؟ قال :لا أدرى . قال : حج بيت ربنا ستمائة ألف . أفتدرى كم قبل منهم ؟ قال : لا ، قال : ستة أنفس ، قال : ثم ارتفعا فى الهواء فغابا عنى ، فانتبهت فزعاً ، واغتممت غماً شديداً وأهمنى أمرى فقلت : إذا قبل حج ستة أنفس فأين أكون أنا فى ستة أنفس ؟ فلما أفضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر فى كثرة الخلق وفى قلة من قبل منهم ، فحملنى النوم فإذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه ثم قال : أتدرى ماذا حكم

---

(١) هذا الجزء من حديث عمر والحجر أخرجاه : البخارى (١٥٩٧ ، ١٦١٠) ، ومسلم (١٢٧٠/ ٢٤٨ - ٢٥٠) والزيادة التى رواها على رواه بتلك الزيادة الحاكم وقال : ليس من شرط الشيخين.

(٢) تنبيه الغافلين : ٣٦٨ .

ربنا عز وجل فى هذه الليلة ؟ قال : لا . قال : فإنه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف ، قال : فانتبهت وبى من السرور ما يجل عن الوصف (١) .

٧ ـ وروى أيضاً عن على بن الموفق ـ رحمه الله ـ أنه قال : حججت إلى بيت الله الحرام فطفت بالكعبة سبعة أشواط وقبلت الحجر الأسود ، وصليت ركعتين واستندت إلى جدار الكعبة وأنا أبكى وأقول : كم أتردد إلى هذا البيت وأحضر ولا أدرى هل قبلت أم لا؟ . . ثم غلبتنى عيناى فنمت نوماً خفيفاً ، فبينما أنا بين النائم واليقظان إذ سمعت هاتفاً يقول : يا على بن الموفق قد سمعنا مقالتك . . أفتدعو أنت إلى بيتك إلا من تحب ؟ (٢) .

ولقد أجاد القائل :

عبد دعاه لقربه مولاه	فأجابه باللطف حين دعاهُ
وأتى يلبيه بفرط تذلل	يا فوزه بالربح إذا لبـــاهُ

٨ ـ قال الحسن بن على ﷺ : إنى لأستحى من ربى أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فمشى من المدينة إلى مكة عشرين مرة .

ـ ولقد رؤى الحسن يطوف بالبيت ، ثم صار إلى المقام فصلى ركعتين ، ثم وضع خده على المقام فجعل يبكى ويقول : عُبيدك ببابك . . خويدمك ببابك . . سائلك ببابك . . مسكينك ببابك . . يردد ذلك مراراً ثم انصرف ﷺ ، فمر بمساكين معهم فلق خبز يأكلون ، فسلم عليهم ، فدعوه إلى الطعام ، فجلس معهم ، وقال : لولا أنه صدقة لأكلت معكم . ثم قال : قوموا بنا إلى منزلى ، فتوجهوا معه ، فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم (٣) .

٩ ـ كان عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ إذا شرب من ماء زمزم وهو يحج يقول: اللهم إن نبيك محمداً ﷺ قال : « ماء زمزم لما شرب له » . . وأنا أشرب بنية

(١) إحياء علوم الدين : ١/٣٥١ .

(٢) الروض الفائق :٨٥ .

(٣) المستطرف : ١٥ .

أن تزيل عنى العطش يوم القيامة .

ـ أما عن قصة بئر زمزم . . فلقد روى أنه لما اشتد العطش بسيدنا إسماعيل عليه السلام ، ولم تجد أمه فى ثديها لبناً ترضعه به . . فصعدت فوق جبل الصفا تبحث له عن الماء فلم تجد ، فنزلت إلى المروة فلم تجد ، ظلت سبع مرات وهى تذهب وترجع بين الصفا والمروة ، ولما عرق جبينها وكد يمينها إذا بالأمين جبريل ينزل بنفسه ، فيضرب الأرض بجناحه ، فنبعت عين زمزم من تحت جناحه وتفجر الماء ، فلما رأت الماء يتفجر أخذت تحبسه ، وتقول للماء: زمى زمى ـ أى انحبسى ـ [1] قال النبى ﷺ: «رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم لكانت زمزم عيناً معيناً » [2] أى ظاهراً وجارياً على وجه الأرض.

١٠ ـ أبو حنيفة النعمان ـ رحمه الله ـ من العلماء والفقهاء الذين ملؤوا طباق الأرض علماً . . ورغم هذا يقول : سافرت لأداء فريضة الحج فأخطأت فى خمسة أشياء من مناسك الحج . . والذى علمنى هذه المناسك الخمس الحلاق الذى حلق لى. . . قال أبو حنيفة للحلاق : بكم تحلق لى ؟ . قال له: يا أبا حنيفة لا مساومة على مناسك الحج ادفع ما تقدر عليه لأن الحج لا جدال فيه ، قال أبو حنيفة فجلست لأحلق، ولكنى لم أستقبل القبلة . . قال له : يا أبا حنيفة استقبل القبلة أثناء الحلاقة، فاستقبل أبو حنيفة القبلة . . قال أبو حنيفة : أعطيته جانب رأسى الأيسر قال له : يا أبا حنيفة بل نبدأ بالأيمن ، فأعطاه أبو حنيفة جانب رأسه الأيمن ليحلقه أولاً . . قال له الحلاق : يا أبا حنيفة كبر الله وأنت جالس أثناء الحلاقة ، فكبر أبو حنيفة قال: الله أكبر الله أكبر وهو يحلق ، قال أبو حنيفة بعدما حلقت انصرفت . . قال الحلاق له : إلى أين ذاهب أيها الإمام ؟ لا تنصرف حتى تصلى ركعتين بعد الحلاقة .

١١ ـ قيل للحسن البصرى ـ رحمه الله : ما الحج المبرور ؟ قال : أن ترجع زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة [3] .

(١) قصص الأنبياء ـ ابن كثير .

(٢) رواه البخارى (٢٢٣٩) .

(٣) إحياء علوم الدين ١/ ٣٥٢ .

ـ كما روى أنه قال : إن الملائكة يتلقون الحاج فيسلمون على أصحاب الجمال ، ويصافحون أصحاب البغال والحمير ، ويعانقون الرجالة ـ أى: الذين يسيرون على أرجلهم [١] .

ـ كما روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال بعدما كف بصره : ما ندمت على شىء مثل ما ندمت على ألا أكون حججت ماشياً لأن الله تعالى يقول : ﴿يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج : ٢٧].

١٢ ـ أول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير ، وكانت كسوتها المسوح والأنطاع ، وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من خارج الحرم .

ـ وحج عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشى على رجليه حتى وقف بعرفات فأعتق ثلاثين مملوكاً وحملهم على ثلاثين راحلة ، وأمر لهم بثلاثين ألفاً ، وقال : أعتقتهم لله تعالى لعله يعتقنى من النار .

ـ وتخاصم بدوى مع حاج عند منصرف الناس فقيل له : أتخاصم رجلاً من الحجاج؟ فقال :

يحجون بالمال الذى يجمعونه حراماً إلى البيت العتيق المحرم

ويزعم كل منهمـــو أن وزره يحط ولكن فوقه فى جـــهنم

١٣ ـ ذكر بعض السلف أن إبليس ـ لعنه الله ـ ظهر له فى صورة شخص بعرفة ، فإذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكى العين مقصوف الظهر : فقال : ما الذى أبكى عينك ؟ قال: خروج الحاج إليه بلا تجارة ، أقول قد قصدوه فأخاف أن لا يخيبهم فيحزننى بذلك ، قال : فما الذى أنحل جسمك ؟ قال : صهيل الخيل فى سبيل الله ، ولو كان هذا سبيلى كان أحب إلى ، قال : فما الذى غير لونك ؟ قال : تعاون الجماعة على الطاعة ، ولو تعاونوا على المعصية كان أحب إلى ، قال : فما الذى قصف ظهرك؟ قال : قول العبد « أسألك حسن الخاتمة » .

١٤ ـ حكى العتبى ـ رحمه الله ـ قال : كنت عند قبر رسول الله ﷺ ، فرأيت

---

(١) من وصايا الرسول : ٣١٦/١ .

أعرابياً قد أقبل على بعير فنزل عنه ، ثم أتى قبر النبى ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله . . السلام عليك يا صفوة خلق الله . . أنت الذى أنزل الله عليك ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء] وقد ظلمت نفسى وها أنا قد أتيتك فأستغفر من ذنبى ، فاشفع لى عند ربى . . ثم أنشد يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه السجود والكرم
أنت النبى الذى ترجى شفاعته ... عند الصراط إذا ما زلت القدم
أنت البشير النذير المستضاء به ... وشافع الخلق إذ يغشاهم الندم
تخصهم بنعيم لا نفاد له ... والحور فى جنة المأوى لهم خدم
تعطى الوسيلة يوم العرض مغتبطا ... عند المهيمن إذ ما تحشر الأمم
والحوض قد خصك الله الكريم به ... يوما عليه جميع الخلق تزدحم
تسقى لمن شئت يا خير الأنام وكم ... قوم لعظم الشقاء والبعد قد حرموا
صلى عليك إله العرش ما طلعت ... شمس وحن إليك الضال والسلم

قال العتبى : ثم غلبنى النوم فرأيت رسول الله ﷺ ، فقال: « يا عتبى أدرك الأعرابى وبشره أن الله قد غفر له ».

*** ومن أجمل ما قيل فى الحج من أشعار اخترنا ما يلى :**

قال أبو الشمقمق :

إذا حججت بمال أصله دنس ... فما حججت ولكن حجت العير
ما يقبل الله إلا كل طيبة ... ما كل من حج بيت الله مبرور

وقال آخر :

قوم على عرفات قد وقفوا وقد ... باهى بهم ذو العرش أملاك السما
إذ قال: يا أهل السموات انظروا ... وفدى وكل قد أضر به الظما
أشهدتكم أنى غفرت ذنوبهم ... وعفوت عنهم أجمعين تكرما
يا فوز قوم أتوا لجنابه ... فأباحهم منه الرضا والمغنما

وقال آخر :

أبشر فحجك مقبول ومبـــرور وكل سعيك محمول ومشكور
وما تصدقت فى أرض الحجاز به فأجره لك عند الله مدخـــور
وكل سعى وما قدمت من عمـل فإنه لك بعد الربح موفـــور
فإن حججت ولـــم تأت بمعصية نلت المراد وأنت اليوم مسرور

وقال آخر :

لما رأيت مناديهـــم ألـــم بـــنا شددت مئـــزر إحـــرامى ولبيت
وقلت للنفس جدى الآن واجتهدى وساعدينى فهـــذا مـــا تـــمنيت
لو جئتكم قاصدا أسعى على بصرى لم أوف حقا . . وأى الحق أوفيت

وقال آخر :

يـــا سائقا غنـــى النياق وزمزم أبشر فقـــد جئت المـــقام وزمزمـــا
كم كنت تذكرنا منـــازل مكـــة وتقول إن بها المنـــى والـــمغنمـــا
اسـع وهرول بين مـــروة والصفا وادخل الحجر الكـــــريم مسلمـــا
ومقام إبراهيـــم زره مبـــــادرا وبحجر إسماعيل صل معظـــمـــــا
وانظر عروس البيت يجلى حسنهـا للناظرين ولذ بهـــا مستعصـــمـــا
فهى التى ظهرت فضائلها فـــــلا تخفى . . وهل يخفى سنا قمر السما
لم يلقها الإنســـــان إلا بـــاكيـا فرحا بها . . أو ضاحكـــا متبسمـــا
والنور من أرجائـــها لا يختـــفى أبدا وإن جـــن الظـــلام وأعتمـــا
ومن العجائب أنها محـــــروسة والصيـــد فيهـــا لا يـــزال محرمـــا
والطير لا يعلـو علـى أركـــانها إلا ليشفى . . إذ غـــــدا متـألمـــا
يختال فى حلل الســـــواد وبابها بالنـــور دام مبرقـــعاً ومـــلثمـــا
هى كعبة المولى الكريم وكل مـن وافـــى إليها حقهـــا أن يكـــرمـــا
يا رب قد وقفت ببابك عصبـــة يرجون منك تـفضـــلا وتـــكرمـــا
ما منهمـو إلا ذليـــــل خاضـــع باك علـــــى زلاتــــه متـــــندمـــا
ذا طالب فضـــلا ، وذا متـــألم مما جناه من الذنـــــوب وقدمـــا

وقال آخر :

طوبى لمن طاف بالبيت العتيـــق وقد لجأ إلى الله فى سر وإجهار
ونال بالسعى كل القصد حين سعى وطاف جهـرا بأركان وأستـــار
ذاك السعيد الذى قد نال منزلـــة علياء فى دهره من كل أوطـــار
وكل من طاف بالبيت العتيق غـدا بين الورى معتقا حقا من النـــار

وقال آخر :

قد دعا الشوق للحبيب رجالا قطعوا فى المسير إليه رمـــالا
حبذا قــد أتوه شعثا وغبــرا يرتجون النـــوال والإفضـــالا
قد أتوا يهرعون من كــل فج فارقوا فى رضاه أهلا ومالا
ثم نادوا بجمعهم فى حمـــاه يا كــريما إذا استقيل أقـــالا

★ ★ ★

الباب العاشر :

ردود تتسم بالحكمة

١ـ روى أن عائشة رضى الله عنها ذبحت شاة وتصدقت بها وأفضلت منها كتفا ، فقال لها النبى ﷺ : « ما عندك منها ؟ » فقالت : ما بقى منها إلا كتف ، فقال : «كلها بقى إلا كتفا » .

٢ ـ جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال : يا رسول الله ، إن أبى أخذ مالى . . فقال له النبى ﷺ : « أنت ومالك لأبيك » رواه الطبرانى والبيهقى .

٣ ـ عن أنس رضى الله عنه قال : لما هاجر رسول الله ﷺ كان رسول الله ﷺ يركب ، وأبو بكر رديفه وكان أبو بكر يعرف الطريق لاختلافه إلى الشام ، فكان يمر بالقوم فيقولون من هذا بين يديك يا أبا بكر ؟ فيقول: هاد يهدينى .

٤ ـ سئل العباس ـ عم النبى ـ رضى الله عنه : أنت أكبر أم النبى ﷺ ؟ فقال : هو أكبر منى ،وأنا ولدت قبله .

٥ ـ سئل أعرابى : لماذا آمنت بمحمد ﷺ ؟ فقال الأعرابى : آمنت بمحمد لأنه لم يأمر بشىء وقال العقل ليته ما أمر ، ولم ينه عن شيء وقال: العقل ليته ما نهى .

٦ ـ قيل لأبى بكر رضى الله عنه: بم عرفت ربك؟ فقال:عرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت ربى،فقيل له: كيف؟ فقال:العجز عن الإدراك إدراك والبحث فى ذات الله إشراك.

٧ ـ قال يهودى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : ما لكم لم تلبثوا بعد نبيكم إلا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم . . فقال على رضى الله عنه : ولم أنتم لم تجف أقدامكم من البلل حتى قلتم: يا موسى « اجعل لنا إلها كما لهم آلهة؟ » .

٨ ـ وجد الحجاج بن يوسف الثقفى على منبره مكتوبا ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [الزمر : ٨] ، فكتب تحته ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران : ١١٩].

٩ ـ قال معاوية رضى الله عنه لرجل من اليمن : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة ! فقال : أجهل من قومى قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله ﷺ: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال : ٣٢] ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه .

١٠ ـ ودخل شريك بن الأعور على معاوية وكان دميما ، فقال له معاوية : إنك لدميم والجميل خير من الدميم ، وإنك لشريك وما لله من شريك ، وإن أباك لأعور والصحيح خير من الأعور ، فكيف سدت قومك ؟ فقال له : إنك معاوية وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت الكلاب وإنك لابن صخر والسهل خير من الصخر ، وإنك لابن حرب والسلم خير من الحرب ، وإنك لابن أمية ، وما أمية إلا أمة صغرت ، فكيف صرت أمير المؤمنين ؟ ثم خرج وهو يقول :

أيشتمنى معاوية بـــن حرب ... وسيفى صارم ومعى لسانى
وحولى من ذوى يزن ليوث ... ضراغمة تهش إلى الطــعان
يعير بالدمامة من سفــــــاه ... وربات الحجال من الغوانـى

١١ ـ روى أن معاوية رضى الله عنه خطب فى الناس فقال : أيها الناس إن الله حبا قريش بثلاث . . فقال لنبيه ﷺ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤]، ونحن عشيرته الاقربون ، وقال تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] ، ونحن قومه ، وقال : ﴿ لإِيلافِ قُرَيْشٍ ﴾ [قريش : ١] ، ونحن قريش فأجابه رجل من الأنصار فقال : على رسلك يا معاوية ، فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ [الانعام : ٦٦] وأنتم قومه ، وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف : ٥٧] وأنتم قومه ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ [الفرقان : ٣٠] وأنتم قومه . . ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا لزدناك .

١٢ ـ قال الأصمعى : قلت لغلام من أبناء العرب : أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنك أحمق ؟ قال : لا والله . . قلت : ولم ؟ قال : أخاف أن يجنى على حمقى جناية فيذهب مالى ويبقى على حمقى .

١٣ ـ سئل الحسن البصرى رحمه الله : أى الأيام عندك عيد يا تقى الدين ؟ فقال: كل يوم لا أعصى الله فيه فهو يوم عيد .

١٤ـ كان الإمام مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ يقضى بعض أوقات فراغه بين المقابر، فدخل عليه ذات يوم أحد الناس فوجده جالساً بين المقابر فقال : يا مالك مع من تجلس هنا ؟ أتجلس بين الأموات ؟ فقال : كلا إننى أجلس مع قوم إذا كنت بينهم لا يؤذوننى ، فإذا غبت عنهم لا يغتابونى .

١٥ ـ جاء رجل إلى العارف بالله سفيان الثورى ، وقال له : يا سفيان إنى أشكو مرض البعد عن الله . فقال له سفيان : عليك بعروق الإخلاص ، وورق الصبر ، وعصير التواضع ، ضع ذلك فى إناء التقوى وصب عليه ماء الخشية ، وأوقد عليه بنار الحزن ، وصفه بمصفاة المراقبة ، وتناوله بكف الصدق ، واشربه من كأس الاستغفار وتمضمض بالورع ، وابعد نفسك عن الحرص والطمع تشفى من مرضك بإذن الله .

١٦ ـ قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ﷺ للحسن البصرى : عظنى يا تقى الدين ؟ فقال له الحسن البصرى : صم عن الدنيا ، وأفطر على الموت ، وأعد الزاد لليلة صبحها يوم القيامة .

١٧ ـ سئل الإمام جعفر الصادق : يا إمام إذا كان الله كتب علينا فلم يحاسبنا ؟ فقال الإمام : إن الله تعالى أراد بنا أشياء ، وأراد منا أشياء ، فأخفى ما أراد بنا وأظهر ما أراد منا ، فاحتجحنا بما أراد بنا وتركنا ما أراد منا .

١٨ ـ قيل لعمر بن ذر : كيف بر ابنك ؟ قال : ما مشيت نهاراً قط إلا مشى خلفى، ولا ليلاً إلا مشى أمامى ، ولا رقى سطحاً وأنا تحته .

١٩ ـ لما فرغ ابن عباس من طعام الوليمة قال: الحمد لله الذى جعلنا نشتهيه . فقال له صديق : وهل من أحد لا يشتهى مثل هذا ؟ فقال : نعم . . كثيرون يملكون

ولا يشتهون ، وكثيرون يشتهون ولا يملكون ، وكثيرون لا يشتهون ولا يملكون .

٢٠ - قيل لابن المقفع : من أدبك كل هذا الأدب ؟ قال : نفسى . فقيل له : وكيف يؤدب الإنسان نفسه بغير مؤدب ؟ قال : كيف لا ؟! كنت إذا رأيت حسناً أتيته ، وإذا رأيت قبيحاً أبيته ، وبهذا وحده أؤدب نفسى .

٢١ - سئل الشعبى عن مسألة فقال : لا علم لى بها . فقيل له : ألا تستحى ؟ فقال : ولِمَ أستحى مما لم تَسْتَحِ الملائكة منه حين قالت : ﴿ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ [البقرة : ٣٢]

٢٢ - قال رجل لعمر بن الخطاب ﷺ : لن لنا فقد ملأت قلوبنا مهابة . . قال عمر : أفى ذلك ظلم ؟ فقال : لا . قال عمر : زادنى الله مهابة فى صدوركم .

٢٣ - قيل لأعرابى معه ماشية : لمن هذه ؟ قال : لله عندى .

٢٤ - جاء رجل إلى أبى حنيفة - رحمه الله - وقال له : إذا نزعت ثيابى ودخلت النهر أغتسل أتوجه إلى القبلة أم إلى غيرها ؟ قال : توجه إلى ثيابك التى نزعتها .

٢٥ - سأل رجل الشافعى - رحمه الله - وقال له : حلفت بالطلاق إن أكلت هذه الثمرة ، أو رميت بها ، فقال له الشافعى : تأكل نصفها وترمى نصفها .

٢٦ - دخل الشعبى الحمام فرأى داود الأزدى بلا مئزر ، فغمض عينيه ، فقال داود : متى عميت يا أبا عمرو ؟ قال : منذ هتك الله سترك .

٢٧ - استقرض من الأصمعى خليل له ، فقال الأصمعى : نعم وكرامة ، ولكن سكن قلبى برهن يساوى ضعف ما تطلبه ، فقال : يا أبا سعد . . أما تثق بى ؟ قال : بلى ، وهذا خليل الله إبراهيم قد كان واثقاً بربه، وقال: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[البقرة : ٢٦٠] .

٢٨ - قال ملك لوزيره : ما خير ما يرزقه العبد ؟ قال : عقل يعيش به ، قال : فإن عدمه ؟ قال : أدب يتحلى به ، قال : فإن عدمه ؟ قال : مال يستره ، قال: فإن عدمه؟ قال : فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد .

٢٩ - ذكر أن إبراهيم الموصلى مغنى الرشيد غنَى يوماً بين يديه فقال له : أحسنت أحسن الله إليك فقال له : يا أمير المؤمنين إنما يحسن الله إلىَّ بك ، فأمر له بمائة ألف

درهم .

٣٠ ـ قال رجل لبعض العلوية : أنت بستان : فقال العلوى : وأنت النهر الذى يسقى منه البستان .

٣١ ـ قال عبد الله بن يحيى لأبى العيناء : كيف الحال ؟ قال : أنت الحال ، فانظر كيف أنت لنا ؟ ، فأمر له بمال جزيل وأحسن صلته .

٣٢ ـ قال معاوية لسعيد بن مرة الكندى : أنت سعيد ؟ قال : أمير المؤمنين السعيد وأنا ابن مرة .

٣٣ ـ كان عمرو بن سعد بن سالم فى حرس المأمون ليلة فخرج المأمون يتفقد الحرس ، فقال لعمرو : من أنت ؟ قال : عمرو عمرك الله ، ابن سعد أسعدك الله ، ابن سالم سلمك الله ، قال : أنت تكلؤنا الليلة ؟ قال : الله يكلؤنا يا أمير المؤمنين وهو خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ، فقال المأمون :

إن أخا الهيجاء من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا رأى الزمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك

ادفعوا إليه أربعة آلاف دينار ، قال عمرو : وددت لو أن الأبيات طالت.

٣٤ ـ قال المعتصم للفتح بن خاقان وهو صبى صغير : أرأيت يا فتح أحسن من هذا الفص ـ لفص ـ كان فى يده ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . . اليد التى هو فيها أحسن منه ، فأعجبه جوابه وأمر له بصلة وكسوة .

٣٥ ـ قال الحجاج للمهلب وهو يماشيه : أنا أطول أم أنت ؟ قال : الأمير أطول ، وأنا أبسط قامة ـ أراد الطول .

٣٦ ـ قيل لأعرابى : من أين تأكل ؟ فأشار إلى فيه؛ وقال : الذى خلق هذه الرحى يأتيها بالطحين .

٣٧ ـ سأل رجل عمرو بن قيس عن حصاة المسجد يجدها الإنسان فى خفه أو ثوبه أو جبهته ، فقال له : ارم بها ، قال : زعموا أنها تصيح حتى ترد إلى المسجد . قال : دعها تصيح حتى ينشق حلقها ، قال الرجل : أو لها حلق ؟! قال : فمن أين تصيح

إذن؟!!

٣٨ـ قال بعضهم : خرجت ليلة من قرية لبعض شأنى ، فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرته ، وبيده سراج فلم يزل يسير حتى انتهى إلى النهر، وملأ جرته وعاد ، فقلت له: يا هذا أنت أعمى والليل والنهار عندك سواء فما تصنع بالسراج ؟ قال : يا كثير الفضول.. حملته لأعمى القلب مثلك : يستضىء به لئلا يتعثر فى الظلمة فيقع على ، وأقع وتنكسر جرتى .

٣٩ ـ قال يحيى الأموى : كان فتيان من قريش يرمون ، فرمى واحد منهم ، من ولد أبى بكر وطلحة ، فقرطس فقال : أنا ابن عظيم القريتين .. فرمى آخر من ولد عثمان فقرطس ، فقال : أنا ابن الشهيد . ورمى رجل من الموالى فقرطس ، فقال : أنا ابن من سجدت له الملائكة ، فقالوا له : من هو ؟ فقال : آدم .

٤٠ ـ أتى الحارث بن مسكين أيام المحنة : وابن دؤاد يمتحن الناس بخلق القرآن ، فقال للحارث : اشهد أن القرآن مخلوق ، فقال :أشهد أن هذه الأربعة مخلوقة، وبسط أصابعه الأربع وقال:التوراة والإنجيل والزبور والفرقان،فعرض وكنى ونجا من القتل .

٤١ ـ باع على بن محمد بن ثابت كتبه اضطراراً وفقراً فسألته زوجته وهى تعرف حبه لكتبه وشدة تعلقه بها كيف بعتها ؟ فقال :

قالت وأبدت صفـــحة كالشمس من تحت القناع
بعت الدفاتر وهـــــى آ خر ما يباع مـن المتـــاع
فأجبتها ويدى على رأسـى وهـــمت بانــــصداع
لا تعجبى مما رأيـــتى فنحن فى زمن الــضياع

٤٢ ـ قال رجل لهشام بن عمرو القرضى : كم تعد ؟

قال : من واحد إلى ألف ألف وأكثر .

قال : لم أرد هذا ، ولكن أردت : كم تعد من السنين ؟

قال : اثنتين وثلاثين سنة ، ست عشرة من أعلى ، وست عشرة من أسفل .

قال : لم أرد هذا ، ولكن أردت : كم لك من السنين ؟

قال : مالى فيها شيء . كلها لله عز وجل .

قال : فما سنك ؟ . . قال : عظم .

قال : فابن كم أنت ؟ . . قال : ابن اثنين ، أب وأم .

٤٣ ـ كلم أبو موسى الأشعرى بعض قواده فلحن ، فقال : لم لا تنظر فى العربية؟ فقال : بلغنى أن من نظر فيها قل كلامه ، فقال : ويحك لأن قلة كلامك بالصواب خير لك من أن يكثر كلامك بالخطأ .

٤٤ ـ قال عمر بن عبد العزيز ﷺ لزياد بن أبى زياد : يا زياد إنى أخاف الله مما دخلت فيه . قال : لست أخاف عليك أن تخاف ، وإنما أخاف عليك ألا تخاف.

٤٥ ـ قيل لرابعة العدوية:لو كلمت عشيرتك فاشتروا لك خادماً يكفيك مؤونة بيتك !قالت:والله إنى لأستحى أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا،فكيف أسألها من لا يملكها ؟! .

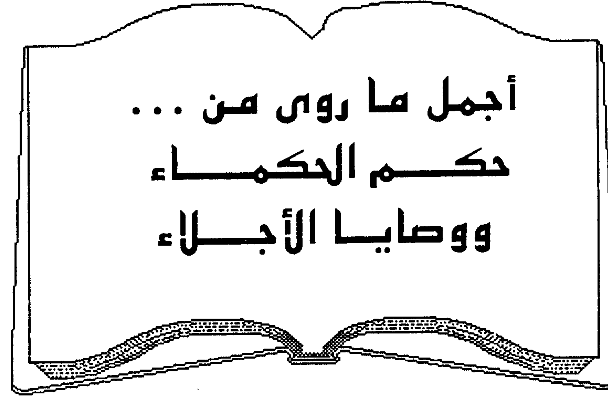
٤٦ ـ قال عثمان بن عفان ﷺ لعامر بن عبد القيس ، ورآه ظاهر الأعرابية : يا أعرابى أين ربك ؟ قال : بالمرصاد .

٤٧ ـ قيل لأبى عمرو بن العلاء : هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟ قال : إن كان يحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أنه يتعلم .

٤٨ ـ قال النمروذ : يا إبراهيم أعطنى دليلاً على وجود ربك ؟ قال إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ ، قال النمروذ :﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾، فقال إبراهيم: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ وكان ثمرة ذلك كما قال تعالى :﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] .

٤٩ ـ لما أرسل الله تعالى أنبياءه موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ إلى فرعون قال لهما : ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩)﴾ فرد عليه موسى :﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠)﴾ فقال فرعون : ﴿ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (٥١)﴾ ؟قال موسى : ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ .

الباب العاشر :



١ ـ عن ابن عباس ﷺ قال: كنت خلف النبى ﷺ يوماً ، فقال لى : « يا غلام إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء، لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح . وفى رواية غير الترمذى . . « احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » (١) .

٢ ـ قال رسول الله ﷺ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تَسْتَح فاصنع ما شئت » (٢) .

---

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه البخارى .

ـ وقال ﷺ: « البر حسن الخلق والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » (١) .

ـ جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ، فقال : « ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» (٢) .

٣ ـ عن سفيان الثورى ـ رحمه الله ـ قال : قال لقمان لابنه : يا بنى . . إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثيرون ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ، وليكن حشوها إيمانك بالله ، وشراعها التوكل على الله ، فلعلك تنجو وما أظنك ناجيا ، يا بنى كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم فى كل يوم ينقصون؟ ، يا بنى خذ من الدنيا ما يبلغك ، ولا تدخلن فيها دخولا فتضر فيها بآخرتك ، ولا ترفضها فتكون عيالا على الناس ، وصم صياما يقطع شهوتك ، ولا تصم صياما يمنعك من الصلاة فإن الصلاة عند الله أعظم من الصوم ، يا بنى لا تتعلم العلم لتباهى به العلماء ، وتمارى فيه السفهاء ، أو ترائى به فى المجالس ، ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة فى الجهالة ، يا بنى اختر المجالس على عينك ، فإن رأيت قوما يذكرون الله فاجلس إليهم فإنك إن تك عالما ينفعك علمك : وإن تك مستأهلا يعلموك ، ولعل الله أن يطالعهم برحمته فتعمك معهم ، يا بنى . . كن عبداً للأخيار ، ولا تكن خليلاً للأشرار ، يا بنى كن أميناً تكن غنياً ، ولا ترى الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر . يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ، ولا تجادلهم فيمنعوك حديثهم ، يا بنى لا تطلب من الأمر مدبراً ، ولا ترفض منه مقبلاً ، فإن ذلك يقل الرأى ويزرى بالعقل ، يا بنى . . إن تأدبت صغيراً انتفعت كبيراً .

٤ ـ كان لقمان عبداً حبشياً نجارًا ، فقال له سيده : اذبح لنا شاة ، فذبح له شاة ، فقال: ائتنى بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ، فقال له : أما كان فيها شىء

---

(١) رواه مسلم .

(٢) حديث حسن رواه ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة .

أطيب من هذا ؟ قال : لا . فسكت عنه ، ثم قال له: اذبح لنا شاة فقال : ائتنى بأخبث مضغتين منها ، فجاء باللسان والقلب ، فقال له: أمرتك أن تأتينى بأطيبها مضغتين فأتيتنى باللسان والقلب ، وأمرتك أن تأتينى بأخبثها مضغتين فأتيتنى باللسان والقلب ، فقال له : إنه ليس بأطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خبثا.

٥ ـ قال الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ : لا تكن ممن يقول قول الزاهدين ، ويعمل عمل الراغبين . . يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم ، ويبغض المذنبين وهو أحدهم ، يعجب بنفسه إذا عوفى ، ويقنط إذا ابتلى . . إذا أصابه بلاء دعا مضطراً ، وإن ناله رخاء أعرض مغتراً تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن ، يصف العبرة ولا يعتبر ، ويبالغ فى الموعظة ولا يتعظ ، فهو بالقول مدل ، ومن العمل مقل ، يستعظم من معصية غيره ، ما يستقل أكثر منه من نفسه ، ويستكثر من طاعته ما يحضره من طاعة غيره ، فهو على الناس طاعن ، وللعمل مداهن ، اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها لغيره ، يرشد نفسه ويُغوى غيره ، يُطاع ويعصى ، ويستوفى ولا يوفى ، ويخشى الخلق فى غير ربه ولا يخشى ربه فى خلقه .

٦ ـ روى عن الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ أنه قال: نضحك ولا ندرى لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال : لا أقبل منكم شيئاً ، ويحك يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله طاقة ؟ إنه من عصى الله فقد حاربه ، والله لقد أدركت سبعين بدرياً أكثر لباسهم الصوف ، ولو رأيتموهم قلتم مجانين ، ولو رأوا خياركم لقالوا : ما لهؤلاء من خلاق ، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب، ،ولقد رأيت أقواماً كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ، ولقد رأيت أقواماً يمسى أحدهم وما يجد عنده إلا قوتاً فيقول : لا أجعل هذا كله فى بطنى ، لأجعلن بعضه لله عز وجل ، فيتصدق ببعضه وإن كان هو أحوج ممن يتصدق عليه .

٧ ـ كان يحيى بن معاذ ـ رحمه الله ـ يناجى ربه قائلاً :

« إلهى لا يطيب الليل إلا بمناجاتك ، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ، ولا تطيب

الدنيا إلا بذكرك ، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك يا أرحم الراحمين» .

٨ ـ روى أن الشافعى ـ رحمه الله ـ بلغه أن عبد الرحمن بن مهدى مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعاً شديداً ، فكتب إليه الشافعى معزياً : يا أخى . . عز نفسك بما تعزى به غيرك ، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك . . ألهمك الله عند المصائب صبراً ، وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً ، وكتب إليه :

إنى معزيك لا إنى على ثقة ... من الخلود ولكن سنة الديـــن
فما المعزى بباق بعد ميتـــه ... ولا المعزى ولو عاش إلى حين

٩ ـ قيل لإبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ أوصنا بما ينفعنا فقال :

ـ إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا فاشتغلوا أنتم بأمر الآخرة ، وإذا اشتغلوا بتزيين ظواهرهم فاشتغلوا بتزيين بواطنكم ، وإذا اشتغلوا بعمارة البساتين فاشتغلوا بعمارة القبور ، وإذا اشتغلوا بخدمة المخلوقين فاشتغلوا بخدمة رب العالمين ، وإذا اشتغلوا بعيوب الناس فاشتغلوا بعيوب أنفسكم ، واتخذوا من هذه الدنيا زاداً يوصلكم إلى الآخرة فإنما الدين مزرعة الآخرة .

١٠ ـ قال أبو بكر الصديق ﷺ الظلمات خمس ، ولكل واحدة منها سراج . . فالذنوب ظلمة وسراجها التوبة ، والقبر ظلمة ، وسراجه الصلاة ، والميزان ظلمة وسراجه لا إله إلا الله ، والصراط ظلمة وسراجه اليقين ، والآخرة ظلمة وسراجها العمل الصالح .

١١ ـ كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى ابنه عبد الله بن عمر يقول : أما بعد . . فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن أقرضه جزاه ، فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا خشية له .

١٢ ـ قالت الأم لابنتها: يا بنيتى . . اجعلى غض البصر كحل عينيك تزداد صفاء ، وضعى لمسات من الصدق على شفتيك تصبح أكثر طهارة ، واستخدمى ماء الاستغفار

والإنابة لإزالة أى ذنوب أو خطايا تشتكين منها ، أما شعرك فاحميه وحافظى عليه مستمدة ذلك من قوله جل شانه : ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٩] تحفظيه من نظرات الأجانب .

١٣ ـ سئلت أعرابية وكانت جميلة عن أدوات تجميلها فقالت : لشفتاى قراءة القرآن ، ولصوتى الصلاة ، ولعينى الرحمة ، وليدى الإحسان ، ولقوامى الاستقامة ، واملأ قلبى بالحب لكل الناس .

ـ وسئل حكيم عن خير صفات المرأة فقال : لسانها ، وسألوه عن أقبح عيوبها فقال : لسانها أيضاً فقالوا: كيف ذلك ؟ قال : لسان المرأة زينتها حين تعرف كيف تزينه فلا ترسل القول إلا بعد التفكير ، وهو عيبها حين لا تستطيع ضبطه والسيطرة عليه .

١٤ ـ سئل بعضهم عن الأخوة فقال : هى الموافقة فى الفكر والعمل . وسئل حكيم عنها فقال : أغصان تغرس فى القلوب فتثمر على قدر العقول ، وقيل لبعض الحكماء : ما الأصدقاء ؟ فقال : نفس واحدة فى أجساد متفرقة ، وقال على كرم الله وجهه : عليكم باقتناء الإخوان فهم عدة فى الدين والدنيا وقال الشاعر :

أخاك أخاك إن من لا أخاً له ... كساع إلى الهيجا بغير سلاح

وقال ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » .

ـ وقال حكيم : عليكم بالأصدقاء . . فالمرؤ بدون أصدقاء كزهرة وحيدة وسط صحراء قاحلة .

ـ وقال آخر : إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يبعدك عن أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرب إليك البعيد ويبعد عنك القريب . . وقال الشاعر :

احذر عدوك مـــــرة ... واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق ... فـهـو أعلـــم بالمضـــرة

١٥ ـ موطنان لا تطل الوقوف عندهما : ذنب مع الله مضى ، وإحسان إلى الناس سلف .

ـ موطنان لا تشمت فيهما : موت الأعداء ، وضلال المهتدين .

ـ موطنان أكثر منهما ما استطعت : طلب العلم ،وفعل المكرمات .

ـ موطنان لا يغرك الضحك فيهما : ضحك طاغية لك ، وضحك صاحب عليك.

ـ ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة : لا يعرف الحكيم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا الصديق إلا عند الحاجة .

ـ أربعة تزيد الوجه بهجة : التقوى ـ المروءة ـ الوفاء ـ الكرم.

أربعة تهدم البدن : الهم ـ الحزن ـ الجوع ـ السهر .

أربعة تزيد الوجه قبحاً : الكذب ـ الفجور ـ الوقاحة ـ اللؤم .

أربعة تجلب الرزق : كثرة الاستغفار ـ قيام الليل ـ صلة الرحم ـ إخراج الصدقات.

أربعة تمنع الرزق : قلة الصلاة ـ نوم الصباح ـ الكسل ـ الخيانة .

١٦ ـ قال حكيم : الرجال أربعة . . رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاسألوه.

ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى ، فذلك ناسٍ فذكروه .

ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك متعلم فعلموه . .

ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه .

١٧ ـ قالوا عن التدخين : ما هو إلا هواية فى العشرين ، وإدمان فى الثلاثين ، وهبوط بالقلب فى الأربعين ، وتصلب شرايين فى الخمسين ، وموت قد يكون فى الستين ، والأعمار بيد رب العالمين ، والسبب زيادة فى النيكوتين ، فاعتبروا يا مسلمين، وامتنعوا عن التدخين .

ـ وقال آخر : للتدخين ثلاث فوائد: الأولى المدخن لا يسرقه اللصوص، والثانية: لا تعضه الكلاب ، والثالثة: لا يعانى من آلام الشيخوخة .

أما الأولى: فإن المدخن لا يسرقه اللصوص لأنه يظل طوال الليل يسعل فيسمعه اللص فيولى هارباً ، والثانية: لا تعضه الكلاب لأن المدخن إذا تقدم فى السن فإن التدخين يوهنه فيستعين بعصاة يتكئ عليها فيهرب الكلب منه عند رؤيتها ، والثالثة : فإن المدخن لا يعانى من آلام الشيخوخة لأن التدخين يقصف عمره فغالباً يموت قبل أن

تحضره الشيخوخة .

١٨ ـ قيل لبعض العلماء أوصنى . . قال : إن شئت جمعت لك علم العلماء ، وحكم الحكماء ، وطب الأطباء فى ثلاث كلمات . . أما علم العلماء فإذا سُئلت عما لا تعلم فقل لا أعلم فلست أفضل من الملائكة الذين لم يستحوا من قلة علمهم وقالوا لربهم: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة :٣٢] وأما حكم الحكماء فإذا كنت جليس قوم فكن أسكتهم ، فإن أصابوا كنت من جملتهم ، وإن أخطأوا سلمت من زلتهم . . وأما طب الأطباء : فإن كنت على المائدة فاحفظ بطنك ، وإذا كنت على الطريق فاحفظ عينك ، وإذا كنت مع الناس فاحفظ لسانك ، وإذا كنت مع الله فاحفظ قلبك ، فهذا هو علم العلماء وحكم الحكماء وطب الأطباء .

١٩ ـ قال العبد الصالح الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام : يا كليم الله عجبت لك لمتنى على أننى خرقت السفينة خوفاً أن يغرق أهلها . . أنسيت الذى حفظك من الغرق يوم ألقتك أمك فى الماء ؟!

يا كليم الله لمتنى على أنى قتلت غلاماً بغير نفس . . أنسيت يوم قتلت رجلاً من آل فرعون وقلت ربى إنى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفر لك .

يا كليم الله لمتنى على أننى أقمت الجدار بدون أجر . . أنسيت يوم سقيت الغنم لبنتى شعيب بدون أجر . .

يا كليم الله ثلاثة بثلاثة .

٢٠ ـ قال الحسن البصرى ﷺ لبعض طلابه : يا بنى خذ هذه البطاقة فهى خير لك من ألف كتاب :

ـ لا تغتر بمكان صالح فلا مكان أفضل من الجنة ، فقد لقى فيها آدم ما لقى .

ـ ولا تغتر بكثرة العبادة ، فإن إبليس بعد مكثه فى العبادة فانظر ماذا لقى؟ .

ـ ولا تغتر برؤية الصالحين ، فلا شخص أعظم من المصطفى ﷺ فلم ينتفع به الكفار والمنافقون .

ـ ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام بن باعوراء بعد نظره فى اللوح فانظر ماذا لقى؟.

٢١ ـ قال أحد الصالحين : من دخل القبر بلا زاد فكأنما ركب البحر بلا سفينة ، وعز الدنيا بالمال وعز الآخرة بصالح الأعمال ، وهم الدنيا ظلمة فى القلب وهم الآخرة نور فى القلب ، ومن كان فى طلب العلم كانت الجنة فى طلبه ومن كان فى طلب المعصية كانت النار فى طلبه .

ـ وقال آخر : الناس طبقات . . طبقة علماء ، وطبقة خطباء ، وطبقة أدباء ، وطبقة عامة . . والرجال ثلاثة . . رجل كالغذاء لا يستغنى عنه ، ورجل كالدواء يحتاج إليه أحياناً ، ورجل كالداء لا يحتاج إليه أبداً .

٢٢ ـ يقول الإمام جعفر الصادق ـ رحمه الله تعالى ـ : عجبت لمن ابتلى بأربع كيف ينسى أربعاً ؟ : . . عجبت لمن ابتلى بالخوف كيف يغفل عن قول الله تعالى : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران] ، وعجبت لمن ابتلى بمكر الناس كيف يغفل عن قول الله تعالى﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾؟ [غافر] . . ، وعجبت لمن ابتلى بالحزن والغم كيف يغفل عن قول الله تعالى :﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾؟ [الأنبياء] . . . وعجبت لمن ابتلى بالضر كيف يغفل عن قوله تعال :﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنبياء] .

٢٣ ـ حكم باقية :

ـ من ترك الدنيا أحبه الله ، ومن ترك الذنوب أحبته الملائكة ، ومن حسم الطمع عن المسلمين أحبه المسلمون . « عثمان بن عفان رضي الله عنه » .

ـ من سبقت له العناية لم تلحقه الجنابة . . العطاء من المخلوق حرمان والمنع من الله إحسان . « ابن عطاء الله السكندرى »

ـ من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه . « على بن أبى طالب كرم الله وجهه » .

ـ إياك وصاحب السوء ، فإنه كالسيف المسلول يعجب منظره ويقبح أثره ، ولا يهونن عليك من قبح منظره ورث لباسه فإن الله تعالى إنما ينظر إلى القلوب ، ويجازى بالأعمال . « لقمان عليه السلام » .

- من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله فى كل وقت بالكتاب والسنة ، ولم يتهم خواطره ، لم يثبت عندنا فى ديوان الرجال . « العارف بالله أحمد الرفاعى » .

٢٤ - كلمات لها معنى :

- ابحث عن الفضائل فى غيرك ، والأخطاء فى نفسك .
- مصارع الرجال تحت بروق الطمع .
- خير الموت تحت ظلال السيوف .
- الابتسامة جواز سفر تدخل به قلوب الآخرين .
- لا تسمح للسانك أن يسبق فكرك.
- إعجاب المرئ بنفسه دليل على ضعف عقله .
- آفة الرأى الهوى .
- الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان .
- العدل أقوى جيش ، والأمن أهنأ عيش .
- الإيمان خير زاد ، والتقوى خير عماد .
- من دام كسله خاب أمله .
- من جهل أمر نفسه كان بأمر غيره أجهل .
- مشاورة البخيل تورث الفقر ، ومشاورة الكريم تورث الغنى .
- أفضل الناس من يقبل العذر .
- أبخل الناس من بخل بالسلام على من يلقاه .
- من كثر مزاحه قلت هيبته .
- منهومان لا يشبعان . . طالب علم ، وطالب مال .
- الكريم يقول بعمله ، والبخيل يقول بلسانه .
- المحن هى وقت الامتحان لمعادن الرجال .
- اعمل ما شئت فكما تدين تدان .

- خذ الخير من أهله ، ودع الشر لأهله .
- من لم يكن له من نفسه واعظ ، لم تنفعه المواعظ .
- من طلب الدنيا نصب ، ومن ملكها تعب ، أدناها يكفى ، وكلها لا يغنى .
- القناعة هى: . . الاكتفاء بالموجود ، وترك التشويق إلى المفقود .
- إذا فعلت معروفاً فاستره ، وإذا أسدى إليك فانشره ، فإن من شرفت همته عظمت قيمته .
- لا يستقيم حب الدنيا والآخرة فى قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار فى إناء واحد.
- من باع بلده وخان وطنه مثل الذى يسرق مال أبيه ليعطيه للصوص ، فلا أبوه يسامحه ، ولا اللص يكافئه .
- من أمضى يومه فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو خير أسداه ، أو علم حصلة فقد عق يومه وظلم نفسه .
- أعظم ما تدفع به إساءة المسىء أن تنسى إساءته إليك .
- لو كان العقل يشترى لتفانى الناس فى ثمنه .
- عثرة المرء تدمى القدم ، وعثرة اللسان تزيل النعم .
- إذا ضاق صدرك بسرك ، فصدر غيرك به أضيق .
- آفة القوى أن يستضعف خصمه .
- من جلس فى أماكن الشبهات فلا يلومن إلا نفسه .
- لأن توقد شمعة خير لك من أن تلعن الظلام.
- المغرور كالطائر . . كلما صعد لأعلى كلما صغر فى أعين الآخرين .
- العلم بلا عمل . . كالسحاب بلا مطر .
- الغنى بلا كرم . . كالشجرة بلا ثمر .
- الفقير بلا صبر . . كالنهر بلا ماء .
- الشاب بلا توبة . . كالبيت بلا سقف .

ـ المرأة بلا حياء . . كالزهرة بلا رائحة .
ـ من أطاع هواه باع دينه بدنياه .
ـ من قنع برضاء الله لم يدخله حسد .
ـ لا تكن ضاحكاً فى غير عجب ، ولا ماشياً فى غير أدب .
ـ ليس لسفيه رأى ولا لمتكبر صديق .
ـ الشهرة هى عطر الأعمال المجيدة .
ـ الغالب بالشر مغلوب .
ـ يعيش المحسن وإن مات .
ـ الشك يطفئ شعلة الفكر .
ـ النفاق أنيس الضعيف .
ـ ما مات من أحيا علما .
ـ ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط .
ـ كل شىء من متاع الحياة الدنيا فهو عرض زائل .
ـ كل ما شبت به النار بعد إيقادها فهو رماد .
ـ لا ترجون إلا ربك ولا تخافن إلا ذنبك .
ـ بشر مال البخيل بحادث أو وارث .
ـ الإحسان يقطع اللسان .
ـ إعادة الاعتذار تذكير بالذنب .
ـ استغن عمن شئت تكن نظيره .
ـ واحتج إلى من شئت تكن أسيره .
ـ وأحسن إلى من شئت تكن أميره .
ـ الدهر ضربان . . ضرب رخاء وضرب بلاء .
ـ والناس رجلان . . فرجل معك ورجل عليك .
ـ القطيعة تورث الهم . وانتهاك الحرمة يزيل النعمة .
ـ لا تنظر إلى صغر الخطيئة ، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت .

ـ لا صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار .
ـ ليس نفاقاً أن نقف أمام الظلم مكتوفى الأيدى . . النفاق أن نصفق له .
ـ الموت كأس وكل الناس شاربه ، والقبر باب وكل الناس داخله .
ـ الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا .
ـ من جد وجد ، ومن زرع حصد .
ـ ليس بعد الكفر ذنب .

٢٥ ـ من حكم الإمام الشافعى رحمه الله :

ـ قال الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ جزى الله الشدائد كل خير ، عرفت بها عدوى من صديقى ، فالصديق الوفى أو الأخ الصادق لا يعرف إلا عند الحاجة إليه ، بعكس الآخرين الذين لا يعرفون الناس ولا يلتفون حولهم ويسألون عنهم إلا إذا كان هناك جاه دنيوى ، أو مال كثير يطمعون فى الحصول على بعضه .

ـ قال الإمام الشافعى : خير الدنيا والآخرة فى خمس خصال . . غنى النفس ، وكف الأذى ، وكسب الحلال ، ولباس التقوى ، والثقة بالله .

ـ يقول الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ : ما شبعت منذ ست عشرة سنة ، لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ، ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة . .

وما حلفت بالله تعالى لا صادقاً ولا كاذباً قط .

ويقول أيضاً : كتب حكيم إلا حكيم : قد أوتيت علماً فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم .

ويقول : أربع من العبادة : الوضوء ، كثرة السجود ، لزوم المساجد ، كثرة قراءة القرآن .

ـ وقال الشافعى ـ رحمه الله ـ : لو جادلنى ألف عالم لغلبتهم ، ولو جادلنى جاهل واحد لغلبنى ، لأن مقصد العالم: الوصول إلى الحق ، ولو خالف رأيه . . أما مقصد الجاهل : المكابر فهو الانتصار للرأى دون مراعاة الحق .

ـ دخل الشافعى يوماً إلى بعض حجر هارون الرشيد ليستأذن عليه ، ومعه سراج الخادم ، فأقعده عند أبى عبد الصمد مؤدب أولاد الرشيد ، فقال سراج للشافعى : يا أبا عبد الله . . هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم ، فلو أوصيته بهم . فأقبل

الشافعى على أبى عبد الصمد فقال له : ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما تستحسنه ، والقبيح عندهم ما تتركه ، علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، ثم روهم من الشعر أعفه ، ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجنهم من علم إلى غيره حتى يحكموه ، فإن ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم .

ـ سئل الإمام الشافعى ذات يوم عن ثمانية أمور . . عن واجب وأوجب ، وعجيب وأعجب ، وصعب وأصعب ، وقريب وأقرب . . فكان جوابه ـ رحمه الله ـ كالتالى :

من واجب الناس أن يتوبوا ... لكن ترك الذنوب أوجب
وغدر الزمان بنا عـــجيب ... وغفلة الناس عنه أعجب
والصبر فى النائبات صعب ... لكن عدم الصبر أصعـــب
وكل ما ترجـــو قريـــب ... لكن موتك منك أقـــرب

ـ كتب الشافعى لأخ له فى الله يعظه ويخوفه : يا أخى . . إن الدنيا دحض مذلة، عمرانها للخراب الصائر ، وساكنها للقبور زائر ، شملها على الفرقة موقوف ، وغناها إلى الفقر مصروف ، الإكثار فيها إعسار والإعسار فيها يسار ، فافزع إلى الله ، وارض برزق الله ، ولا تستلف من دار بقائك فى دار فنائك فإن عيشك فىء زائل ، وجدار مائل، أكثر من عملك ، وقصر من أملك .

٢٦ ـ من حكم الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه :

ـ قال الإمام على بن أبى طالب ﷺ : خذوا وصايا خمساً عنى . . لا يرجون عبد إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحى من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحى إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، واعلموا أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد فإذا ذهبت الرأس ذهب الجسد وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان .

ـ يقول الإمام على بن أبى طالب ﷺ :أيها الناس . . لقد ارتحلت الدنيا مدبرة ، وأتت الآخرة مقبلة ، ولكل منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة تسعدوا ، فإن اليوم

عمل بلا حساب ، وغداً حساب بلا عمل .

ـ وأوصى على بن أبى طالب ابنه الحسن ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قائلاً : يا بنى.. احفظ عنى أربعاً : أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الحسب حسن الخلق .

ـ ومن دعاء الإمام على : « اللهم لا تنسنى ذكرك ، ولا تولنى غيرك ، ولا تؤمنى مكرك ، ولا تكشف عنى سترك ، ولا تقنطنى من رحمتك ، ولا تبعدنى عن كنفك وجوارك ، وأعذنى من سخطك وغضبك ، وكن لى ولأهلى وإخوانى كلهم أنيساً من كل خوف ووحشة وغربة ، واعصمنى من كل هلكة ، ونجنى من كل بلية وآفة وعاهة ومحنة وذلة وشدة وإهانة وفاقة وضيق وفتنة » .

ـ عن على بن أبى طالب ﷺ قال : من أعطى أربع خصال فقد أعطى خير الدنيا والآخرة وفاز بحظه منها . . ورع يعصمه عن محارم الله . .وحسن خلق يعيش به بين الناس. .وحلم يدفع به جهل الجاهلين ،وزوجة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة.

ـ ومن كلامه ﷺ : إنكم فى أجل محدود ، وأمل ممدود ، ونفس معدود ، ولا بد للأجل أن ينتهى ، وللأمل أن يطوى ، وللنفس أن يحصى .

ـ قال الإمام على : من كان يريد صاحباً فالله يكفيه ، ومن كان يريد مؤنساً فالقرآن يكفيه ، ومن كان يريد غنى فالقناعة تكفيه ، ومن كان يريد واعظاً فالموت يكفيه، ومن لم تكفه هذه الأربعة فلا خير فيه . . والنار تكفيه .

ـ يصف الإمام على بن أبى طالب ﷺ علامات المتقين بقوله : فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة فى دين ، وحزماً فى لين ، وإيماناً فى يقين ، وطلباً فى حلال ، ونشاطاً فى هدى ، وتحرصا فى غير طمع ، قرة عينه فيما لا يزول ، وزهادته فيما لا يبقى ، الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ، يعفو عمن ظلمه ، ويعطى من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيداً فحشه ، غائباً منكره ، حاضراً معروفه ، مقبلاً خيره ، مدبراً شره ، فى المكاره صبور ، وفى الرخاء شكور ، لا يحيف على من يبغض . ولا يأثم فيمن يحب ، ليس تباعده بكبر وعظمة ، ولا دنوه بمكر وخدعة .

ـ قال الإمام على كرم الله وجهه : الدنيا دار بلاء ، ونزل عناء ، أسعد الناس فيها أرغبهم عنها ، وأشقاهم بها أرغبهم فيها ، فهى الغاشة لمن انتصحها ، المهلكة لمن اطمأن إليها ، طوبى لعبد أطاع فيها ربه ، ونصح نفسه ، وقدم توبته ، وأخر شهوته .

ـ جاء رجل إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﵁ ذات يوم وقال له : يا أمير المؤمنين لقد اشتريت داراً وأريد أن تكتب لى عقد الشراء بيديك ، فنظر أمير المؤمنين إلى وجه الرجل فرأى الدنيا قد تربعت على عرش قلبه ، وأراد أمير المؤمنين أن يلقنه درساً يذكره فيه بالله تعالى فأمسك بالقلم وكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم . . أما بعد : فقد اشترى ميت من ميت داراً تقع فى بلد المذنبين ، وسكة الغافلين ، لها أربعة حدود . . الحد الأول ينتهى إلى الموت ، والحد الثانى ينتهى إلى القبر ، والحد الثالث ينتهى إلى الحساب ، والحد الرابع ينتهى إما إلى الجنة أو إلى النار كما يشاء الواحد القهار » .

ـ سئل على بن أبى طالب كرم الله وجهه ـ كيف يحاسب الله الخلق والخلق كثير؟

فقال : كما يرزقهم وهم كثير ، فسألوه : وكيف يحاسبهم ولا يرونه ؟ قال : كما يرزقهم ولا يرونه .

٢٧ ـ يروى أن سعيد بن شريك ﵁ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن الإسلام حائط منيع ، وباب وثيق ، فحائط الإسلام الحق ، وبابه العدل ، ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان . وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف أو ضرباً بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، وأخذ بالعدل .

٢٨ ـ قال حكيم : احذر كثرة الكلام إلا فى حق توضحه ، أو خلل تصلحه ، أو كلمة تفسرها ، أو مكرمة تنشرها ، فإنه يستدل على عقل الرجل بقوله : وعلى أصله بفعله ، فإن قبيح الكلام ينفر عنك الكرام ، ويغرى عليك اللئام ، ويوجه إليك الملام ، وحسبك قول الرسول ﷺ لأبى ذر ﵁ : « عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان ، وعون لك على أمر دينك » وكما تقول الحكمة المشهورة : « إذا كان الكلام من فضة فإن الصمت من ذهب » .

٢٩ ـ قال حكيم : هؤلاء العلماء ضلوا . . عالم يكتم علمه ويرى إن حدث به فقد ضيعه :

وعالم يقول استفتونى ، فيفتى بغير علم .

وعالم يتخير وجوه الناس ولا يرى المساكين أهلاً لعلمه.

وعالم يرائى بعلمه .

٣٠ ـ قال حكيم : إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأمعاء عن العبادة ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه فإن كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

٣١ ـ سئل حكيم عن أحمق الناس فقال : الفقير المختال ، والضعيف الصوال ، والغنى القوال. وسئل عن أجدر الناس بالاحترام فقال : من إذا أعطى شكر ، وإذا منع عذر ، وإذا موطل صبر ، وإذا قرب منح ، وإذا بعد مدح وإذا ظلم صفح .

٣٢ ـ ثلاثيات:

ثلاثة لا يعرفون إلا فى ثلاثة : لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا يعرف الشجاع إلا عند الحرب ، ولا يعرف الصديق إلا عند الحاجة .

ـ ثلاثة لا يبكى عليهن : على صديق خان ، وعدو جبان ، وامرأة طويلة اللسان.

ـ ثلاثة تفسد المروءة : الشح ، والحرص ، والغضب .

ـ العلماء ثلاثة : رجل عاش بعلمه وعاش الناس معه ، ورجل عاش بعلمه ولم يعش الناس معه ، ورجل عاش للناس وأهلك نفسه .

ـ ثلاثة من المجانين ولو كانوا عقلاء : الغضبان ، والغيران ، والسكران .

٣٣ ـ قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لابنه : يا بنى إياك والكبر ، وليكن فيما تستعين به على تركه علمك بالذى منه كنت ، والذى إليه تصير ، وكيف الكبر مع النطفة التى منها خلقت والرحم الذى منه قذفت ، والغذاء الذى به غذيت؟ .

٣٤ ـ قال الإمام أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ : إذا جمع الطعام أربعا فقد كمل ، إذا ذكر اسم الله فى أوله ، وحمد الله فى آخره ، وكثرت عليه الأيدى ، وكان

من حلال.

٣٥ ـ قال حكيم : يا من يسير بعمره وقد تعدى الحدود ، ابك على معصيتك فإنك مطرود يا من عمره يشهد به وليس الماضى يعود ، فقد استمثل المواعظ من إرشادها نصحا وأخبرك الشيب أنك بالموت مقصور ، وناداك لسان الاعتبار : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ۝٦ ﴾ [الانشقاق] .

٣٦ ـ قالوا :

ـ من ظلم نفسه كان لغيره أظلم ، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم .

ـ ما أسهل الموت على من أيقن بما بعده ، وأصعبه على من شك فيما بعده .

ـ الدهر يومان . . يوم لك ، ويوم عليك ، فإن كان لك فلا تفرح وإن كان عليك فاصبر .

ـ إذا أراد الله بقوم سوءا منحهم الجدل ومنعهم العمل .

ـ لا فقر أفقر من الجهل ، ولا صاحب أكيس من الشورى .

٣٧ ـ كتب الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : يا أخى من استغنى بالله اكتفى ، ومن انقطع إلى غيره تعنى ، ومن كان من قليل الدنيا لا يشبع لم يغنه منها ما يجمع ، فعليك منها بالكفاف ، والزم نفسك بالعفاف ، وإياك وجمع الفضول ، فإن حسابه يطول .

٣٨ ـ دخل الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك المسجد يوما ، فرأى شيخا هد كيانه الزمن ، وأحنى ظهره الكبر ، فاقترب منه وقال له مداعبا : ألا تؤثر الموت يا شيخ؟ فقال : لا يا أمير المؤمنين لقد ذهب الشباب وشره ، وأتى الكبر وخيره ، فأنا إذا قمت الآن قمت لله ، وإذا قعدت ذكرته ، وأحب أن تدوم لى هاتان الخلتان .

٣٩ ـ كتب عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إلى ابنه عبد الله بن عمر يقول : أما بعد . . فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن أقرضه جزاه ، فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا خشية له .

ـ وعظ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ رجلا فقال : أوصيك بعدم التكلم إلا

بالحق ، ولا تذهب بكلامك إلى ما لا يعنيك ، واعرف عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من يخشى الله ، ولا تمش مع الفاجر فيعلمك فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، ولا تشاور فى أمرك إلا الذين يخشون الله عز وجل .

٤٠ ـ وقف أبو الدرداء ـ رضى الله عنه ـ ذات يوم أمام الكعبة، ثم قال لأصحابه: أليس إذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا: بلى، فقال: فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون ، فقالوا له : دلنا على ذاده ، فقال: حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور .

٤١ ـ قال معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ : تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية : وطلبه عبادة ، ودراسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه صدقة ، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة ، ومنار سبل الجنة ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة هداة ، لأن العلم حياة القلوب ، ونور الأبصار ، وقوة الأبدان ، يبلغ به العبد منازل الأبرار .

٤٢ ـ قال حكيم : اجتنب سبع خصال يستريح جسمك وقلبك ويسلم عرضك ودينك :

ـ لا تحـزن علـى ما فـاتك . ـ ولا تحمـل هـم ما لم ينزل بك .

ـ ولا تلم الناس على ما فيك مثله . ـ ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل .

ـ ولا تنظر بشهوة إلى ما لم تملك ـ ولا تغضب على من لم يضره غضبك.

ـ ولا تمدح من لم يعلم من نفسه خلاف ذلك.

٤٣ ـ أوصى أخ أخته فقال لها : الآخرة يا أختاه . . شمس تدنو من الرءوس ، وعرق يبلغ الحلقوم ، وحاكم ومحكوم ، وشهود وخصوم .

الآخرة يا أختاه . . هم وكرب وغالب ومغلوب ، وعمل محسوب ، ورب عادل علام الغيوب ، الآخرة يا أختاه . . رسل وأنبياء كل منهم يقول: نفسى ، وصديقون وشهداء كلهم يبكى ، فكيف نحن يا أختاه ؟ !

الآخرة يا أختاه . . قارعة للأبدان ، صاخبة للآذان ، طامة بالأهوال ، جهنم فيها

احمرت ألف سنة حتى ابيضت ، وألف سنة حتى اسودت ، فهى سوداء مظلمة لا يضىء شررها ، ولا يطفأ لهبها .

الآخرة يا أختاه . . أهل الجنة لربهم ناظرون ، وأهل النار عنه محجوبون .

٤٤ ـ دعا أحد الصالحين ربه قائلا : اللهم إنى أسألك أربعا وأعوذ بك من أربع : أسألك لسانا صادقا وقلبا خاشعا وبدنا صابرا وزوجة تعيننى على أمر دنياى وأمر آخرتى.

وأعوذ بك من ولد يكون على سيدا ، ومن زوجة تشيبنى قبل وقت المشيب ، ومن مال يكون مشبعة لغيرى بعد موتى ويكون حسابه فى قبرى ، ومن جار سوء إن رأى حسنة منى كتمها وإن رأى سيئة أذاعها وأفشاها .

٤٥ ـ يقول العباس ـ رضى الله عنه ـ : الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء وأرفع من السماء ، خطؤه صواب ، وسيئاته حسنات، أما المفلس فهو عندهم أكذب من لمعان السراب ، وأثقل من الرصاص لا يسلم عليه إذا قدم ، ولا يسأل عنه إذا غاب ، وإن حضر ازدروه ، وإن غضب صفعوه.

٤٦ ـ قال ابن لقمان الحكيم لأبيه : أى الخصال من الإنسان خير ؟ قال : الدين ، قال : فإذا كانت اثنتين ؟ قال : الدين والمال ، قال : فإذا كانت ثلاثة ؟ قال : الدين والمال والحياء . قال : فإذا كانت أربعة ؟ قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق ، قال : فإذا كانت خمسا ؟ قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء ، قال : فإذا كانت ستا ؟ قال : يا بنى إذا اجتمعت هذه الخصال الخمس فهو نقى وتقى ، ولله ولى ، ومن الشيطان برىء .

٤٧ ـ كتب معاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنه ـ إلى أم المؤمنين السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ يقول لها اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى ، فكتبت إليه تقول : أما بعد « من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله بأس الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس » والسلام عليك .

٤٨ ـ قال سفيان الثورى ـ رحمه الله : لا تغبط أهل الشهوات بشهواتهم ولا ما

يتقلبون فيه من النعمة ، فإن أمامهم يوماً تذل فيه الأقدام وترعد فيه الأجسام ، وتتغير فيه الألوان ، ويطول فيه القيام ، ويشتد فيه الحساب ، وتتطاير فيه القلوب ، فيالها من ندامة على ما أصابوا من هذه الشهوات ، وصدق رافع السموات ، حيث قال فى محكم الآيات : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) ﴾ [الحج : ٢] .

٤٩ ـ دخل سفيان الثورى على جعفر الصادق وقال له : علمنى يابن رسول الله مما علمك الله . . فقال له : إذا تظاهرت ـ تجمعت ـ الذنوب فعليك بالاستغفار ، وإذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر ، وإذا تظاهرت الغموم فقل : لا حول ولا قوة إلا بالله . . فخرج سفيان وهو يقول : ثلاث . . . وأى ثلاث .

٥٠ ـ قال أحد الحكماء : العاقل المصيب من عرف الله تعالى فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها ، العاقل المصيب من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبره قبل أن يدخله ، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه .

وبحر الحكمة لا يزال يذخر بالحكم السديدة ، لكننا اكتفينا بما ذكرناه لملل الطول . علماً بأننا وزعنا حكماً أخرى فى أبوابها المتفرقة .

* * *

الباب الثانى عشر
اختبر معلوماتك الدينية

الفصل الأول:

حول القرآن الكريم

س ١ : فى أى سنة نزل القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ ؟ وكم كان عمره ؟

جـ ١ : نزل الأمين جبريل بالقرآن الكريم على محمد ﷺ يوم الاثنين لإحدى وعشرين مضت من شهر رمضان ليلاً ، ويوافق ١٠ أغسطس سنة ٦١٠م ، وكان عمره ﷺ إذ ذاك بالضبط أربعين سنة قمرية ، وستة أشهر ، واثنا عشر يوماً (١) .

س ٢ : ما هو أول ما نزل من القرآن الكريم ؟

جـ٢ : كان أول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق : ١-٣] وهذا من حديث السيدة عائشة الذى رواه البخارى ومسلم .

س ٣ : ما هو آخر ما نزل من القرآن الكريم ؟

جـ ٣ : قال الإمام النيسابورى فى « أسباب النزول » : لقد اختلف فى آخر ما نزل من القرآن ، فلقد روى البخارى فى التفسير أن آخر آية نزلت :﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء :١٧٦] .

وآخر سورة نزلت براءة « التوبة » . ورواه مسلم أيضاً .

---

(١) الرحيق المختوم : ٥٥ ، وقال: إن هذا هو الرأى الراجح عند جمهور أهل السيرة .

وقال بعضهم : هى آية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾[البقرة: ٢٨١] قاله الضحاك عن ابن عباس وقيل هى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة: ١٢٨] الآية (١) .

س٤ : أى آية فى القرآن أعظم ؟

جـ٤ : سئل رسول الله ﷺ : أى آية فى القرآن أعظم ؟ فقال :﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] (سنن أبى داود : ٤/ ٢٩٥ /٣ ٤٠٠٣) .

س٥ : كم عدد سور وآيات القرآن الكريم ؟

جـ٥ : يحتوى القرآن الكريم على (١١٤) سورة ، مقسمة إلى ثلاثين جزءاً ، والجزء مقسم إلى حزبين (أى أن القرآن ستون حزباً) والحزب مقسم إلى أربعة أرباع (أى أن القرآن ٢٤٠ ربعاً) . . أما عدد آياته فقال الشيخ الشعراوى فى كتابه «الفتاوى» حينما سئل عن ذلك . قال : ستة آلاف آية . . ثم اختلف فيما زاد على ذلك (٢) أما عدد حروف القرآن فهى (٣٢٣٠١٥) حرفاً .

س٦ : كم مره ذكر اسم مصر فى القرآن ؟

جـ ٦ : ذكر اسم مصر فى القرآن خمس مرات هى :

- ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [البقرة : ٦١] .
- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ [يونس : ٨٧] .
- ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ [يوسف: ٢١] .
- ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٩] .
- ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف : ٥١] .

هذا وقد وردت أوصاف مصر فى القرآن نحو عشرين مرة .

س ٧ : ما هى أسماء النار التى ذكرت فى القرآن ؟

جـ ٧ : هى ثمانية أسماء : جهنم ـ السعير ـ لظى ـ الحطمة ـ سقر ـ الجحيم ـ

(١) أسباب النزول للنيسابورى / ٥ ، ٦ .

(٢) الفتاوى للشيخ الشعراوى .

الهاوية ـ المشئمة ، وقيل : إن « ويل » و« غى » واديان فى جهنم .

س ٨ : ما هى أسماء الجنة التى ذكرت فى القرآن ؟

جـ٨ ـ من أسماء الجنة التى ذكرها الله عز وجل فى كتابه الجليل « الفردوس ـ عدن ـ الخلد ـ دار السلام ـ الحسنى ـ المأوى .

س٩ : ما هى السورة التى بدأت بسورة ؟

جـ٩ ـ هى سورة « النور » قال تعالى : ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

س١٠ : اذكر أطول ثلاث سور فى القرآن من حيث عدد الآيات ؟

جـ١٠ ـ هم كالتالى . . سورة البقرة : ٢٨٦ آية ـ سورة الشعراء : ٢٢٧ آية ـ سورة الأعراف : ٢٠٦ آية ، ويليهم سورة آل عمران : ٢٠٠ آية .

س١١ : أذكر أقصر ثلاث سور فى القرآن ؟

جـ١١ ـ سورة النصر: ٣ آيات ـ سورة الكوثر :٣ آيات ـ سورة العصر:٣ آيات .

س١٢ : هل ذكر اسم نبى الله يوسف ـ عليه السلام ـ فى سورة غير سورة يوسف ؟

جـ١٢ ـ نعم ذكر مرتان : فى سورة الأنعام آية ٨٤ ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ ﴾ والثانية فى سورة غافر آية ٣٤ ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ .

س١٣ : ما السورة التى ذكر فيها لفظ الجلالة مرتان متتاليتان هكذا « الله الله » ؟

جـ ١٣ : هى سورة الأنعام الآية ١٢٤ قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ .

س١٤ : ثلاث آيات متتاليات ذكر فيهن أسماء سبعة عشر نبيا ؟

جـ١٤ : فى سورة الأنعام الآيات ٨٤ : ٨٦ قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

س١٥ : سورة لا تخلو آية منها من لفظ الجلالة « الله » ولقد ذكر فيها ٤٠ مرة؟

جـ١٥ : هى سورة المجادلة وعدد آياتها ٢٢ فى كل آية ذكر « الله » ، ولقد ذكر فى أول آية أربع مرات وفى آخر آية خمس مرات ، وذكر فيها جميعا ٤٠ مرة .

س١٦ : خمس سور متتاليات لم يذكر فيها لفظ الجلالة إلا فى البسملة ؟

جـ ١٦ : هى سور « الزلزلة ـ العاديات ـ القارعة ـ التكاثر ـ العصر » .

وأيضا « الفيل ـ قريش ـ الماعون ـ الكوثر ـ الكافرون » .

س١٧ : كم عدد السجدات الموجودة بالقرآن مع ذكر مواقعها ؟

جـ١٧ : هن خمس عشرة سجدة على أرجح الأقوال ، واختلف فيما زاد على ذلك وهم كالتالى :

ـ الأعراف : ﴿ يُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ [٢٠٦] .

ـ الرعد : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْض . . ﴾ [١٥] .

ـ النحل : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ . . ﴾ [٤٩] .

ـ الإسراء : ﴿ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدا ﴾ [١٠٧] .

ـ مريم : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [٥٨] .

ـ الحج : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ . . ﴾ [١٨] .

ـ الحج : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا . . ﴾ [٧٧] .

ـ الفرقان : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا . . ﴾ [٦٠] .

ـ النمل : ﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ . . ﴾ [٢٥] .

ـ السجدة : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا . . ﴾ [١٥] .

ـ ص : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَاب ﴾ [٢٤] .

ـ فصلت : ﴿ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّه . . ﴾ [٣٧] .

ـ النجم : ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّه وَاعْبُدُوا ﴾ [٦٢] .

ـ الانشقاق : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ ﴾ [٢١] .

ـ العلق : ﴿ كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾ [١٩] .

وزاد بعضهم آخر الحجر : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِين ﴾ [٩٨] .

س١٨ : سورة لم تبدأ بالبسملة ؟ وسورة ذكرت بها البسملة مرتان ؟

جـ ١٨ : السورة التى لم تبدأ بالبسملة هى سورة براءة « التوبة » ، وللمفسرين فى ذلك آراء قال بعضهم : لأنها المتمة لسورة الأنفال ، وقال آخرون : لأنها تفضح صفات المنافقين ، والمنافقون لا يستحقون الرحمة ، وهى آخر ما نزل من سور القرآن كما ذكر ابن كثير فى تفسيره لها .

أما السورة التى وردت بها البسملة مرتان فهى النمل قال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ آية [٣٠] أما كلمة﴿ **بِسْمِ اللَّهِ** ﴾ فقد ذكرت فى سورة هود : [٤١] .

س١٩ : اذكر من الكتاب والسنة ما يبين فضل تلاوة القرآن ؟

جـ ١٩ : قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)**﴾ [فاطر: ٢٩ ، ٣٠] .

ـ ومن السنة . . قال رسول الله ﷺ : « اقرؤوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه » رواه مسلم .

وقال ﷺ :« يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ » رواه أبو داود والنسائى والترمذى .

وقال ﷺ : « من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول « الم » حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ». رواه الترمذى عن ابن مسعود .

س٢٠ : وأخيرا . . ما هى آداب تلاوة القرآن ؟

جـ٢٠ : إخلاص النية لله والتجرد عن الأهواء والرغبات والأعراض الدنيوية الزائلة .

ـ تحسين الهيئة واستقبال القبلة ، والتطهر ، والتطيب ، وتنظيف الفم بالسواك، وترك العبث والالتفات .

ـ استحضار القلب ، والتأهب لقراءة القرآن كأنما يسمعه من الله تعالى ، قال

رسول الله ﷺ : « إذا أراد أحدكم أن يحدث ربه فليقرأ القرآن » .

ـ الاستعاذة عند ابتداء التلاوة : لقوله نعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل] ثم البسملة فى مطلع كل سورة سوى سورة « براءة» .

ـ الخشوع والتدبر فى معانى القرآن الكريم ، والوقوف عند كل عبرة ومعنى ، والتأثر بكل وعد ووعيد ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢] .

ـ تحسين الصوت بالقرآن الكريم ، وتجويده ، وترتيله ترتيلا حسنا ، قال تعالى : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل] وقال رسول الله ﷺ:«زينوا القرآن بأصواتكم» .

ـ الاجتماع للقراءة وتوسيع المجلس ليتمكن القراء من الجلوس فيه ، قال ﷺ : «ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

ـ ويجب على السامع للقرآن الكريم أن ينصت ويتفكر فى آياته ، سواء أكان يسمعه من قارئ ، أو من مذياع ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] .

* * *

الفصل الثانى :

فى معرفة الصحابة (*)

س١ : من هو الصحابى ؟

جـ ١ : هو من لقى النبى ﷺ مسلما ومات على الإسلام ، ولو تخللت ذلك ردة ـ على الأصح .

س٢ : ما هو عدد صحابة النبى ﷺ ؟

جـ ٢ : ليس هناك إحصاء دقيق لعدد الصحابة ، لكن هناك أقوال لأهل العلم يستفاد منها أنهم يزيدون على مائة ألف صحابى ، وأشهر هذه الأقوال قول أبى زُرْعة الرازى : « قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه » [التقريب مع التدريب : جـ٢ ـ ص ٢٢٠] .

س٣ : من هم أفضل الصحابة ؟

جـ٣ : أفضلهم على الإطلاق أبو بكر الصديق ثم عمر رضي الله عنهما بإجماع أهل السنة ، ثم عثمان ثم على ، هذا على قول جمهور أهل السنة ، ثم تمام العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل أحد ، ثم أهل بيعة الرضوان .

س٤ : من أول الصحابة إسلاماً ؟

جـ٤ : أ ـ من الرجال الأحرار : أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

(*) الأسئلة من ١ إلى ٩ من كتاب « تيسير مصطلح الحديث » للدكتور / محمود الطحان . الأسئلة من ١٠ إلى ١٥ من كتاب « الرسائل الخمس » للإمام / ابن حزم الأندلسى . بقية الأسئلة من كتب « حياة الصحابة» للكاندهلوى ، و« رجال حول الرسول » لخالد محمد خالد و« صور من حياة الصحابة » للدكتور/ عبد الرحمن رأفت الباشا .

ب ـ من الصبيان : على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

جـ ـ من النساء : خديجة أم المؤمنين ﷺ .

د ـ من الموالى : زيد بن حارثة ﷺ .

هـ ـ من العبيد : بلال بن رباح ﷺ .

س٥ : كم كانت أعمار هؤلاء الصحابة حين توفاهم الله عز وجل (أبو بكر ـ عمر ـ عثمان ـ على) رضى الله عنهم أجمعين ؟

جـ٥ : الصحيح فى سن سيدنا محمد ﷺ وصاحبيه أبى بكر وعمر ﷺ ثلاث وستون.

أ ـ قبض رسول الله ﷺ ضحى الاثنين لثنتى عشرة خلت من ربيع الأول سنة١١هـ.

ب ـ وقبض أبو بكر ﷺ فى جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، وعمره ٦٣ سنة .

جـ ـ وقبض عمر ﷺ فى ذى الحجة سنة ٢٣هـ ، وعمره ٦٣ سنة .

د ـ وقتل عثمان ﷺ فى ذى الحجة سنة ٣٥هـ وعمره/٨٢سنة وقيل: ابن ٩٠سنة.

هـ ـ وقتل على ﷺ فى شهر رمضان سنة ٤٠هـ وهو ابن ٦٣ سنة .

س٦ ـ من أكثر الصحابة رواية لأحاديث النبى ﷺ ؟

جـ٦ : أكثرهم رواية للأحاديث ستة ـ رضوان الله عليهم ـ وهم على التوالى :

أ ـ أبو هريرة . . . روى ٥٣٧٤ حديثاً ، وروى عنه أكثر من ثلاثمائة رجل .

ب ـ عبد الله بن عمر . . روى ٢٦٣٠ حديثاً .

جـ ـ أنس بن مالك . . روى ٢٢٨٦ حديثاً .

د ـ عائشة أم المؤمنين . . روت ٢٢١٠ حديثا .

هـ ـ ابن عباس . . روى ١٦٦٠ حديثاً .

و ـ جابر بن عبد الله . . ١٥٤٠ حديثاً .

س٧ : من هم آخر الصحابة موتاً ؟

جـ٧ : آخرهم موتاً . . أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثى ، مات سنة مائة بمكة المكرمة . وقيل أكثر من ذلك ، ثم آخرهم موتاً قبله أنس بن مالك توفى سنة ثلاث

وتسعين بالبصرة .

س٨ : صحابيان عاشا ستين سنة فى الجاهلية وستين فى الإسلام وماتا بالمدينة سنة ٥٤ هجرية ؟

جـ٨ : هما حسان بن ثابت ، وحكيم بن حزام .

س٩ : من هم « العبادلة » من الصحابة ؟

جـ٩ : المراد بالعبادلة من اسمهم « عبد الله » من الصحابة ، ويبلغ عددهم نحو ثلاثمائة صحابى ، لكن أشهر العبادلة أربعة من الصحابة لأنهم كانوا من علمائهم ، ولقد تأخرت وفاتهم حتى احتيج إلى علمهم ، فإذا اجتمعوا على شىء من الفتوى قيل هذا قول العبادلة . . وهم :

أ ـ عبد الله بن عمر .

ب ـ عبد الله بن عباس .

جـ ـ عبد الله بن الزبير .

د ـ عبد الله بن عمرو بن العاص .

س١٠ : متى استخلف أبو بكر ﷺ على المسلمين ؟ وكم كانت مدته ؟ وما هى الفتوحات التى تمت فى عهده ؟

جـ١٠ : استخلف أبو بكر ﷺ يوم مات رسول الله ﷺ وسمى خليفة رسول الله ﷺ ، وكانت مدته فى الخلافة عامين وثلاثة أشهر وثمانية أيام ، وتوفى فى ثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وله ثلاث وستون سنة ، وأمه : سلمى ـ تكنى بأم الخير ـ بنت صخر بن عامر وهى مسلمة رحمها الله ، وفى أيامه كانت وقعة اليمامة ، ووقعة بُصرى ، ووقعة أجنادين ، ووقعة مرج الصفر .

س ١١ : متى استخلف عمر ﷺ وكم كانت مدته ، وكيف كان قتله ، وما هى الفتوحات التى تمت فى عهده ؟

جـ ١١ : عمر بن الخطاب ـ يكنى أبا حفص ـ ولى الخلافة سنة ثلاث عشرة من الهجرة حين موت أبى بكر ، وكان مضرب الأمثال فى العدل والورع ، وقُتل فى آخر

ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، قتله أبو لؤلؤة ـ واسمه فيروز ـ مجوسى طعنه حين كبر للصلاة ، صلاة الصبح ، فكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر ونصف شهر ، وهو أول من سمى بأمير المؤمنين ، أمه : حنتمة بنت هاشم بن المغيرة . وفى أيامه كانت وقعة « فحل واليرموك » مع الروم ، و« القادسية وجلولاء ونهاوند » على الفُرس وفى عهده بُنيت الكوفة والبصرة وفسطاط مصر .

س١٢ : متى استخلف عثمان ، وكم كانت مدته وأهم الفتوحات فى عهده ؟

جـ١٢ : ولى عثمان ﷺ الخلافة فى ذى الحجة بعد قتل عمر ﷺ بثلاث ليال ، سنة ثلاث وعشرين وقيل أول سنة أربع وعشرين ، وقُتل فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت ولايته اثنى عشر عاماً كاملة غير عشرة أيام ، واشترك فى قتله جماعة من أهل مصر ، واختلف فى سنه ما بين ثلاث وستين إلى تسعين سنة ، وأمه : أروى بنت كريز بن حبيب ، وفى أيامه كانت وقعة إفريقية .

س١٣ : متى استخلف على بن أبى طالب ، وكم كانت مدته ، وأهم الفتوحات فى عهده ؟

جـ ١٣ : على بن أبى طالب ﷺ يكنى أبا الحسن ، ولى الخلافة يوم قتل عثمان ﷺ بالمدينة فرحل عن المدينة إلى الكوفة فاستقر بها،وكانت الخلافة قبل ذلك بالمدينة، وقتل ﷺ بالكوفة غيلة ، قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادى حين دخل المسجد ، وذلك فى رمضان لثلاث بقين منه لسنة أربعين من الهجرة ، وله ثلاث وستون سنة . أمه : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف مسلمة مهاجرة رضوان الله عليها ، وفى أيامه كانت وقعة الجمل وصفين ، وقتل أهل النهروان من الخوارج ، وكانت خلافته ـ رضى الله عنه ـ أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ، واستضيم المسلمون فى قتله غيلة، رضى الله عنه .

س١٤ : ومن الذى تولى الخلافة بعد على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ؟

جـ ١٤ : ولى الخلافة بعد على ابنه الحسن رضى الله عنهما ، وكانت مدة خلافته ستة أشهر ، كره سفك الدماء ، فتخلى عن حقه لمعاوية بن أبى سفيان ، وانخلع ،

وبايع معاوية ، وعاش ـ رضى الله عنه ـ متخليا عن الدنيا إلى أن مات ، سنة ثمان وأربعين ، وأمه : فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

س١٥:كيف كانت ولاية معاوية ـ رضى الله عنه ـ وكم كانت مدته،ومن تولى بعده؟

جـ١٥ ـ اسمه معاوية بن أبى سفيان بن صخر بن حرب بن أمية ، ولى الخلافة إذ تركها الحسن بن على، بويع لثلاثة أشهر خلت من سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، وكانت مدته عشرين سنة غير سبعة أشهر ، ومات فى نصف رجب سنة ستين ، وسنه ثمان وسبعون سنة .

وأمه : هند بنت عتبة بن ربيعة مسلمة رحمها الله ، وفى أيامه حوصرت القسطنطينية وبنيت القيروان بإفريقية ، وولى الخلافة من بعده ابنه يزيد بن معاوية الذى اتسم عهده بالظلم وحارب الحسين وقتله فى موقعة « كربلاء » بالعراق .

س١٦ : من هو سيد الشهداء وأسد الله ؟

جـ١٦ : هو حمزة بن عبد المطلب عم النبى ﷺ الذى استشهد يوم أحد ، فوقف النبى ﷺ على جثمانه الطاهر وقال : « لن أصاب بمثلك أبدا . . . » قتله وحشى بن حرب الذى أسلم بعد ذلك .

س١٧ : من هو سيف الله المسلول ؟

جـ ١٧ـ هو خالد بن الوليد : هازم جيوش أعداء الله .

س١٨ : من هو حبر هذه الأمة ؟

جـ١٨ : هو عبد الله بن عباس ـ ابن عم النبى ﷺ ـ دعا له النبى ﷺ وهو صغير قائلا : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » ، قال عنه عمر بن الخطاب :« إنه فتى الكهول ، له لسان سؤول ، وقلب عقول » .

س١٩ : من هو غسيل الملائكة ؟

جـ ١٩ : هو حنظلة بن أبى عامر الراهب .

س٢٠ : من هو فاروق هذه الأمة ، وأول من سمى بأمير المؤمنين ؟

جـ ٢٠ : هو عمر بن الخطاب الذى قال له النبى ﷺ : « أنت سراج الإسلام يا

عمر ، وسيبكى الإسلام على موتك يا عمر ، وكان ـ رضى الله عنه ـ مضرب الأمثال فى العدل والزهد .

س٢١ : من هو أول فدائى فى الإسلام ، وأول من أسلم من الصبيان ؟

جـ ٢١ : هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى نام على فراش النبى ﷺ ليلة الهجرة .

س٢٢ : من هو الرجل الذى ضرب على قريش حصارا اقتصاديا ؟

جـ٢٢ : هو ثمامة بن أثال كان ملكا من ملوك « اليمامة » الذين لا يعصى لهم أمر ، فلما أسلم منع خيرات اليمامة عن كفار قريش .

س٢٣ : صحابى عزم على أن يطأ الجنة بعرجته .

جـ٢٣: هو عمرو بن الجموح ، كان أعرجا وخرج مجاهدا عازما على أن يطأ الجنة بعرجته وكان شيخا كبيرا ، ولقد أعطاه الله ما تمنى .

س٢٤ : أول من عقد له لواء فى الإسلام ، وأول أمير أمر على طائفة من المؤمنين؟

جـ٣٤ : هو عبد الله بن جحش ابن عمة النبى ﷺ .

س٢٥ : من هو أمين هذه الأمة ؟

جـ٣٥ : هو أبو عبيدة بن الجراح قال فيه النبى ﷺ : « لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة » .

س٢٦:أول من جهر بالقرآن الكريم من الصحابة،ساقه أثقل عند الله من جبل أحد.

جـ ٢٦ـ هو عبد الله بن مسعود ، قال فيه النبى ﷺ: « من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما نزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد » .

س٢٧ : صحابى من بلاد الفرس أخبر النبى ﷺ أنه من أهل البيت الكرام /

جـ ٢٧ـ هو سلمان الفارسى الذى أشار على النبى ﷺ بحفر الخندق يوم الأحزاب.

س٢٨ : صحابى كان ملكا من ملوك العرب ، ضرب المثل بكرم أبيه فى الجاهلية وحتى يومنا هذا .

جـ ٢٨ـ هو عدى بن حاتم الطائى ، قال له عمر بن الخطاب : « أنت آمنت إذ كفروا، وعرفت إذ أنكروا ، ووفيت إذ غدروا ، وأقبلت إذ أدبروا » .

س٢٩ : صحابى كانت قبيلته من قطاع الطرق ، فلما أسلم قال عنه النبى ﷺ: « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق منه . . » .

جـ ٢٩ : هو أبو ذر الغفارى واسمه ـ جندب بن جنادة ـ من قبيلة غفار .

س ٣٠ : صحابى قال عنه المفسرون: « رجل أعمى أنزل الله فى شأنه ست عشرة آية تليت وستظل تتلى ما كر الجديدان » .

جـ٣٠ ـ هو عبد الله بن أم مكتوم الذى نزل فى شأنه صدر سورة « عبس » .

س٣١ : صحابى قتل مائة فارس شجاع من فرسان الفرس ، غير من قتلهم فى المعركة .

جـ٣١ : هو مجزأة بن ثور السدوسى ـ سيد بنى بكر وأميرهم المطاع ـ وكانت هذه المعركة التى أسر فيها « الهرمزان » أمير جيش الفرس فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

س٣٢ : صحابى قال له النبى ﷺ: « تلك الملائكة كانت تستمع لك . . ولو أنك مضيت فى قراءتك لرآها الناس ولم تستتر منهم » ؟

جـ٣٢ ـ هو أسيد بن الحضير الذى كان يقرأ فى سورة البقرة وبجواره فرسه الذى أعده للجهاد وبجانبه ينام ابنه ، فكلما قرأ صاحت الفرسة ، فلما أخبر النبى ﷺ قال له ذلك .

س٣٣ : صحابى عربى بيع فى أسواق رق الروم ، ولما جاء مكة وأسلم كان من أغنيائها ، مع ذلك ترك ماله وهاجر إلى النبى ﷺ فقال له ﷺ : « ربح البيع أبا يحيى. . ربح البيع »

جـ٣٣ : هو صهيب بن سنان الرومى .

س ٣٤ : صحابى خدم النبى ﷺ عشر سنوات ، فدعا له النبى ﷺ هذا الدعاء : «اللهم ارزقه مالا وولدا وبارك له » ؟

جـ ٣٤: هو أنس بن مالك . . وقد استجاب الله دعاء نبيه ، فكان أنس أكثر الأنصار مالاً وأوفرهم ذرية حتى أنه رأى من أولاده وحفدته ما يزيد على المائة ، وقد بارك الله له فى عمره حتى أنه عاش قرناً كاملاً وفوقه ثلاث سنوات ، وقد كان أنس وأبو الطفيل الليثى آخر الصحابة موتاً .

س٣٥ : صحابى عاش حتى صار أميراً على حمص من أرض الشام فى خلافة عمر، فأرسل عمر إلى أهل حمص أن اكتبوا لى أسماء فقرائكم حتى أسد حاجتهم ، فكتبوا له قائمة بأسماء الفقراء وكتبوا فى أولها اسم أميرهم ، فمن هو هذا الصحابى؟

جـ٣٥ : هو سعيد بن عامر . . قال عنه المؤرخون : سعيد بن عامر رجل اشترى الآخرة بالدنيا وآثر الله ورسوله على ماسواهما .

س٣٦ : صحابى قال عنه عمر : حق على كل مسلم أن يقبل رأسه ... وأنا أبدأ بنفسى فقبلها ؟

جـ٣٦ : هو عبد الله بن حذافة الذى أرسله النبى ﷺ بكتاب إلى كسرى ملك الفرس.

س٣٧ : صحابى هو الوحيد من صحابة النبى ﷺ الذى نزل اسمه فى قرآن سيظل يتلى إلى يوم الدين ؟

جـ ٣٧ : هو زيد بن حارثة . . قال تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا . .﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

س٣٨ : قال عنه النبى ﷺ فى حديث شريف أنه رآه فى الجنة له جناحان .. فمن هو؟

جـ ٣٨ : هو جعفر بن أبى طالب ابن عم النبى ﷺ .

س٣٩ : قال عنه النبى ﷺ : « إنه سيد فتيان الجنة» ؟

جـ٣٩ : هو أبو سفيان بن الحارث .

س٤٠ : أول من رمى بسهم فى الإسلام ، وأول من رمى بسهم فى الإسلام ، وكان مستجاب الدعوة ؟

جـ٤٠ : هو سعد بن أبى وقاص ، قال له النبى ﷺ :« ارم سعد فداك أبى وأمى» وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، نزل فى بره لوالدته قرآن ، وكان النبى ﷺ إذا رآه يقول :« هذا خالى » .

س٤١ : صاحب سر رسول الله ﷺ ، قتل المسلمون أباه خطأ فى غزوة أحد ، وكان من قادة جيوش المسلمين ؟

جـ٤١ : هو حذيفة بن اليمان ، بعد أن رأى المسلمين يقتلون أباه خطأ قال لهم «يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » .

س٤٢ : أول مؤذن فى الإسلام ضُرب فى صموده المثل أمام المشركين وهم يعذبونه بألوان العذاب ؟

جـ٤٢ : هو بلال بن رباح ، لما أعتقه أبو بكر رضي الله عنه قال عمر :« أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا » .

س٤٣ : كان حديث السن ، أرسله النبى ﷺ برسالة إلى مسيلمة الكذاب ، فراح مسيلمة يقطع جسده قطعة قطعة حتى يرجع عن الإسلام لكنه مات صامداً موحداً ؟

جـ٤٣ : هو حبيب بن زيد الأنصارى ، وأمه السيدة نسيبة بنت كعب كانت تقاتل مع النبى ﷺ فى غزواته ، قال عنهم النبى ﷺ : « بارك الله عليكم من أهل بيت رحمكم الله من أهل بيت » .

س٤٤ : صحابى قال عنه المؤرخون : قتل خير الناس بعد محمد ﷺ وقتل شر الناس ؟

جـ٤٤ : هو وحشى بن حرب ، قتل حمزة عم النبى ﷺ ، ولما أسلم قتل مسيلمة الكذاب.

س٤٥ : المولود الوحيد الذى ولد داخل الكعبة ، وكان من أشراف قريش ؟

جـ ٤٥ : هو حكيم بن حزام .

س٤٦ : هو ترجمان رسول الله ﷺ وكاتب الوحى ، وكان يجيد العبرية والسريانية ـ تعلمهما بناء على طلب النبى ﷺ ؟

جـ٤٦ : زيد بن ثابت ، جمع القرآن فى عهد أبى بكر وكتبه فى مصحف واحد ، ثم كان من بين الأربعة الذين نسخوا المصحف فى عهد عثمان بن عفان .

س ٤٧ : أول أسرة استشهدت فى الإسلام ؟

جـ٤٧ : أسرة آل ياسر ، قال لهم النبى ﷺ: « صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة».

* * *

الفصل الثالث :



« أوائل »

- أول مسجد وضع للناس . . المسجد الحرام .
- أول مسجد بنى فى الإسلام . . مسجد قباء .
- أول من فتق لسانه بالعربية المبينة هو إسماعيل عليه السلام وهو ابن أربع عشرة سنة .
- أول من عرف الأبجدية واستخدمها . . قدماء المصريين .
- أول نبى نزل على الأرض هو آدم عليه السلام ، وأول رسول هو نوح عليه السلام.
- أول بلد سميت بالقاهرة هى عاصمة مصر ، لكن عدد المدن التى تحمل اسم القاهرة ١٨ مدينة منها ١٣ فى أمريكا و٢ فى كندا و٢ فى إيطاليا وواحدة فى فرنسا .
- أول من عقد المعاهدات فى التاريخ هم المصريون القدماء ، وكانت مع الحيثيين والفينيقيين .
- أول طيار اخترق الجو هو العالم العربى الأندلسى عباس بن فرناس . . توفى عام ٨٨٧ هـ.
- أول من احتفل بالمولد النبوى الفاطميون فى مصر فى عهد المعز لدين الله الفاطمى.
- أول من ابتكر نظام حظر التجول . . زياد بن أبيه وقد فرضه على أهل البصرة .
- أول من وضع النقط فوق الحروف « نصر بن عاصم » بناء على طلب « الحجاج

ابن يوسف الثقفى » .

- أول خلفاء الدولة الأموية « معاوية بن أبى سفيان » وآخرهم « مروان بن محمد».

- أول من وضع صورته على عملة معدنية . . الإسكندر المقدونى.

- أول من صدق رسالة محمد ﷺ . . . ورقة بن نوفل الذى مات قبل بدء الدعوة.

- أول من أمر بجمع القرآن الكريم . . « أبو بكر الصديق » رضي الله عنه .

- أول مسجد فى الإسلام بنى وله مئذنة . . المسجد الأموى فى دمشق بناه عبد الملك بن مروان .

« سيوف مشهورة »

- ذو الفقار . . سيف رسول الله ﷺ .
- الوشاح . . سيف عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
- القرطبق . . سيف خالد بن الوليد ـ سيف الله المسلول ـ رضي الله عنه .
- العلاء . . سيف سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه .
- الصدى . . سيف أبى موسى الأشعرى .

* * *

الباب الثالث عشر:

نــــوادر وطــرائف

١ـ عن سعيد بن المسيب أن عائشة ﵂ سُئلت : هل كان رسول الله ﷺ يمزح ؟ قالت : نعم ، كان عندى عجوز ، فدخل رسول الله ﷺ فقالت : ادع الله أن يجعلنى من أهل الجنة . قال :« إن الجنة لا تدخلها العجائز » وسمع نداء ، فخرج ودخل وهى تبكى ، فقال : «مالها ؟» قالوا : إنك حدثتها أن الجنة لا يدخلها العجائز . قال : « إن الله يحولهن أبكاراً عرباً أتراباً » .

٢ ـ وأتته أخرى فى حاجة لزوجها ، فقال لها : « ومن زوجك ؟ » فقالت : فلان. فقال لها :« الذى فى عينيه بياض ؟ » فقالت : لا . فقال : « بلى» ، فانصرفت عجلى إلى زوجها ، وجعلت تتأمل عينيه ، فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : أخبرنى رسول الله ﷺ أن فى عينيك بياضاً . . فقال : أما ترين بياض عينى أكثر من سوادهما؟!! [أخرجه ابن أبى الدنيا] .

٣ ـ وأخرج الإمام أحمد فى مسنده . . عن أنس بن مالك ﵁ . . أن رجلاً أتى النبى ﷺ يستحمله ، فقال رسول الله ﷺ :« إنا حاملوك على ولد ناقة » فقال : يا رسول الله ما أصنع بولد ناقة؟ فقال رسول الله ﷺ :« وهل تلد الإبل إلا النوق؟!».

٤ ـ نظر رجل طفيلى إلى قوم ذاهبين فاعتقد أنهم فى دعوة إلى وليمة ، فقام وتبعهم ، فإذا هم شعراء قد قصدوا السلطان بمدائح لهم ، فلما أنشد كل واحد شعره وأخذ جائزته لم يبق إلا الطفيلى وهو جالس ساكت ، فقيل له : أنشد شعرك . فقال: لست بشاعر . قيل : فمن أنت ؟ قال : من الغاوين الذين قال الله فيهم : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) ﴾ [الشعراء] فضحك السلطان من رده وأمر له بجائزة .

٥ ـ نظر أحد المغفلين فى البئر فرأى وجهه ، فعاد إلى أمه فقال : يا أمى فى البئر لص ، فجاءت أمه فنظرت فى البئر فقالت : إى والله يا بنى لص ومعه فاجرة.

٦ـ دخل أشعب على جماعة وهم يأكلون وهم غرباء لم يعرفوه ، فقال لهم : السلام عليكم معشر اللئام . فرفعوا إليه أبصارهم قائلين : لا والله كرام . فثنى رجله فى الحال وجلس بينهم وهو يقول : اللهم اجعلهم من الصادقين ، واجعلنى من الكاذبين ثم مد يده فى القصعة التى بين أيديهم وهو يقول : ماذا تأكلون ؟ فقالوا: نأكل سماً . فحشا فمه من الأكل ، وهو يقول : الحياة من بعدكم حرام . فقالوا : أيها الرجل هل عرفت منا أحداً ؟ فأشار أشعب إلى الطعام وقال : عرفت هذا .

٧ ـ وقف أعرابى على قوم فسألهم عن أسمائهم . فقال أحدهم : اسمى وثيق ، وقال الآخر : اسمى منيع ، وقال الآخر : اسمى ثابت ، وقال الرابع : اسمى شديد. فقال الأعرابى : ما أظن الأقفال عُملت إلا من أسمائكم .

٨ ـ قال رجل لرجل : إن لطمتك لأبلغن بك المدينة ، فقال له : فأحبِ أن تتبعها بأخرى لعل الله تعالى يرزقنى الحج على يديك .

٩ ـ مر أعرابى بقوم ، فظن فيهم خيراً فردوه ، وكانوا سبعة ، فسأل أحدهم فقال: ما اسمك ؟ قال : غليظ ، وقال للثانى : ما اسمك ؟ فقال : الخشن ، فقال للثالث : وأنت ؟ فقال : وعر فقال للرابع : وأنت ؟ فقال : شداد ، فقال للخامس : وأنت ؟ فقال : رداد ، فقال للسادس : وأنت ؟ فقال : ظالم ، قال للسابع : وأنت ؟ فقال : : لاطم ، فقال الأعرابى : وأين مالك ؟ قالوا : ومن مالك يا مجنون ؟ قال : ألستم خزنة النار ؟!! .

١٠ ـ قيل لأشعب : قد صرت شيخاً كبيراً ، وبلغت هذا المبلغ ، ولم تحفظ من الحديث شيئاً ؟ فقال : بل والله ما سمع أحد من عكرمة مثل ما سمعت . قالوا : حدثنا ، قال : سمعت عكرمة يحدث عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال : «خلتان لا يجتمعان فى مسلم . . » نسى عكرمة واحدة ، ونسيت أنا الأخرى .

١١ ـ حكى أن أحمقين اصطحبا فى طريق ، فقال أحدهما للآخر : تعالى نتمن على الله فإن الطريق تقطع بالحديث ، فقال أحدهما : أنا أتمنى قطائع غنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها ، وقال الآخر : أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك

منها شيئاً ، قال : ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة ، فتصايحا وتخاصما، واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالأطواق ، ثم تراضيا على أن أول من يطلع عليهما يكون حكماً بينهما ، فطلع عليهما شيخ بحمار عليه وعاءان من عسل فحدثاه بحديثهما ، فنزل بالوعائين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ، ثم قال: صب الله دمى مثل هذا العسل إن لم تكونا أحمقين .

١٢ ـ قال رجل لولده وهو فى المكتب : فى أى سورة أنت ؟ قال : لا أقسم بهذا البلد ووالدى بلا ولد ، فقال : لعمرى من كنت أنت ولده ، فهو بلا ولد .

١٣ ـ أرسل أعرابى ولده يشترى له حبلاً للبئر طوله عشرون ذراعاً ، فوصل إلى نصف الطريق ، ثم رجع فقال : يا أبت . . عشرون فى عرض كم ؟ قال : فى عرض مصيبتى فيك يا بنى .

١٤ ـ كان لرجل من الأعراب ولد اسمه حمزة ، فبينما هو يمشى مع أبيه إذ برجل يصيح بشاب يا عبد الله ، فلم يجبه ذلك الشاب ، فقال : ألا تسمع ؟ فقال : ياعم كلنا عبيد الله ، فأى عبد تعنى ، فالتفت أبو حمزة إلى ابنه وقال يا حمزة ألا تنظر إلى بلاغة هذا الشاب ؟ فلما كان من الغد راح هذا الأعرابى ينادى على ولده حمزة فلم يرد عليه ، فقال له : لماذا لا تجبنى ؟ قال : كلنا حماميز الله ، فأى حمزة تعنى .

١٥ ـ كان رجل فى دار بأجرة ، وكان خشب السقف قديماً بالياً فكان يتفرقع كثيراً، فلما جاء صاحب الدار يطالبه بالأجرة . قال له : أصلح هذا السقف فإنه يتفرقع . قال: لا تخف ولا بأس عليك فإنه يسبح الله . فقال الرجل : أخشى أن تدركه الجلاله فيسجد .

١٦ـ قيل لبعض الأغبياء ـ وكان يبتعد عن الغيبة ـ: ما رأيك فى إبليس ؟ فقال : أسمع الكلام عليه كثيراً ، ولكنى لا أصدقه ، فالله أعلم بسريرته.

« من نوادر البخلاء »

١٧ ـ قال رجل من البخلاء لأولاده : اشتروا لى لحماً فاشتروه ، فأمر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق فى يده إلا عظمة ، وعيون أولاده ترمقه ، فقال : ما أعطى أحداً منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها ، فقال ولده الأكبر : أُشَمْشِمُها

يا أبت وأمصها حتى لا أدع للذر ـ صغار النمل ـ فيها مقيلاً ، قال : لست بصاحبها ، فقال الأوسط : ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدرى أحد لعام هى أم لعامين ، قال : لست بصاحبها . فقال الأصغر : يا أبت أمصها ثم أدقها وأسفها سفاً . قال : أنت صاحبها ، وهى لك . . زادك الله معرفة وحزماً .

١٨ ـ وقف أعرابى على باب أبى الأسود الدؤلى وهو يتغذى ، فسلم فرد عليه ، ثم أقبل على الأكل ولم يعزم على الأعرابى ، فقال الأعرابى : أما إنى قد مررت بأهلك ، قال : كذلك كان طريقك . قال : وامرأتك حبلى . قال : كذلك كان عهدى بها ، قال : قد ولدت . قال : كان لابد لها أن تلد . قال : ولدت غلامين . قال : كذلك كانت أمها ، قال : مات أحدهما . قال : ما كانت تقوى على إرضاع اثنين قال: ثم مات الآخر ، قال : ما كان ليبقى بعد موت أخيه قال : وماتت الأم ، قال : حزناً على ولديها ، قال : ما أطيب طعامك ، قال : لأجل ذلك أكلته وحدى . . . ووالله لن تذوقه يا أعرابى .

١٩ـ نزل على أبى حفصة الشاعر رجل من اليمامة ، فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يطعمه فى هذه الليلة ، فخرج الضيف واشترى ما احتاج إليه ، ثم رجع وكتب إليه :

يا أيها الخارج من بيتـــه وهـارباً مـن شـــدة الخـــوف
ضيفـك قد جـاء بزاد له فارجع وكن ضيفاً على الضيف

٢٠ ـ قال عمرو بن ميمون : مررت ببعض طرق الكوفة فإذا أنا برجل يخاصم جاراً له ، فقلت : ما بالكما ؟ فقال أحدهما : إن صديقاً لى زارنى فاشتهى رأساً فاشتريته وتغدينا وأخذت عظامه فوضعتها على باب دارى أتجمل بها ، فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره ليوهم الناس أنه هو الذى اشترى الرأس .

٢١ ـ ومن أشهر البخلاء « محمد بن الجهم » . . قال له أصحابه يوماً : إنا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار طاقتك ، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استثقالك لمجالستنا ، فقال : علامة ذلك أن أقول يا غلام هات الغداء ، وفى هذا يقول الشاعر:

يا قائـماً فـى داره قـــــاعـــداً من غيـر معنـى ولا فائدة
قد مات أضيـافك من جـوعهم فاقرأ عليهم سورة المائـدة

٢٢ ـ خرج أعرابى قد ولاه الحجاج ببعض النواحى فأقام بها مدة طويلة ، فلما كان فى بعض الأيام ورد عليه أعرابى من حيه فقدم إليه الطعام وكان إذ ذاك جائعاً ، فسأله عن أهله وقال : ما حال ابنى عمير ؟ قال : على ما تحب قد ملأ الأرض والحى رجالاً ونساءً . قال : فما فعلت أم عمير ؟ قال : صالحة أيضاً قال : فما حال الدار ؟ قال : عامرة بأهلها . قال : وكلبنا إيقاع ؟ قال : قد ملأ الحى نباحاً . قال : فما حال جملى زريق ؟ قال : على ما يسرك . قال : فالتفت إلى خادمه وقال : ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الأعرابى ، ثم أقبل عليه يسأله وقال : يا مبارك الناصية أعد علىَّ ما ذكرت ، قال: سل عما بدا لك . قال : فما حال كلبى إيقاع ؟ قال : مات . قال : وما الذى أماته ؟ قال : اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات . قال : أو مات جملى زريق؟ قال : نعم . قال : وما الذى أماته ؟ قال : كثرة نقل الماء إلى قبر أم عمير . قال : أو ماتت أم عمير ؟ قال : نعم من كثرة بكائها على عمير . قال أو مات عمير ؟ قال : نعم سقطت عليه الدار .

٢٣ ـ قال عثمان بن دراج: مرت بنا جنازة يوماً ومعى ابنى ، ومع الجنازة امرأة تبكى وتقول : الآن يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه ولا غطاء . ولا وطاء ولا خبز ولا ماء ، فقال ابنى : يا أبت إلى بيتنا والله يذهبون .

٢٤ ـ وقف سائل على باب فقال : يا أصحاب المنزل . . فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال : « يفتح الله عليك » ، فقال السائل : يا بخيل . . كنت تصبر لعلى جئت أدعوك إلى وليمة .

٢٥ ـ وقف سائل على باب فقالوا : « يفتح الله عليك » فقال : كسرة خبز ، فقالوا : ما نقدر عليها قال : فقليل من قمح أو فول أو شعير ، قالوا : لا نقدر عليه ، قال : فقطعة دهن أو قليل من الزيت أو اللبن . قالوا : لا نجده ، قال : فشربة ماء . قالوا : وليس عندنا ماء ، قال : فما جلوسكم هاهنا قوموا فاسألوا معى . . بل أنتم أحق بالسؤال منى .

٢٦ ـ اختصم بخيلان فى شاة وكل واحد منهما أخذ بأذنها ، فجاء رجل فقالا : قد رضينا بحكمك ، فقال : احلفا ألا يرجع أحدكما . . فحلفا ، فقال : خلياها ، فخلياها . . فأخذ بأذنها وساقها ، فجعلا ينظران إليه ولا يقدران على كلامه .

« من نوادر النحاة »

٢٧ ـ وقع نحوى فى كنيف ، فجاء كناس ليخرجه ونادى عليه ليعلم أهو حى أم لا؟ فقال النحوى : اطلب لى حبلاً دقيقاً ، وشدنى شداً وثيقاً ، واجذبنى جذباً رفيقاً. فقال الكناس : ثكلتنى أمى إن أخرجتك منه .

٢٨ ـ دخل مدرس النحو على تلاميذه وقال لهم : كيف الحال ؟ فقالوا: بخير . فقال لهم : كلا أنا لا أقصد هذا ، ولكن كيف الحال ؟ فقالوا : نحمد الله . فقال : كلا أنا لا أقصد هذا ، ولكن كيف الحال ؟ فقام أحد التلاميذ وقال : أجب أنت يا أستاذ ، فلقد عجزنا عن الإجابة ، فقال لهم : إذا قيل لكم كيف الحال ؟ فقولوا : الحال يأتى دائماً منصوباً إما بالفتحة أو بالياء إذا كان مثنى أو جمع مذكر سالم .

٢٩ ـ دخل أبو علقمة النحوى على أعين الطبيب فقال : إنى أكلت من لحوم الجوازل فطسئت طسأة فأصابنى وجع بين الوابلة إلى دأية العنق ، فلم يزل يربو وينمو، حتى خالط الخلب ، فألمت له الشراسف ، فهل عندك دواء ؟ فقال له الطبيب : خذ خرتعاً وشلفقاً وشبرقاً فزهزقه وزقزقه واغسله بماء وروث واشربه بماء المحاء !!

فقال أبو علقمة : أعد علىّ ويحك ، فإنى لم أفهم منك .

قال له الطبيب : لعن الله أقلنا إفهاماً لصاحبه ، وهل فهمت منك شيئاً مما قلت؟!!

٣٠ ـ وقدم على أبى علقمة النحوى ابن أخ له فقال له : ما فعل أبوك ؟ قال : مات . قال : وما كانت علته ؟ قال : ورمت قدميه . قال : قل:ورمت قدماه . قال : فارتفع الورم إلى ركبتاه . قال : قل: ارتفع إلى ركبتيه . فقال : دعنى يا عم فما موت أبى بأشد علىّ من نحوك هذا .

٣١ ـ ولقى ـ أبو علقمة ـ رجلاً من أهل الأدب وأراد أن يسأله عن أخيه وخاف أن يلحن فى اللغة فقال : أخاك أخوك أخيك ها هنا ؟ فقال الرجل : لا ، لى ، لو ما هو حضر .

٣٢ ـ قال رجل نحوى لابنه : إذا أردت أن تتكلم بشىء فأعرضه على عقلك ، وفكر فيه بجهدك حتى تقومه ، ثم أخرج الكلمة مقومة ، فبينما هما جالسان فى الشتاء والنار مشتعلة وقعت شرارة فى جبته وهو غافل عنها والابن يراها ، فسكت ساعة يفكر

ثم قال : يا أبت أريد أن أقول لك شيئاً ، أفتأذن لى فيه ؟ قال أبوه : إن حقاً فتكلم . قال : أراه حقاً . فقال : إذن قل . قال : إنى أرى شيئاً أحمراً على جبتك . قال : ما هو ؟ قال : شرارة وقعت على جبتك ، فنظر أبوه إلى جبته وقد احترق منها جزء كبير فقال للابن : لماذا لا تعلمنى به سريعاً ؟ قال : فكرت فيه كما أمرتنى ثم قومت الكلام وتكلمت به ، فنهره أبوه وقال له : لا تتكلم بالنحو أبداً .

٣٣ ـ قال أبو الأسود الدؤلى لابنه : يا بنى إن ابن عمك يريد أن يتزوج ويحب أن تكون أنت الخاطب فتحفظ خطبة ، فبقى الغلام يومين وليلتين يدرس خطبة ، فلما كان فى اليوم الثالث قال أبوه : ما فعلت ؟ قال : قد حفظتها . قال : وما هى ؟ قال : اسمع « الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوكل عليه ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حى على الصلاة حى على الفلاح . . . » فقاطعه أبوه قائلاً : أمسك لا تقم الصلاة فإنى على غير وضوء .

٣٤ ـ قال رجل للحسن : ما تقول فى رجل ترك أبيه وأخيه ؟ فقال الحسن : ترك أباه وأخاه ، فقال الرجل : فما لأباه وأخاه ؟ فقال الحسن : فما لأبيه وأخيه ، فقال الرجل: أرانى كلما كلمتك خالفتنى .

٣٥ ـ وقف بعض الفقراء على باب نحوى ، فطرق الباب فقال النحوى : من بالباب ؟ فقال : سائل . فقال : ينصرف . فقال : اسمى أحمد ـ يعنى لا ينصرف ممنوع من الصرف ـ فقال النحوى لغلامه : اعط سيبويه كسرة خبز .

٣٦ ـ دخل أحد النحويين السوق ليشترى حماراً فقال للبائع : أريد حماراً لا بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر إن أقللت علفه صبر وإن أكثرت علفه شكر . لا يدخل تحت البوارى . ولا يزاحم بى السوارى . إذا خلا فى الطريق تدفق . وإذا أكثر الزحام ترفق ، فقال له البائع بعد أن نظر إليه ساعة : دعنى إذا مسخ الله القاضى حماراً بعته لك .

٣٧ ـ زار بعضهم نحوياً مريضاً ، فقال : ما الذى تشكوه ؟ قال : حمى جاسية . نارها حامية . منها الأعضاء واهية . والعظام بالية ، فقال له : لا شفاك الله بعافية . وياليتها كانت القاضية .

٣٨ ـ قال مدرس النحو لتلاميذه : من منكم يعرب كلمة « لص» فقام تلميذ وقال:

هو « مرفوع » على المواسير « منصوب » له كمين ، « مجرور » على قسم الشرطة .

٣٩ ـ وقف نحوى على صاحب بطيخ ، فقال : بكم تلك وذانك الفاردة ؟ فنظر البائع يميناً ويساراً ثم قال : اعذرنى . . فما عندى شىء يصلح للصفع .

٤٠ ـ قال رجل لرجل : قد عرفت النحو إلا أنى لا أعرف هذا الذى يقولون : أبو فلان وأبا فلان وأبى فلان . فقال له : هذا أسهل الأشياء فى النحو ، إنما يقولون : أبا فلان لمن عظم قدره وأبو فلان للمتوسطين ، وأبى فلان للرذلة .

٤١ ـ كان لبعضهم ولد نحوى يتقعر فى كلامه ، فمرض أبوه مرضاً شديداً أشرف فيه على الموت ، فاجتمع عليه أولاده وقالوا له : ندعوا لك أخانا فلاناً النحوى ؟ قال: لا . . . إن جاءنى قتلنى ، فقالوا : نوصيه أن لا يتكلم ، فلما دخل عليه قال : يا أبت والله ما أشغلنى عنك إلا فلان فإنه دعانى بالأمس فأهرس وأعدس واستبزج وسكبج وطهبج وأفرخ ودجج وأبصل وأمضر ولوذج وافلوزج . فصاح أبوه : غمضونى فقد سبق الشقى ملك الموت إلى قبض روحى .

« من نوادر الفقهاء »

٤٢ ـ وقع بين الأعمش وبين امرأته شجار ، فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما ، فدخل إليها وقال : إن أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ، ودقة ساقيه ، وضعف ركبتيه ، ونتن إبطيه ، وبخر فيه ، وجمود كفيه ، فقال له الأعمش : قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبى مالم تكن تعرفه .

٤٣ ـ مر فقيه بقارئ يقرأ : ألم . غلبت الترك فى أدنى الأرض ، فقال له : غلبت الروم يا أخى ، فقال : الروم الترك . . كلهم أعدائنا قاتلهم الله .

٤٤ ـ صلى أعرابى خلف إمام فقرأ : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ [نوح : ١] ثم وقف وجعل يرددها ، فقال الأعرابى أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك.

٤٥ ـ وصلى آخر خلف إمام ، فقرأ : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ [يوسف : ٨٠] ووقف وجعل يرددها ، فقال الأعرابى : يا فقيه إذا لم يأذن لك أبوك فى هذا الليل البارد نظل نحن وقوفاً إلى الصباح . ثم تركه وانصرف .

٤٦ ـ صلى أعرابى مع قوم فقرأ الإمام : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن

مَعِي ..﴾ [الملك: ٢٨] فقال الأعرابى : أهلكك الله وحدك ، إيش كان ذنب الذين معك ، فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك .

٤٧ ـ حضر أعرابى مجلس جماعة من الفقهاء ، فتذاكروا قيام الليل ، فقيل له : يا أبا أمامة أتقوم الليل ؟ فقال : نعم ، قالوا : ما تصنع ؟ قال : أبول وأرجع أنام .

٤٨ ـ سرق أعرابى صرة فيها دراهم ، ثم دخل المسجد يصلى ، وكان اسمه موسى، فقرأ الإمام : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [طه] ، فقال الأعرابى : والله إنك لساحر ، ثم رمى الصرة فى المسجد وهرب .

٤٩ ـ ذات يوم دخل أعرابى اسمه « مجرم » المسجد ليصلى العشاء ، فقرأ الإمام : ﴿ألم نهلك الأولين ﴾ [المرسلات : ١٦] وكان فى الصف الأول فتأخر حتى وقف فى الصف الآخر ، فقرأ الإمام ﴿ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المرسلات] فتأخر ، فقرأ الإمام ﴿ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [المرسلات] ، فترك الصلاة وولى هارباً ، وهو يقول : والله ما المطلوب غيرى ، فلقيه بعض الأعراب فقال له : مالك يا مجرم ؟ فقال : إن الإمام أهلك الأولين والآخرين وأراد أن يهلكنى فى الجملة ، والله لا رأيته بعد اليوم .

٥٠ ـ تحاكم هارون الرشيد وزبيدة إلى أبى يوسف القاضى فى الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب ، فقال أبو يوسف : أنا لا أحكم على غائب ، فأمر الرشيد بإحضارهما ، وقدما بين يدى أبى يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال : يا أمير المؤمنين ما رأيت أحيل منهما كلما أردت أن أحكم لأحدهما أدلى الآخر بحجته .

٥١ ـ كان المطلب بن محمد الحنظبى علي قضاء مكة ، وكان عنده امرأة تزوجها بعد أن مات لها أربعة أزواج ، فمرض مرض الموت ، فجلست عند رأسه تبكى وتقول: إلى من توصى بى ؟ ففتح عينيه وقال : للسادس الشقى .

٥٢ ـ جاء رجل إلى أبى حنيفة وقال له : إذا نزعت ثيابى ودخلت النهر أغتسل أتوجه إلى القبلة أم إلى غيرها ؟ قال : توجه إلى ثيابك التى نزعتها .

٥٣ ـ سأل رجل الشعبى عن المسح على اللحية فقال : خللها ،قال الرجل : أتخوف أن لا نبلها ، فقال الشعبى : إن تخوفت فانقعها من أول الليل .

٥٤ ـ أفلتت من خطيب وهو يخطب الناس يوم الجمعة ريح ، فقال : أيها الناس . . إن الله خلق أبداناً وجعل فيها أرواحاً ، فمتى يتمالك الناس أن تخرج منهم؟ فقام رجل فقال : أما بعد فإن خروج الأرواح فى المراحيض سنة ، وعلى المنابر بدعة ، وأستغفر الله لى ولكم .

٥٥ ـ نظر رجل إلى امرأته وهى صاعدة على السلم فقال لها : أنت طالق إن صعدت ، وطالق إن نزلت ، وطالق إن وقفت . فرمت بنفسها من على السلم وسط الدار ، فقال لها : فداك أبى وأمى إن مات الإمام مالك احتاج إليك أهل المدينة فى أحكامهم .

٥٦ ـ قيل لمؤذن : ما نسمع أذانك ، فلو رفعت صوتك ، فقال : إنى أسمع صوتى من مسيرة ميل .

٥٧ ـ قال بعضهم : رأيت مؤذناً أذن ثم غدا يهرول ، فقلت له: إلى أين ؟ فقال: أحب أن أسمع أذانى إلى أين يبلغ .

٥٨ ـ شوهد مؤذن يؤذن من رقعة ، فقيل له : أما تحفظ الأذان ؟ فقال : سلوا القاضى . فأتوا القاضى فقالوا : السلام عليكم ، فأخرج دفتراً وتصفحه وهو يقول : باب رد السلام . . باب رد السلام آه وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فعذروا المؤذن .

٥٩ ـ قيل لطفيلى : أى سورة تعجبك فى القرآن ؟ قال : « المائدة » قالوا : فأى آية ؟ قال : ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ [الحجر:٣] قيل ثم ماذا ؟ قال :﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢] .

* * *

الباب الرابع عشر :



١ ـ عن عمران بن الحصين الخزاعى ﷺ .. أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهى حبلى من الزنا ، فقالت : يا رسول الله أصبت حداً فأقمه علىَّ فدعا نبى الله ﷺ وليها فقال : « أحسن إليها ، فإذا وضعت فأتنى » ففعل ، فأمر بها نبى الله ﷺ ، فشُدَّت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ، ثم صلى عليها ، فقال له عمر : تصلى عليها يا رسول الله وقد زنت ؟ قال :« لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل ؟!(١) .

٢ ـ روى أن إبراهيم عليه السلام لما عرج به إلى ملكوت السموات أبصر عبداً يزنى فدعا عليه فأهلكه الله تعالى ، ثم رأى عبداً يسرق فدعا عليه فأهلكه الله تعالى ، فقال الله تعالى : يا إبراهيم دع عنك عبادى فإن عبدى بين ثلاث خصال ، بين أن يتوب فأتوب عليه ، وبين أن أستخرج له ذرية تعبدنى ، وبين أن يغلب عليه الشقاء فمن ورائه جهنم (٢) .

٣ ـ قال الحسن : لما تاب الله تعالى على آدم عليه السلام هنأته الملائكة ، وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا : يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك ، فقال آدم عليه السلام : يا جبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامى ؟ فأوحى الله إليه : يا آدم ورثت ذويك التعب والنصب وورَّثتهم التوبة ، فمن دعانى منهم لبيته كما لبيتك ، ومن سألنى المغفرة لم أبخل عليه لأنى قريب مجيب ، يا آدم وأحشر التائبين

---

(١) صحيح مسلم (١٦٩٦) .

(٢) تنبيه الغافلين : ٦٩ .

من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب [١] .

٤ ـ كان العارف بالله الإمام مالك بن دينار يسير ذات يوم فى أحد شوارع البصرة فوجد رجلاً مخموراً ملقى على ظهره وقطرات الخمر على شفتيه وهو يقول : الله الله، فقال مالك بن دينار : لا يُجمل لهذا الاسم الكريم أن يخرج من بين شفتين مخمورتين ، فأحضر الماء وغسل الشفتين ، ثم دعا الله تعالى أن يهدى هذا المخمور وذهب مالك إلى بيته ، وفى المنام سمع من يقول له : يا مالك طهرت فمه من أجلنا فطهرنا قلبه من أجلك ، وبعد ذلك استيقظ الإمام مالك من نومه وذهب ليصلى الفجر كعادته فى المسجد ، وبينما هو فى الطريق وفى هزيع الليل الأخير وجد رجلاً يرسل زفرات الندم ويقول لربه : يارب أنا واقف ببابك .. أحتمى بجنابك .. فلا تطردنى من رحابك فاقبل توبتى ، وبعد ذلك قال : أأهنئ نفسى بقبول التوبة ؟ أم أعزيها برفض التوبة . فلما سمعه مالك بن دينار قال له : من أنت يرحمك الله ؟ فلما أمعن النظر فيه رآه نفس الرجل الذى كان مخموراً وغسل فمه ، فسأله مالك وقال له : كيف حالك يا عبد الله؟

فقال له الرجل : يا مالك .. إن الذى هدانى قد أخبرك بحالى [٢] .

٥ ـ يروى أن لصاً دخل بيت رابعة العدوية ليلاً لكى يسرقه ، فلم يجد فيه غير إبريق فيه ماء، فلما أراد الخروج قالت له عندما رأته يتسلل إلى الباب : يا هذا إن كنت من الأذكياء فلا تخرج بغير شىء فقال اللص : ولكنى لم أجد شيئاً ، فقالت له: يا مسكين توضأ بهذا الإبريق وادخل هذه الحجرة وصلى ركعتين فإنك ما تخرج إلا بشىء، ففعل اللص ما أمرته به ، فلما قام يصلى رفعت رابعة بصرها إلى السماء وقالت : سيدى ومولاى .. هذا أتى بابى فلم يجد شيئاً عندى وقد أوقفته ببابك فلا تحرمه من فضلك وثوابك .

فلما فرغ اللص من صلاة الركعتين لذت له العبادة فما برح يصلى إلى آخر الليل ، فلما كان وقت السحر دخلت عليه رابعة فوجدته ساجداً وهو يقول :

إذا ما قال لى ربى   أما استحييت تعصينى

---

(١) إحياء علوم الدين : ٨/٤ .

(٢) أنيس المؤمنين : ٥٥ .

وتخفى الذنب عن خلقى   وبالعصيان تأتينـى
فماذا أقـــول له لمـــا   يحاكمنى ويقصينى

فلما انتهى الرجل من ليلته قالت له رابعة : كيف كانت ليلتك ؟ قال : بخير .. وقفت بين يدى مولاى بذلى وافتقارى .. فقبل توبتى وأعذارى .. ورحم ذلتى وانكسارى .. ثم انطلق مسبحاً ، فرفعت رابعة بصرها إلى السماء وقالت : يا سيدى ومولاى هذا عبدك وقف ببابك ليلة فقبلته ، وأنا وقفت عمرى كله بين يديك أترى قبلتنى أم لا ؟ (١) .

٦ ـ روى أن بنى إسرائيل أصابهم قحط ـ لم تمطر السماء ـ فجمعهم موسى عليه السلام وصلى بهم صلاة الاستسقاء فلم تزد الشمس إلا حراً ، والجو إلا صحواً ، فأوحى الله إليه أن فيكم رجل له أربعون سنة يعصينى فمن أجله منعتكم الغيث ، فقام موسى فيهم خطيباً وقال : يا أيها العاصى الذى له أربعون سنة يعصى ربه أقسمت عليك أن تخرج من بيننا ، فقال العاصى فى نفسه : إن الله أخبر نبيه موسى بأمرى من فوق سبع سموات ... لقد تبت إليك يا رب ولن أعود للمعاصى أبداً .

فنزل المطر من السماء كأفواه القرب ، فقال موسى : يا رب بما أسقيتنا الغيث ؟ قال: بتوبة العاصى قال : يا رب أرنى إياه ؟ قال الله تعالى : يا موسى أنا ما فضحته حال معصيته فكيف أفضحه وقد تاب (٢) .

٧ ـ كان فى بنى إسرائيل رجل عَبَدَ الله تعالى عشرين سنة، ثم عصاه عشرين سنة، وذات يوم نظر فى المرآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك فبكى وقال : إلهى أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة ، فإن رجعت إليك أتقبلنى ؟ فسمع قائلاً يقول ولا يرى شخصاً : أحببتنا فأحببناك..وعصيتنا فأمهلناك . وإن رجعت إلينا قبلناك (٣).

٨ ـ إن العارف بالله الفضيل بن عياض كان يعمل قبل توبته سارقاً وقاطع طريق ، فنزل ذات ليلة ليسرق بيتاً وبينما هو ينزل على درج السلم فى الليل إذا به يسمع صوتاً من قبل صاحب البيت وهو يقرأ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] فأصغى إلى قراءته وأخذت الآية طريقها إلى أذنه

(١) من وصايا الرسول : ١/ ٤٧ .   (٢) نزهة المجالس :٢/ ٤٩ .
(٣) إحياء علوم الدين : ٤/ ٢٠ .

واخترقت الأذن إلى باب القلب ، وإذا بالفضيل تتسمر قدماه على السلم ويتوجه إلى الله تعالى ويقول : يارب أشهدك أنه قد آن الأوان ليخشع قلبى لذكرك .

هذا الذى كان يعمل سارقاً جاء عليه اليوم الذى أصبح فيه من أوائل العارفين بالله، وفى ذات يوم نادت عليه أمه وقالت له : يا فضيل ، فرد عليها بصوت مرتفع وقال لها : نعم يا أماه ، وبعد أن خلا بنفسه قال : كيف ترفع صوتك يا فضيل على أمك فاعتبر هذا ذنباً كفر عنه بعتق رقبة [1] .

٩ ـ قال ذو النون المصرى ـ رحمه الله : ضاق صدرى فى بعض الأيام فخرجت أتمشى على شاطئ النيل فمر بخاطرى العبور إلى ذلك الجانب فركبت سفينة وجعلت رأسى بين ركبتى فلم أرفعها حتى توسطت البحر ، فلما رفعت رأسى رأيت عن يمينى جارية ذات حسن وجمال وفى حجرها عود وبين يديها خمر وعن يمينها شاب حسن الشباب ، فقلت فى نفسى يانفس بعد عبادة سبعين سنة وقعت فى هذه السفينة بين قوم خمارين يعصون الله بالإجهار ، فالتفتت إلىّ الجارية وقالت لى : ياشيخ تشرب شيئاً ؟ فقلت : إن ربى سقانى ، فأشارت الجارية إلى الغلام املأ له الكأس واسقه فملأ الكأس وأعطانى فلم آخذه ، فقالت الجارية : يا شيخ لم لا تشرب من شرابنا ؟ أتريد أن أغنى لك حتى تشرب أو تغنى أنت لنا حتى نشرب ؟ فقلت : بل أنا أغنى لكم ، فقالت : غَنِّ لنا حتى نسمع غناءك ، فأنشدت :

فى ظلمة الليل نغمة القارى[2] ... أحسن من قينة ومزمـــار
يا حسنه والجليل يسمـــعـــه ... بحسن صوت ودمعه جارى
وخده فى التــــراب عفـره ... وقلبه فى محبة البـــارى
يقول: يا سيدى ويا أمـــلـى ... أشغلنى عنك ثقـل أوزارى
اغفر ذنوبى لأنـــها عظمـت ... ولم تزل يا جليل غفـــارى
ذاك غدا فى الجنان مســكنه ... بدار قدس بقرب جـــبـار
يسكن مع زوجة تشـــاكلـــه ... يا حسن مختارة لمخـــتـار

فلما سمعت الجارية ذلك خرت مغشياً عليها ، فلما أفاقت خلعت ما كان عليها من

(١) أنيس المؤمنين : ٧٩ .
(٢) القارى : القارئ أى قارئ القرآن .

الديباج وكسرت العود ورمت بالخمر إلى البحر وقالت : يا شيخ إذا تبت إليه يقبلنى؟ قلت نعم . . هكذا قال فى محكم الآيات : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [الشورى : ٢٥] فكشفت رأسها وقبلت يدى وقالت : يا سيدى إن كنت السبب فى المصالحة فاسأله العفو والمسامحة .

قال ذو النون المصرى : نزلنا من السفينة وتفرقنا فلم أرها بعد ذلك ، فلما كان فى بعض السنين حججت إلى بيت الله الحرام فبينما أنا أطوف بالبيت وإذا بجارية شعثاء وهى متعلقة بأستار الكعبة تبكى وتتضرع إلى الله عز وجل ، فلما اقتربت منها تفرست وجهى وقالت : ذو النون المصرى ! فقلت لها : من أخبرك أنى ذو النون ؟ فقالت : ياشيخ أنا الجارية التى تبت على يديك فى نيل مصر ، فقلت : وأين ذلك الحسن والجمال ؟ فأنشدت :

ذهبت لذة الصبا فى المعاصى ... وبعد ذاك أخذ النواصـــى [(١)]
ومضى الحسن والجمال وإلى ... عمل أرتجيه يوم الخـــلاص
غير ظنى بالله وهو جمـــيل ... فيه أخلصت غاية الإخلاص

ثم قالت : يا ذا النون قف مكانك حتى أعود ، فغابت ثم أقبلت ومعها طبق عليه رطب وتين وعنب فى غير أوانه ، فوضعته بين يدىَّ ، فاختلج فى نفسى أنى بعد عبادة سبعين سنة لم أصل إلى ما وصلت إليه هذه الجارية ، فقالت : يا شيخ لما أتيت إليه ، واعترفت بين يديه رزقنى صدق التوكل عليه . . ثم أنشدت :

عش غريباً ولا تذل لخـــلق ... واطلب الرزق فى بلاد الحبيب
ثم سر فى البلاد شرقاً وغرباً ... وتـوكل على القـريب المجيب
فعسـى أن تنـال مـا تـرتجـيه ... بيد اللطيف من مكان قريب [(٢)]

١٠ ـ ذهب رجل إلى إبراهيم بن أدهم وقد كان من أطباء القلوب ، وقال له : إنى مسرف على نفسى ، فأعرض علىَّ ما يكون زاجراً لها . فقال له إبراهيم : إن قدرت على خمس خصال لن تكون من العصاة . فقال الرجل : هات ما عندك يا إبراهيم . فقال : الأولى إذا أردت أن تعصى الله فلا تأكل شيئاً من رزقه ، فتعجب الرجل ثم قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم ، والأرزاق كلها من عند الله ؟ فقال : إذا كنت تعلم

(١) النواصى : جمع ناصية وهى مقدمة الرأس . (٢) الروض الفائق : ٢٦٠ .

ذلك فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتعصيه ؟!!

قال الرجل : لا . . يا إبراهيم هات الثانية :

فقال إبراهيم : إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده ، فتعجب الرجل أكثر من تعجبه السابق ثم قال : كيف تقول ذلك يا إبراهيم والبلاد كلها ملك الله؟ . فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه ؟ قال : لا . يا إبراهيم هات الثالثة :

فقال إبراهيم : إذا أردت أن تعصى الله فانظر مكاناً لا يراك فيه فاعصه فيه ، قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم ؟ وهو أعلم بالسرائر ـ يعلم السر وأخفى ـ ويسمع دبيب أرجل النملة السوداء فى الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ، فقال له إبراهيم : إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تعصيه ؟ قال : لا : يا إبراهيم هات الرابعة .

فقال إبراهيم : إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له : أخرنى إلى أجل ممدود . فقال الرجل : كيف تقول ذلك يا إبراهيم والله تعالى يقول : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١) ﴾ [النحل : ٦١]؟ فقال له : إذا كنت تعلم ذلك فكيف ترجوا النجاة ؟ قال : نعم ، هات الخامسة يا إبراهيم ، فقال : إذا جاءك الزبانية وهم ملائكة جهنم ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم ، فما كاد الرجل يستمع إلى هذه الخامسة حتى قال باكياً : كفى يا إبراهيم . . أنا أستغفر الله وأتوب إليه ، والله لا أعصى الله أبداً ، ثم تاب ولزم العبادة حتى فارق الحياة (١) .

١١ ـ روى عن على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ أنه رأى رجلاً قد فرغ من صلاته وقال : اللهم إنى أستغفرك وأتوب إليك سريعاً ، فقال له : يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج إلى توبة . قال : يا أمير المؤمنين وما التوبة ؟ قال : اسم يقع على ستة معان : على الماضى من الذنوب الندامة ، ولتضييع الفرائض الإعادة ، ورد المظالم إلى أهلها ، وإذئاب النفس فى الطاعة كما أذأبتها فى المعصية ، وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، وأن تزين نفسك فى طاعة الله كما زينتها فى معصية الله ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (٢) .

---

(١) مائة قصة .

(٢) التذكرة للقرطبى : ٥٤٠ .

١٢ـ قيل . . كان بالبصرة شاب يقال له رضوان . . كثير اللهو والعصيان . . والتيه والطغيان . . يبيت الليالى بالخمر سكران . . قد غلبت عليه شقوته وأغواه الشيطان . . فبينما هو فى بعض الأيام . . معتكف على شرب المُدام . . ومعه جماعة من أصحابه الموافقين على الذنوب والآثام . . إذ سمع رجلاً فقيراً ينشد فى الطريق :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل   خلوت ولكن قل علىَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفـــل لمـــحة   ولا أن ما يخفى عليـه يغيب

فبكى الشاب وقال : بالله عليك يا فقير إلا ما أعدت إلىَّ قولك فأعاده ، فاقسم عليه الـشاب أن يحضر مجلســهم ، فحضر ، فقال له : والله يا سيدى لقد سعدنا برؤياك . . وأعجبنا صوتك وحسن غناك . . فغن لنا . . وطيب عيشنا ، فأنشد الفقير وقال :

تعصى الإله وأنت تأكل رزقـه   ويراك إذا من خلقه تتكتم
فاحذر فما حاولت أمراً منكرا   إلا وينظره لديك ويعــلم

فبكى الشاب وخر مغشياً عليه ، فلما أفاق من غشيته كسر أوانى الخمر وأقبل على الفقير وقال : يا سيدى هل من توبة ؟ فأنشد :

هذا زمان الصلح ما أقعدك   عن باب من للخير قد عوَّدك
فإن محوت اليوم ما سطرت   أيدى خطاياك فما أسعـــدك

فبكى الشاب وبكى أصحابه ، ثم تابوا وخلعوا ما كان عليهم من لباس الزينة ، وتاب الشاب إلى ربه . . وندم على قبيح ذنبه ، وبات ليلته يحضره الفقير فى بكاء ونحيب وحسرات وزفرات ، فلما كان وقت السحر ذكر ذنوبه والسيئات . . فصرخ وأسبل العبرات . . ثم غشى عليه فحركه الفقير فإذا به قد مات (١) .

١٣ ـ عن عطاء بن خالد قال : بلغنى أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) ﴾ [آل عمران : ١٣٥] صاح إبليس عليه اللعنة بجنوده وحثا التراب على رأسه ودعا بالويل حتى جاءته جنوده من كل بر وبحر ، فقالوا : مالك ياسيدنا ؟ فقال : آية نزلت فى كتاب الله تعالى لا يضر بعدها أحداً من بنى آدم ذنب ، قالوا : وما هى ؟ فأخبرهم ، قالوا : نفتح لهم أبواب الأهواء فلا يتوبون ولا يستغفرون ويظنون أنهم على الحق ؛ فرضى بذلك .

(١) الروض الفائق : ٣٠٨ .

*** ومن أجمل ما قيل فى التوبة من أشعار :**

بادر إلى التوبة فى وقتهـا فالمرؤ مرهون بما قد جنـــاه
وانتهز الفرصة إن أمكنت ما فار بالخير سوى من جناه

وقال آخر :

هذى ذنوبى فى الورى كـثرت وليس لى عمل فى الحشر ينجينى
وقد أتيتك بالتوحـيد يصحبـه حب النبى وهذا القدر يكفينـــى
يامن لطفت بحالى قبل تكوينى لا تجعل النار يوم الحشر تكوينى

وقال آخر :

حاسبت نفسى لم أجد لى صالحاً إلا رجائى رحمة الرحـمـــن
ووزنت أعمالى علىَّ فلم أجـــد فى الأمر إلا خـفة الميـــزان
وظلمت نفسى فى أمورى كلهـــا ويحى إذاً من وقـفة الديـــان
يا أيها الإخــــوان إنى راحـــل مهما يطل عمرى فـإنى فـــان
يارب إن لم ترض إلا ذا تـــقى من للمسىء المذنــب الحـيران
يا واحداً فى ملكه ما لـه ثـانــى يا من إذا قلت يا مـولاى لبانى
أنسى وتذكرنى فى كـل نائـــبة فكيف أنساك يامن لست تنسانى؟

وقال آخر :

مازلت أعرف بالإساءة دائمـاً ويكون منك الصفح والغفران
لم تنتقصنى إن أسأت وزدتنى حتى كأن إساءتى إحســـــان
منك التفضل والتكرم والرضا أنت الإله المنعـــــم المنـان

وقال آخر :

أنت الذى تهب الكثير وتجبر الـ قلب الكسير وتغفر الـزلات
وتقول :هل من تائب مستغفـر أو سائل أقضى له الحاجات؟

وقال آخر :

يا من له علم الغيوب ووصـــــفه ستر العيوب وكل ذاك سماح
أخفيت ذنب العبد عن كل الورى كرماً فليس عليه ثم جنـــاح
منك التفضل والتكرم والـــرضـا أنت الإله المنعم الفـــتـاح

وقال آخر :

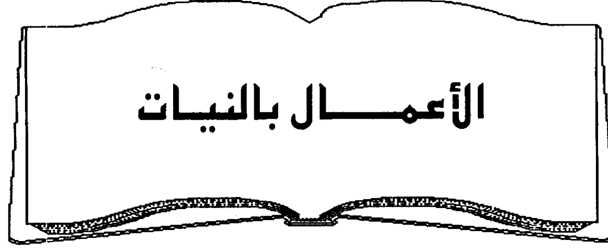
أنا العبد المقر بكل ذنب وأنت السيد المولى الغفور
فإن عاقبتنى فبسوء فعلى وإن تغفر فأنت به قديـــر

وقالت رابعة رضي الله عنها :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعتــه إن المحب لمن يحب مطيـــع

* * *

الباب الخامس عشر :



١ ـ قال رسول الله ﷺ :« كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على راهب ، فأتاه فقال : إنه قتل تسع وتسعين نفساً، فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصَّف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم ـ أى حكماً ـ فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد : فقبضته ملائكة الرحمة » (١) .

٢ ـ روى أن رجلاً مر بكثبان من رمل فى ـ أيام ـ مجاعة ، فقال فى نفسه : لو كان هذا الرمل طعاماً لقسمته بين الناس ، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل له إن الله تعالى قد قبل صدقتك ، وقد شكر حسن نيتك ، وأعطاك ثواب ما لو كان طعاماً فتصدقت به (٢) .

٣ ـ حكى أن أخوين كان أحدهما عابداً والآخر مسرفاً على نفسه ، فسولت للعابد

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦) .

(٢) إحياء علوم الدين : ٤/ ٤٣٢ .

يوماً نفسه أن يتبع شهواتها ترويحاً لما ضيع من سنين عمره فى العبادة ثم يتوب بعد ذلك لعلمه أن الله غفور رحيم ، فقال العابد فى نفسه : أنزل إلى أخى فى أسفل الدار وأوافقه على الهوى واللذات بعض الوقت ثم أتوب وأعبد الله فيما تبقى من عمرى ، فنزل على هذه النية . وقال أخوه المسرف : قد أفنيت عمرى فى المعصية وأخى العابد يدخل الجنة وأنا أدخل النار ، والله لأتوبن وأصعد إلى أخى وأوافقه فى العبادة ما بقى من عمرى ، فلعل الله يغفر لى ، فطلع على نية التوبة ، ونزل أخوه على نية المعصية، فزلت رجله فوقع على أخيه فمات الاثنان معاً ، فحشر العابد على نية المعصية ، وحشر المسرف على نية التوبة [١] .

٤ ـ كان لأحد الصالحين أم يقوم بنفسه على خدمتها ولا يشرك زوجته فى أمر من أمور أمه ، فعندما توفى وصعدت روحه إلى الله لقى الله وهو عليه غضبان ، فقالت الملائكة : يا ربنا لقد كان يكرم أمه . فقال الله لهم : يا ملائكتى أنتم لا تعلمون ماذا كان يقول بينى وبينه . . . إنه كلما قدم لها طعاماً سألنى قائلاً : اللهم خذها وأرحنى منها [٢] .

٥ ـ خرج أحد الأمراء للصيد فأدركه العطش ، فرأى فى البرية بستاناً وعنده صبى، فطلب منه ماء ، فقال : ليس عندنا ماء ، قال ادفع لى رمانة فدفعها إليه فاستحسنها ، فنوى أخذ البستان ، ثم قال ادفع لى أخرى ، فدفع له أخرى فوجدها حامضة ، فقال: أما هى من الشجرة الأولى ؟ قال : نعم . قال : كيف تغير طعمها ؟ قال : لعل نية الأمير تغيرت فرجع عن ذلك فى نفسه ثم قال : ادفع لى أخرى ، فدفع له أخرى أحسن من الأولى ، فقال : كيف صلحت ؟ قال : بصلاح نية الأمير [٣] .

٦ ـ روى أنه كان عابد فى بنى إسرائيل يعبد الله دهراً طويلاً ، فجاءه قوم فقالوا : إن هاهنا قوماً يعبدون شجرة من دون الله تعالى ، فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها ، فاستقبله إبليس فى صورة شيخ فقال : أين تريد رحمك الله؟ قال : أريد أن أقطع هذه الشجرة ، قال : وما أنت وذاك ! تركت عبادتك واشتغالك

---

(١) مائة قصة : ١٠ .

(٢) أنيس المؤمنين :٨٢ .

(٣) نزهة المجالس :٩/١ .

بنفسك وتفرغت لغير ذلك ؟ فقال : إن هذا من عبادتى ، قال : فإنى لا أتركك أن تقطعها ، فقاتله فأخذه العابد فطرحه إلى الأرض وقعد على صدره ، فقال له إبليس : أطلقنى حتى أكلمك ، فقام عنه ، فقال إبليس : يا هذا إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك . . وما تعبدها أنت وما عليك من غيرك ، ولله تعالى أنبياء فى أقاليم الأرض ولو شاء لبعثهم إلى أهلها وأمرهم بقطعها ، فقال العابد : لابد لى من قطعها ، فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره ، فعجز إبليس فقال له : هل لك فى أمر فصل بينى وبينك وهو خير لك وأنفع ؟ قال : وما هو ؟ قال : أطلقنى حتى أقول لك ، فأطلقه فقال إبليس : أنت رجل فقير لا شىء لك إنما أنت كَل على الناس يعولونك ، فارجع عن هذا الأمر ولك على أن أجعل عند رأسك فى كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهما فأنفقت على نفسك وعيالك ، فوافق العابد ، ورجع إلى متعبده فبات ، فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ، ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئاً ، فغضب وأخذ فأسه على عاتقه ، فاستقبله إبليس فى صورة شيخ فقال له : إلى أين ؟ قال : أقطع تلك الشجرة ، فقال : كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك إليها ، قال : فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة ، فقال : هيهات ، فأخذه إبليس وصرعه ، فإذا هو كالعصفور بين رجليه ، وقعد إبليس على صدره وقال : لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك ، فنظر العابد فإذا لا طاقة له به ، قال : يا هذا كيف غلبتك أولاً وغلبتنى الآن ؟ فقال : لأنك غضبت أول مرة لله وكانت نيتك الآخرة فسخرنى الله لك ، وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك [١] .

٧ ـ دخل أعرابى المسجد فصلى صلاة خفيفة ، فقام إليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه بالدرة ـ وهى عصاة كان يحملها ـ وقال : أعد الصلاة ، فأعادها مطمئناً ، فقال على : أهذه خير أم الأولى ؟ فقال الأعرابى : بل الأولى لأنى صليتها لله ، والثانية صليتها خوفاً من الدرة [٢] .

٨ ـ قال أحد الصالحين : غزوت ذات يوم فى البحر ، فعرض بعضنا مخلاة ،

(١) إحياء علوم الدين : ٤٤٨/٤ .
(٢) نزهة المجالس : ٨/١ .

فقلت أشتريها فأنتفع بها فى غزوى فإذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها ، فاشتريتها فرأيت تلك الليلة فى النوم كأن شخصين قد نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه : اكتب الغزاة ، فأملى عليه . . خرج فلان متنزهاً وفلان مرائياً وفلان تاجراً وفلان فى سبيل الله ، ثم نظر إلىَّ وقال : اكتب فلانا خرج تاجراً ، فقلت الله الله فى أمرى ما خرجت أتجر وما معى تجارة أتجر فيها ما خرجت إلا للغزو ، فقال : يا شيخ قد اشتريت أمس مخلاة تريد أن تربح فيها ، فبكيت وقلت : لا تكتبونى تاجراً فنظر إلى صاحبه وقال : ما ترى ؟ فقال : اكتب خرج فلان غازياً إلا أنه اشترى فى طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه بما يرى (١) .

٩ - قال رسول الله ﷺ : « إن أول ناس يقضى بينهم يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت. قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال فلان جرىء وقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار .

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن : فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمت وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ وقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد (كريم) وقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار » (٢) .

١٠ - عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » (٣) .

---

(١) إحياء علوم الدين : ٤/٤٤٩ .

(٢) رواه الإمام مسلم فى صحيحه .

(٣) رواه البخارى (١) ومسلم (١٩٠٧) .

ـ قال الإمام الشافعى : هذا الحديث ثلث العلم ،ويدخل فى سبعين بابا من الفقه.

ـ وقال الإمام أحمد : أصول الإسلام ثلاثة أحاديث : حديث عمر « إنما الأعمال بالنيات » وحديث عائشة « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وحديث النعمان بن بشير « الحلال بين والحرام بين » .

ـ وقال الحافظ طاهر الأندلسى (١) :

عمدة الدين عندنا كلمات أربع من كلام خير البرية
«اتق الشبهات» و«ازهد » و« دع ما ليس يعنيك » و« اعمل بنية»

*** ومن أجمل ما قيل فى هذا المعنى من أشعار :**

إن لله عباداً طلقوا الدنيا وهاموا
فله ذلوا فعزوا وله صلوا وصاموا
قدموا حُسن النوايا وعلى الأوراد داموا
فإذا ما رقد الناس ونام الخلق قاموا
فلهم فى الليل أحوال إذا جن الظلام
تركوا الشهوة زهداً وسواهم مستهام
أخلصوا فى الحب لله وعلى الخير أقاموا
فعلى الدنيا إذا لم يوجدوا فيها السلام

وقال آخر :

وغضضت طرفى عن سواك فما أرى فى الكون غيرك من إله يعبد
يامن له عنت الوجوه بأسرها وله جميع الكائنات توحد
يا منتهى سؤلى وغاية مطلبى من لى إذا أنا من جنابك أطرد
أنت المؤمل فى الشدائد كلها يا سيدى ولك البقاء السرمد
ولك التصرف فى العباد كما تشا فلذاك تشقى من تشاء وتسعد
فامنن علىَّ بتوبة يامن له قلب المحب مقدس وموحد

وقال آخر :

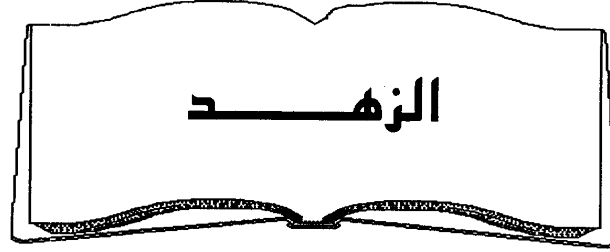
فيا من بات يخلو بالمعاصى وعين الله شاهدة تراه

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب .

تبارز بالمعاصى منك مولى | على جهل يـــراك ولا تراه
فيا حزن المسىء لشؤم ذنبٍ | وبعد الحزن يكفيه جـــواه
ويندم حسرة من بعد فوت | ويبكى حيث لا يجزى بكاه
يعض يديه من ندم وحزن | ويندب حسرة ما قد عـــراه
فكن بالله ذا ثقة وحـــاذر | هجوم الموت من قبل أن تراه
وبادر بالمتاب وأنت حـــى | لعلك أن تـــنال به رضـــاه
ولُذْ بالمصطفى خير البرايا | رسول الله للـــناس اصطفاه
عليه من المهيمن كل وقت | سلام عطر الـــدنيا شـــذاه

* * *

الباب السادس عشر :



١ ـ عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير ، فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره ، وإذا الحصير قد أثر فى جنبه ، وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ، وقرظ (١) فى ناحية فى الغرفة ، وإذا إهاب معلق ، فابتدرت عيناى ، فقال : « ما يبكيك يا بن الخطاب ؟ » فقال : يا نبى الله ومالى لا أبكى ! وهذا الحصير قد أثر فى جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذاك كسرى وقيصر فى الثمار والأنهار وأنت نبى الله وصفوته هذه خزانتك !!

قال :« يا ابن الخطاب . . أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟! »(٢) .

٢ ـ عن زيد بن أرقم ﷺ قال : كنا مع أبى بكر الصديق ﷺ فاستسقى ، فأُتى بماء وعسل ، فلما وضعه على يده بكى وانتحب حتى ظننا أن به شيئاً ولا نسأله عن شىء ، فلما فرغ قلنا : يا خليفة رسول الله ﷺ ما حملك على هذا البكاء ؟ قال : بينما أنا مع رسول الله ﷺ إذ رأيته يدفع عن نفسه شيئاً ولا أرى شيئاً ، فقلت : يا رسول الله ما الذى أراك تدفع ولا أرى شيئاً ؟ قال : « الدنيا تطولت لى فقلت : إليك عنى ، فقالت : أما إنك لست بمدركى » قال أبو بكر : فشق علىَّ ، وخشيت أن أكون قد خالفت أمر رسول الله ﷺ ولحقتنى الدنيا (٣) .

٣ ـ روى عن عمر ﷺ أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة ﷺ:

---

(١) القرظ : ورق شجر يسمى السلم يدبغ به الجلد ونحوه .

(٢) أخرجه أحمد بإسناد صحيح وأخرجه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٣) قال المنذرى فى الترغيب (١٦٨/٥) : رواه ابن أبى الدنيا والبزار ورواته ثقات إلا عبد الواحد بن زيد الزاهد.

البس ألين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ، ومر بصنعة طعام تُطعَمه وتطعم من حضر ، فقال عمر : يا حفصة ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته؟ فقالت : بلى ، قال : ناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ، ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة ، وناشدتك الله هل تعلمين أن النبى ﷺ لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر ؟ وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قربتم إليه يوماً طعاماً على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض ؟ وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة أربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال : « منعتمونى قيام الليلة بهذه العباءة أثنوها باثنتين كما كنتم تثنوها ؟ » وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوباً يخرج به إلى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة ؟ . .

فما زال يقول حتى أبكاها وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب حتى ظننا أن نفسه ستخرج(١).

٤ ـ يحكى أن رسول الله ﷺ كان يجلس ذات يوم بين أصحابه فى جلسة نورانية أراد أن يخرج منها هؤلاء الأصحاب الفضلاء بدرس مفيد يستنيرون به فى طريق الحق تبارك وتعالى حتى يصلوا إليه . . وبطريقة تربوية رائدة نظر صلوات الله وسلامه عليه إلى صاحبه الصديق رضي الله عنه ثم قال له : « أتحب من الدنيا شيئاً يا أبا بكر ؟» قال : نعم . . أحب لأجلك ثلاثاً . . قال : « وما هى ؟ » قال : نظرى إليك ، وجلوسى بين يديك ، وإنفاق مالى عليك .

ثم نظر إلى عمر رضي الله عنه وقال له : « وأنت يا عمر أتحب من الدنيا شيئاً ؟ » قال : نعم . . أحب لأجلك ثلاثاً . قال : « وما هى ؟ » قال : أمر بالمعروف ولو كان سراً ، ونهى عن المنكر ولو كان جهراً ، وقول الحق ولو كان مراً .

ثم نظر إلى عثمان رضي الله عنه وقال له : « وأنت يا عثمان أتحب من الدنيا شيئاً ؟ » قال : نعم أحب لأجلك ثلاثاً . . قال : « وما هى ؟ ». قال : إطعام الطعام ، وإفشاء السلام، وركعات بالليل والناس نيام .

---

(١) إحياء علوم الدين : ٤/ ٢٧٠ .

ثم نظر إلى على ﷺ وقال له : « وأنت يا على أتحب من الدنيا شيئاً ؟» قال : نعم أحب لأجلك ثلاثاً . . قال : « وما هى ؟ » قال : إكرام الضيف ، والصيام فى الصيف ، وضرب أعناق المشركين بالسيف . ثم بعد ذلك ورد أن النبى ﷺ قال لهم معلقاً : « وأنا أحب من دنياكم : الطيب ، والنساء ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة » (١) .

كما روى أن جبريل عليه السلام هبط بعد ذلك على رسول الله ﷺ وقال له : «ربك يقرئك السلام ويقول لك : إنه يحب ثلاثاً : لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وجسد على البلاء صابر » كما قال جبريل عليه السلام بعد هذا :« وأنا أحب من الدنيا ثلاثاً : تبليغ الرسالة ، وأداء الأمانة ، والمساكين » .

وعندما علم الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم بهذه الثلاثيات المباركات . . قال أبو حنيفة : وأنا أحب من الدنيا ثلاثاً : تحصيل العلم فى طول الليالى ، وترك الترفع والتعالى ، وقلب من حب الدنيا خالى . . وقال الإمام مالك : وأنا أحب من الدنيا ثلاثاً : مجاورة روضته ﷺ وملازمة تربته (٢)، واحترام أهل بيته . . وقال الشافعى : وأنا أحب من الدنيا ثلاثاً : عشرة الخلق بالتلطف (٣) ، وترك ما يؤدى إلى التكلف (٤)، والاقتداء بطريق التصوف (٥) . . وقال ابن حنبل : وأنا أحب من الدنيا ثلاثاً : متابعة النبى ﷺ فى أخباره ، والتبرك بأنواره ، والسلوك فى طريق آثاره (٦) .

٥ ـ جاء رجل إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ ذات يوم ، وقال له : يا أمير المؤمنين لقد اشتريت داراً وأريد أن تكتب لى عقد الشراء بيديك ، فنظر أمير المؤمنين إلى وجه الرجل فرأى الدنيا قد تربعت على عرش قلبه ، وأراد أمير المؤمنين أن

(١) ما كان النبى ﷺ يحب نساء الغير كما يزعم أعداء الإسلام ـ قاتلهم الله ـ وإنما كان يحب نساءه هو . . لكى يكون قدوة لأصحابه فى احترام المرأة الصالحة . . لأن بعضهم كان يحتقر المرأة ، وكان ينظر إليها على أنها جارية أو على أنها سلعة تباع وتشترى ، ولهذا كانوا يقتلون البنات مخافة الفاقة والعار .

(٢) تربته : أى التراب الذى كان يسير عليه المصطفى ﷺ .

(٣) أى باللين .

(٤) التكلف : أى ما يزيد عن حده حتى لا ينقلب إلى ضده .

(٥) التصوف الذى يعنيه الشافعى عليه رضوان الله هو الذى يتفق مع الكتاب والسنة والخالى من البدع أو الدجل ، وهو أيضاً الصفاء ، كما قال الشاعر :

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى ... صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

(٦) هذا الأثر ذكره طه عبد الله عفيفى فى كتابه (من وصايا الرسول : ١/ ٢٢١) والعهدة عليه .

يلقنه درساً يذكره فيه بالله تعالى فأمسك بالقلم وكتب :« بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : فقد اشترى ميت من ميت . . داراً فى بلد المذنبين ، وسكة الغافلين ، لها أربعة حدود . . الحد الأول ينتهى إلى الموت ، والحد الثانى ينتهى إلى القبر ، والحد الثالث ينتهى إلى الحساب ، والحد الرابع ينتهى إما إلى الجنة وإما إلى النار ـ أو كما يشاء الواحد القهار .

فنظر الرجل فى الرقعة ثم قال : يا أمير المؤمنين جئتك لتكتب لى عقد دار فكتبت لى عقد مقبرة فأراد على ﷺ أن يعلمه أن الدار الآخرة هى التى ينبغى أن نجد فى العمل لها لا الدار الدنيا فقال له :

لا تركنن إلى الدنيا وما فيها ... فالموت لاشك يفنينا ويفنيها
واعمل لدار غداً رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن ناشيها
أركانها من ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها
أنهارها من لبن محفو من عسل ... والخمر يجرى رحيقاً فى مجاريها
والطير تجرى على الأغطان عاكفة ... تسبح الله جهراً فى مغانيها
من يشترى الدار فى الفردوس يعمرها ... بركعة فى ظلام الليل يخفيها
أو سد جوعة مسكين بشبعته ... فى يوم مسغبة عمن خلا فيها
النفس تطمع فى الدنيا وقد علمت ... أن السلامة منها ترك ما فيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها ... ودارنا لخراب الدهر نبنيها
أين الملوك التى كانت مسلطنة ... أما سقاها بكأس الموت ساقيها
كم من مدائن فى الآفاق قد بُنيت ... أمست خراباً وأفنى الموت أهليها
إن المدائن أخلاق مطهرة ... الدين أولها والعلم ثانيها
والعقل ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والفضل ساديها
والبر سابعها والشكر ثامنها ... والصبر تاسعها واللين باقيها
النفس تطمع أن تكون غنية ... والفقر أفضل من غنى يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت ... فجميع ما فى الأرض لن يكفيها
لا دار للمرئ بعد الموت يسكنها ... إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فمن بناها بخير طاب مسكنها ... ومن بناها بسوء خاب بانيها (١) .

٦ ـ دخل رجل على أبى ذر الغفارى ﷺ ، فجعل يقلب بصره فى بيته ، فقال :

(١) أنيس المؤمنين : ٣٢ ، مع ديوان الإمام على : ٣٨ .

يا أبا ذر ، ما أرى فى بيتك متاعاً ولا غير ذلك من الأثاث ، فقال : إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا ، فقال : إنه لابد لك من متاع ما دمت هاهنا ، فقال : إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه (١) .

٧ - دخل سعد بن أبى وقاص على سلمان الفارسى يعوده وهو مريض ، فبكى سلمان ، فقال له سعد : ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟ توفى رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، فقال سلمان : أما إنى لا أبكى جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً فقال : « ليكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب» ، وحولى هذه الأوساد ، وقال : وإنما كان حوله إجانة وجفنة ومطهرة ، فقال سعد : يا أبا عبد الله اعهد إلينا عهداً فنأخذه بعدك ؟ فقال : يا سعد اذكر الله تعالى عند همك إذا هممت ، وعند حكمك ، وعند برك إذا أقسمت(٢) .

٨ - يروى أن الحسن البصرى - رحمه الله - دخل على مريض يعوده فوجده فى سكرات الموت فنظر إلى كربه ، وشدة ما نزل به ، فرجع إلى أهله بغير اللون الذى خرج به من عندهم ، فقالوا له : الطعام يرحمك الله ، فقال : يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم ، فو الله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه (٣) .

- سئل الحسن البصرى : ما سر زهدك فى الدنيا أبا سعيد ؟

فقال لهم : علمت أن رزقى لا يأخذه غيرى فاطمأن قلبى .

وعلمت أن عملى لا يقوم به سواى فاشتغلت به .

وعلمت أن الله مطلع علىَّ فاستحييت أن يرانى على معصية .

وعلمت أن الموت ينتظرنى فأعددت الزاد للقاء الله .

فقالوا له : أى الأيام عندك عيد يا تقى الدين ؟

قال : كل يوم لا أعصى الله فيه فهو يوم عيد (٤) .

٩ - مر عيسى عليه السلام على مدينة خربة ، فأعجبه البنيان فقال : أى رب مر

(١) إحياء علوم الدين : ٤/٢٨٨ .
(٢) رجال حول الرسول :٦١ .
(٣) التذكرة للقرطبى :١٤ .
(٤) أنيس المؤمنين :٥٢ .

هذه المدينة أن تجيبنى ، فأوحى الله إلى المدينة : أيتها المدينة الخربة جاوبى عيسى . قال: فنادت المدينة عيسى : حبيبى وما تريد منى ؟ قال : ما فعل أشجارك وما فعل أنهارك وما فعل قصورك وأين سكانك ؟ قالت : حبيبى جاء وعد ربك الحق ، فيبست أشجارى، ونشفت أنهارى ، وخربت قصورى ، ومات سكانى ، قال : فأين أموالهم؟ فقالت: جمعوها من الحلال والحرام موضوعة فى بطنى ، لله ميراث السموات والأرض قال : فنادى عيسى عليه السلام : تعجبت من ثلاث أناس .. طالب الدنيا والموت يطلبه ، وبانى القصور والقبر منزله ، ومن يضحك ملء فيه والنار أمامه ! ابن آدم لا بالكثير تشبع ، ولا بالقليل تقنع ، تجمع مالك لمن لا يحمدك ..[1] .

١٠ ـ قال وهب بن منبه : خرج عيسى عليه السلام يسيح فى الأرض فصحبه يهودى، وكان معه رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى : تشاركنى فى طعامك ؟ قال اليهودى : نعم . فلما علم أن ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم .. فقام ـ عيسى ـ إلى الصلاة .. فذهب صاحبه وأكل رغيفاً .. فلما أتم عيسى الصلاة قدما طعامهما ، فقال عيسى لصاحبه : أين الرغيف الآخر ؟ فقال : ما كان إلا رغيف واحد. فأكل عيسى رغيفاً وصاحبه رغيفاً ثم انطلقا ، فجاءوا إلى شجرة ، فقال عيسى لصاحبه : لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح . فقال : افعل . فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له : أرأيت إن أنا عالجتك حتى يرد الله بصرك فهل تشكره ؟ قال : نعم . فمس بصره ودعا الله له فأبصر ، فقال عيسى لليهودى : بالذى أراك الأعمى يبصر أما كان معك رغيف ؟ فقال : والله ما كان إلا رغيف واحد . فسكت عيسى عنه ، فمرا بظباء ترعى فدعا عيسى عليه السلام ظبياً منها فذبحه ، ثم أكلا منه ثم قال عيسى للظبى : قم بإذن الله .. فقام ، فقال الرجل : سبحان الله ، فقال عيسى بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث ؟ فقال : ما كان إلا رغيف واحد . فمضيا فمرا بنهر عظيم ، فأخذ عيسى بيده فمشى به على الماء حتى جاوزاه . فقال الرجل : سبحان الله ، فقال عيسى : بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ فقال الرجل : والله ما كان إلا رغيف واحد .. فمضيا حتى أتيا قرية عظيمة خربة وإذا قريب منها ثلاثة أحجار كبيرة ، فقال لهم عيسى كونوا ذهباً ، فتحولوا إلى

---

(١) قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير : ٤٩٣ .

ذهب ، فقال عيسى : واحد لى وواحد لك وواحد لصاحب الرغيف الثالث ، فقال الرجل : أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلى ، فقال عيسى : هى لك كلها وفارقه ، فأقام الرجل عليها ليس معه ما يحملها عليه ، فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا الذهب ، فقال اثنان منهم لواحد : انطلق إلى القرية فأتنا بطعام ، فذهب فقال أحد الباقين : نقتل هذا إذا جاء ونقسم هذا بيننا . قال صاحبه : نعم ، ثم إن الذى ذهب ليشترى لهما الطعام قال فى نفسه : أجعل فى الطعام سماً فأقتلهما وآخذ الذهب وحدى، ففعل ما أملاه عليه شيطانه، فلما عاد بالطعام المسموم أكلاه بعد أن قتلاه فماتا هما أيضاً بجوار الذهب ، فمر سيدنا عيسى عليه السلام بعد ذلك وعندما رأى الأربعة صرعى عند الذهب أشار إليهم وإلى الذهب قائلاً لمن معه من الحواريين : هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحذروها (١) .

١١- كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى غاية من الزهد والتقلل من الدنيا .. حتى أن قميصه كان فيه أربع رقاع بين كتفيه ، وأبطأ يوماً عن الخروج لصلاة الجمعة وهو خليفة.. ثم خرج فاعتذر للناس وقال : إنما حبسنى عنكم ثوبى هذا ، كان يغسل وليس عندى غيره .

- وكان يبرد فى الشتاء حتى ترعد مفاصله .. فيقال له :ألا تأخذ من بيت مال المسلمين كساء ؟ فيقول : لا أنقص المسلمين من بيت مالهم شيئاً لى .. وكان لا يجمع فى سماطه بين إدامين فى إناء واحد .. حتى أن ابنته حفصة قدمت له مرقاً بارداً وصبت عليه زيتاً فقال : إدامان فى إناء واحد .. لا آكله حتى ألقى الله عز وجل .

- وكان يقول : وددت أن أخرج من الدنيا كما دخلت .. لا أجر لى ولا وزر علىّ.. ولما مات عمر رضي الله عنه رآه العباس رضي الله عنه فى المنام فقال له : وكيف وجدت الأمر يا أمير المؤمنين ؟ فقال : كاد عرشى يهوى بى لولا أنى وجدت رباً رحيماً (٢) .

- وفى يوم من الأيام اشتهت زوجة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حلوى فقال لها : من أين لى ثمن الحلوى فأشتريها ؟ فقالت له : لقد ادخرت ثمنها من قوتنا . فقال لها : ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به أولى ، فقومى لبيت المال رديها (٣) .

---

(١) المستطرف : ٦١١ .

(٢) من وصايا الرسول : ١/ ٢٥٢ .

(٣) أنيس المؤمنين .

١٢ ـ كان الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه يرقع قميصه ويقول : إن لبس المرقع يخشع القلب . . ومما ينسب إليه كرم الله وجهه :

حقيق بالتواضع من يموت ... ويكفى المرأ من دنياه قوت
فما للمرئ يصبح ذا هموم ... وحرص ليس تدركه النعوت
فيا هذا سترحل عن قريب ... إلى قوم كلامهم السكوت[1]

١٣ ـ لما تولى عمر بن عبد العزيز ﷺ الخلافة وضع ماله ومال زوجته فاطمة بنت عبد الملك فى بيت مال المسلمين وصار كآحاد الناس ، وكان له « سرداب » ينزل فيه كل ليلة ويظل يبكى ويتضرع إلى الله تعالى حتى الصباح .

ـ وقيل له فى مرض الموت : تركت أولادك ليس لهم درهم ولا دينار ، فقال : لم أمنعهم حقاً لهم ، ولم أعطهم حقاً لغيرهم . . ولقد تركت لهم تقوى الله ، فإنما ولدى أحد رجلين : إما مطيع لله . . فالله تعالى كافيه وهو يتولى الصالحين . . وإما عاص لله فلم أترك له مالاً يستعين به على معصية الله [2] .

١٤ ـ دخل رجل على العارف بالله معروف الكرخى فى ليلة شديدة البرد ، فوجده يلبس قميصاً واحداً وجسمه يرتعد من البرد ، فقال له الرجل : يا معروف لماذا ترتعد من البرد وعندك من الثياب ما يدفئ جسمك ؟ فقال له معروف : تذكرت حال الفقراء وليس عندى من الثياب ما أتصدق به عليهم ، فلم أجد أقل من أن أشاركهم فى قسوة البرد .

١٥ ـ يروى أن هارون الرشيد اجتمع بالبهلول فقال له : عظنى . . فقال : بم أعظك ؟ هذه قصورهم ، وهذه قبورهم . . ثم قال : كيف بك يا أمير المؤمنين إذا أقامك الحق تعالى بين يديه ، وسألك عن النقير والفتيل والقطمير ، وأنت عطشان جوعان عريان ، وأهل الموقف ينظرون إليك ويضحكون ؟! فخنقته الدموع وأمر له بصلة . فقال : ردها على من أخذتها منهم قبل أن لا تجد لهم شيئاً ترضيهم به . . ثم أنشد :

دع الحرص على الدنيا ... وفى العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال ... فما تدرى لمن تجمع؟
فإن الرزق مقسوم ... وسوء الظن لا ينفع

(١ ، ٢) من وصايا الرسول : ١/٢٥٣ .

فقير كل ذى حـرصٍ غنى كل مـن يقنع

١٦ ـ كان سالم بن عبد الله بن عمر ﷺ يطوف بالبيت الحرام ذات يوم فلقيه أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك خليفة الدولة الأموية ، فقال له هشام : يا سالم تمن علىَّ أعطك ما تشاء ؟ فقال سالم : يا هشام أستحى أن أسأل غير الله وأنا فى بيت الله ، فلما خرجا من المسجد الحرام قال هشام : لقد خرجنا من المسجد واستحييت أن تسأل غير الله فى بيته فسلنى ما شئت فنحن الآن خارج المسجد ، فقال سالم : يا هشام أى شىء تريد ان أسألك ؟ أشيئاً من شئون الدنيا أم من شئون الآخرة ؟

فقال هشام : بل من شئون الدنيا فأنا لا أملك شيئاً من شئون الآخرة .

فقال سالم : إذا كنت أستحى أن أسأل الدنيا من الله وهو الذى يملكها فكيف أسألها منك وأنت لا تملكها .

*** ومن أجمل ما قيل فى الزهد من أشعار :**

إن لله عباداً فـطناً طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحى سكـنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

وقال آخر :

أيا عبد كم يـراك الله عـاصيا حريصاً على الدنيا وللموت ناسياً
أنسيت لقاء الله واللحد والثـرى ويوماً عبوساً تشيب فيه النواصيا
لو أن المرأ لم يلبس ثياباً من التقى تجرد عرياناً ولـو كان كاسـيا
ولو أن الحـياة تدوم لأهـلها لكان رسول الله حياً وبـاقيا
ولكنـها تفنـى ويفنى نعيمها وتبقى الذنوب والمعاصى كما هى

وقال أبو العتاهية :

يا نفس قد أزف الرحيل وأظلك الخطب الجليل

وقال الإمام على كرم الله وجهه :

صن النفس واحملها على ما يزينها تعش سالماً والقول فيك جميـل
ولا ترين النـاس إلا تجـملاً نبا بك دهر أو جـفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعز غنى النفـس إن قل مـاله ويغنى غنى المال وهو ذليـل

ولا خير فى ود امـــرئ متـــلون ... إذا الريح مالت مال حيث تميـل
جـواد إذا استغنيـت عن أخـذ مـاله ... وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكـثر الإخـوان حـين تعـــدهم ... ولكنهم فى النائبـات قلـــيل

وينسب إليه أيضاً :

قدم لنفسك فى الحياة تـــزودا ... فلقد تفارقها وأنـت مـــودع
واهتم للسفر القــريب فـــإنه ... أنأى من السفر البعيد وأشســع
واجعل تزودك المخافة والتقـى ... وكأن حتفك من مسائك أسـرع
واقنع بقوتك فالقناع هو الغنى ... والفقر مقرون بمــن لا يــقـنعُ

وقال آخر :

تزود من معاشك للمـــعاد ... وقم لله واعمل خيرٌ زاد
ولا تجمع من الـدنيا كثيـراً ... فإن المال يجمع للنفـــاد
أترضى أن تكون رفيق قـوم ... لهم زاد وأنت بغيـر زاد

وقال آخر :

ولدتك إذ ولدتك أمك بـــاكيا ... والقوم حولك يضحكون سرورا
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا ... فى يوم موتك ضاحكاً مســـرورا

وقال آخر :

تزود من التقوى فإنك لا تـــدرى ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفـــجر؟
فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من عليل عاش حيناً من الدهر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم ... وقد دخلت أجســـادهم ظلمة القبر
وكم من فتى يمسى ويصبح لاهيـــا ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يـــدرى
وكم من عروس زينوها لزوجـــــها ... وقد قبضت أرواحهن ليلـــة القدر

وقال آخر :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ... ونال من الدنيا سروراً وأنعما
كبان بنى بنيـــــانه فأقـــــامه ... فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقال آخرون :

* هب الدنيا تساق إليك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى انتقال

وما دنياك إلا مثل فىء — أظلك ثم آذن بالزوال

* هى الدنيا تقول بملء فيها — حذارى حذارى من بطشى ومن فتكى
فلا يغرركموا منى ابتسام — فقولى مضحك والفعل مبكى

* يا خاطب الدنيا من نفسها — تنح عن خطبتها تسلم
إن التى خطبت غدارة — قريبة العرس من المأتم

* أف لدنيا ولأيامها — فإنها للحزن مخلوقة
غمومها لا تنقضى ساعة — عن ملك فيها ولا سوقة
يا عجبا منها ومن شأنها — عدوة للناس معشوقة

* يامن تمتع بالدنيا وزينتها — ولا تنام عن اللذات عيناه
شغلت نفسك فيما ليس تدركه — تقول لله ماذا حين تلقاه

* عتبت على الدنيا لرفعة جاهل — وتأخير ذى فضل فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائى لهذا رفعتهم — وأهل التقى أبناء ضرتى الأخرى

* * *

الباب السابع عشر :

رجــال عند المــوت

١ـ **وفاة النبى ﷺ** : كان النبى ﷺ فى مرضه الأخير ، فدعا فاطمة فسارها بشىء فبكت . ثم دعاها ، فسارها بشىء فضحكت ، قالت عائشة : فسألنا عن ذلك ـ أى فيما بعد ـ فقالت فاطمة : سارنى النبى ﷺ أنه يقبض فى وجعه الذى توفى فيه ، فبكيت ، ثم سارنى فأخبرنى أنى أول أهله يتبعه فضحكت (١) .

ـ وبشر النبى ﷺ فاطمة بأنها سيدة نساء العالمين ، ورأت فاطمة ما برسول الله ﷺ من الكرب الشديد الذى يتغشاه ، فقالت : واكرباه . فقال لها : « ليس على أبيك كرب بعد اليوم » (٢) .

ـ ودعا الحسن والحسين فقبلهما وأوصى بهما خيراً ، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن .

ـ وطفق الوجع يشتد ويزيد ، وقد ظهر أثر السم الذى أكله بخيبر حتى كان يقول : « يا عائشة ، ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم » (٣) ، وأوصى الناس ، فقال : « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم» وكرر ذلك مراراً (٤) .

ـ وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة إليها ، وكانت تقول : إن من نعم الله على أن رسول الله ﷺ توفى فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى ، وأن الله جمع بين

(١) صحيح البخارى [٧/ ٤٤٣٣] .

(٢) صحيح البخارى [٧/ ٤٤٦٢] .

(٣) صحيح البخارى [٧/ ٤٤٢٨] .

(٤) نفس المصدر .

ريقى وريقه عند موته ، دخل عبد الرحمن - بن أبى بكر - وبيده السواك ، وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب السواك فقلت آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فتناولته ، فاشتد عليه ، وقلت : ألينه لك ؟ وأشار برأسه أن نعم ، فلينته فاستن به كأحسن ما كان مستناً ، وبين يديه ركوة فيها ماء ، فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بها وجهه ، ويقول : لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات .

وما عدا أن فرغ من السواك حتى رفع يده أو إصبعه ، وشخص بصره نحو السقف، وتحركت شفتاه ، فأصغت إليه عائشة وهو يقول : « مع الذين أنعمت عليهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، اللهم اغفر لى وارحمنى ، وألحقنى بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى » (١) .

كرر الكلمة الأخيرة ثلاثاً ، ومالت يده ولحق بالرفيق الأعلى . وإنا لله وإنا إليه راجعون (٢) .

٢- يوم حضرت الوفاة أبا بكر الصديق ﷺ سألته عائشة بنته وقالت له : أأستدعى لك الطبيب يا أبتاه ؟

فقال لها : يا عائشة لقد قابلت الطبيب .

قالت له : وماذا قال لك الطبيب ؟

قال : لقد قال لى الطبيب : أنا فعال لما أريد .

قالت عائشة : بم نكفنك يا أبتاه ؟

فقال لها : فى ثوبى هذا الذى كنت أصلى به خلف رسول الله ﷺ .

قالت : يا أبتاه إنه قد بلى ألا نشترى لك كفناً جديداً ؟

فقال لها : يا عائشة إن الحى أولى بالجديد من الميت (٣) .

٣ ـ لقد قتل عمر ﷺ وهو يصلى الفجر بالمسلمين إماماً والذى قتله مجوسى ، ومن يوم وقع عمر ﷺ فى صلاة الفجر هاجت الفتن .

إن الذى قام بقتـل عمر جمعيـة سـرية برئاسة رجل يـهودى تظاهر بالإسلام هو عبد الله بن سبأ جمع فى جمعيته ألواناً ونماذج من المجوس واليهود وشتى الملل

(١) صحيح البخارى [باب آخر ما تكلم النبى ﷺ : ٧/٤٤٣٦] .

(٢) عن كتاب : الرحيق المختوم وهامشه .

(٣) أنيس المؤمنين : ٢٠ ، وخلفاء الرسول : ١١٠ .

والنحل، وأرسل عبداً يسمى أبا لؤلؤة المجوسى لقتل عمر وهو يصلى الفجر ، ولكن عمر ﷺ قبل أن يطعن كان قد رأى فى المنام رؤيا :

صعد عمر ﷺ المنبر ذات يوم وكان يوم جمعة فقال لأصحابه : لقد رأيت فى المنام كأن ديكاً نقرنى ثلاث نقرات ، ولا أرى ذلك إلا دنو أجلى ، فالديك فى المنام عبد عجمى ، ونقر الديك طعن بالخنجر ، ثم قال عمر : فإن أنا مت فإن الله لن يضيع دينه ولا أمانته ولا ما بعث به نبيه ﷺ . فخطب عمر الخطبة يوم الجمعة ، وطعن فى صلاة الفجر يوم الأربعاء ثلاث طعنات تحت صرته،وأراد أن يكمل الصلاة إماماً فلم تقو ساقاه على حمل جسمه فاستدعى عبد الرحمن بن عوف ﷺ فأكمل الصلاة بالمسلمين إماماً .

وحمل عمر ﷺ إلى بيته والدماء تنزف منه وأخذته غيبوبة ، وبعد أن أفاق من إغمائه سأل أول سؤال وقال للجالسين حوله : من الذى قتلنى ؟

قالوا : عبد مجوسى ، فخر لله ساجداً وقال : الحمد لله الذى لم يجعل مصرعى على يد رجل مسلم سجد لله سجدة واحدة يحتج بها أمام الله يوم القيامة .

فلما حضرته الوفاة ودماؤه الزكية تسيل منه قال لابنه عبد الله ﷺ : يا عبد الله ارفع رأسى عن هذه الوسادة وضعها على الأرض عسى الله أن ينظر إلى نظرة فيرحمنى. ومات عمر ﷺ وكانت مدة خلافته عشر سنوات وستة أشهر وأربعة أيام [1] .

٤ ـ مقتل عثمان بن عفان ﷺ: والحديث فى قتله مشهور :

خلاصته أن طائفة كبيرة من أوباش الأمصار اجتمعوا على عداوته ، فحصروه فى داره نحواً من أربعين ليلة ، ومنعوا عنه الماء العذب ، وقد تناسى هؤلاء الظلمة أنه هو الذى اشترى « بئر رومة » من ماله الخاص ، ليرتوى منه سكان المدينة المنورة وروادها ، ولم يكن لهم قبل ذلك ماء عذب يرتوون منه .

ثم إنهم حالوا دونه ودون الصلاة فى مسجد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وقد تعامى هؤلاء عن أن ذا النورين هو الذى وسع ثانى الحرمين من خالص ماله، ليتسع للمسلمين بعد أن ضاق بهم ذرعاً ، ولما اشتد على عثمان الكرب ، وتفاقم عليه الشر ، نفر إلى حمايته نحو من سبعمائة من الصحابة وأبنائهم فيهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن الزبير بن العوام ، والحسن والحسين ابنا على بن أبى طالب ، وأبو هريرة ، وغيرهم .

(١) أنيس المؤمنين : ٢٩ .

لكن عثمان ذا النورين ، وصاحب الهجرتين ، وباذل المعروف ، آثر أن يراق دمه على أن تراق دماء المسلمين دفاعاً عنه ، فأقسم على الذين نفروا إلى حمايته أن يتركوه لقضاء الله ، وقال لهم : أقسم على من لى عليه حق أن يكف يده ، وقال لأرقائه : من أغمد منكم سيفه فهو حر . . ولقد غفت عين خليفة رسول الله ﷺ لحظات قُبيل مصرعه فرأى النبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ،ومعه صاحباه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وسمع الرسول ﷺ يقول له : « أفطر عندنا الليلة يا عثمان » فأيقن عثمان أنه لاحق بربه مقبل على لقاء نبيه . . أصبح عثمان رضي الله عنه صائماً ، ودعا بسراويل طويلة فلبسها خشية أن تكشف عورته ، إذا قتله الآثمون السفاحون .

وفى يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة قُتل العباد الزهاد . . الصوام القوام . . جماع القرآن . . صهر رسول الله ﷺ فلحق بجوار ربه وهو ظمآن صائم ، وكتاب الله منشور بين يديه .

٥ ـ مقتل على كرم الله وجهه . . لقد قتل على كرم الله وجهه غيلة . . استشهد وهو يقترب من مسجد الكوفة ، وقيل : بل وهو يصلى أو يتهيأ للصلاة ـ بعد أن عبر شوارع الكوفة يوقظ أهلها لصلاة الفجر ، ويناديهم بصوته الجميل :« الصلاة أيها الناس. . الصلاة يرحمكم الله » .

اقترب منه فى لُجة الظلام واحد من الخوارج اسمه ـ عبد الرحمن بن ملجم ـ كان قد ائتمر مع اثنين آخرين ليتخلصوا من الإمام « على » بالعراق ، ومن « معاوية » بالشام، ومن « عمرو بن العاص » بمصر .

كان الإمام على بلا حرس ، فكان اغتياله عملاً من أيسر الأعمال ، لم تكن الجريمة تتطلب أى جلد أو قوة أو بطولة ، كانت تتطلب ـ لا غير ـ ضميراً ميتاً .

ولقى الإمام مصرعه مصاباً بضربة سيف مسموم . . كما لقيه من قبل عمر الفاروق مصاباً بضربة خنجر محموم ، وتأبى عظمة الإمام البطل إلا أن يكون آخر مشهد فى حياته دالاً على حقيقته أصدق ما تكون الدلالة ، وإذ هو فى لحظات الكارثة هذه ، يأمر حامليه والحافين حوله أن يذهبوا إلى المسجد ليدركوا صلاة الفجر قبل أن تؤذن بفوات، ولقد عاد بعض الرجال ممسكين بالقاتل ـ عبد الرحمن بن ملجم ـ ففتح الإمام عينيه فوقعتا عليه ، فهز رأسه فى أسى حين عرفه وقال : أهو أنت . .؟ لطالما أحسنت إليك.

ثم قال الإمام على لأولاده :« أحسنوا نزله .. وأكرموا مثواه ، فإن أعش فأنا أولى بدمه قصاصاً أو عفواً ، وإن أمت فألحقوه بى أخاصمه عند رب العالمين ، ولا تقتلوا بى سواه إن الله لا يحب المعتدين » ثم قال لمن حوله :« أوصيكم بتقوى الله ربكم ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ثم أسلم الروح لله تعالى (١) .

٦ ـ كان معاذ بن جبل رضي الله عنه فى سكرات الموت ، وفى تلك اللحظات قال معاذ كلمات عظيمة تكشف عن مؤمن عظيم ، فقد كان يحدق فى السماء ويقول مناجياً ربه الرحيم :

« اللهم إنى كنت أخافك : لكنى اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا لجرى الأنهار ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات، ونيل المزيد من العلم والإيمان والطاعة » وبسط يمينه كأنه يصافح الموت ، وراح فى غيبوبته يقول :« مرحباً بالموت .. حبيب جاء على فاقة » وسافر معاذ إلى الله (٢) .

٧ ـ لما مرض عمرو بن العاص رضي الله عنه مرض الموت وأحس بدنو الأجل غلبته العبرة ـ الدموع ـ وقال لابنه : كنت على ثلاث حالات عرفت نفسى فيها .. كنت أول شىء كافراً ، فلو مت حينئذ لوجبت لى النار ، فلما بايعت الرسول ﷺ كنت أشد الناس حياء منه حتى أنى ما ملأت عينى منه قط ، فلو مت حينئذ لقال الناس : هنيئاً لعمرو أسلم على خير ، ومات على خير ، ثم تلبست بعد ذلك بأشياء ، فلا أدرى أعلى أم لى؟

ثم أدار وجهه إلى الجدار وهو يقول : اللهم أمرتنا فعصينا ، ونهيتنا فما انتهينا ، ولا ينفعنا إلا عفوك يا أرحم الراحمين .

ثم وضع يده فى موضع الغل من عنقه ، ورفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم لا قوى فأنتصر .. ولا برىء فأعتذر .. وما أنا بمستكبر .. وإنما مستغفر .. فاغفرلى يا غفار .

ولم يزل يرددها حتى فاضت روحه (٣) .

---

(١) خلفاء الرسول : ٤٩٠ .

(٢) رجال حول الرسول : ١١٥ .

(٣) صور من حياة الصحابة : ٥٨٣ .

٨ ـ إن الصحابى الجليل بلال بن رباح ﷺ لما حضرته الوفاة قامت زوجته وقالت: وامصيبتاه . فأفاق بلال وقال لها : أنا برىء من هذا الكلام ، بل قولى : وافرحتاه غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه (١) .

٩ ـ عن المزنى قال : دخلت على الشافعى ﷺ فى مرضه الذى مات فيه ، فقلت: كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، ولإخوانى مفارقاً ، ولسوء أفعالى ملاقياً ، وبكأس المنية شارباً ، فوالله ما أدرى أروحى إلى الجنة تصير فأهنيها ، أو إلى النار فأعزيها ، وأنشد :

ولما قسا قلبى وضاقت مـــذاهبى   جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلمـــا قرنتـــه   بعفوك ربى كان عفوك أعظمـا
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل   تجود وتـــعفو منة وتـــكرما
فلولاك لم يقدر بإبـــليس عـــابد   فكيف وقد أغوى صفيك آدما ؟(٢) .

١٠ ـ قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حضرت وفاة أبى أحمد ، وبيدى الخرقة لأشد لحييه ، فكان يغرق ثم يفيق ويقول بيده : لا بعد . . لا بعد . فعل هذا مراراً ، فقلت له : يا أبت أى شىء ما يبدو منك ؟ فقال : إن الشيطان قائم بحذائى عاض على أنامله يقول : يا أحمد فتنى وأنا أقول : لابعد . . لا بعد . . حتى أموت (٣) .

١١ ـ لما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه : اجعل رأسى على التراب ، فبكى نصر ، فقال له : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هو ذا تموت فقيراً غريباً ! قال : اسكت ! فإنى سألت الله تعالى أن يحيينى حياة الأغنياء ، وأن يميتنى موت الفقراء ، ثم قال له: لقنى ولا تعد على ما لم أتكلم بكلام ثان(٤) .

١٢ ـ قال الجنيد رحمه الله : دخلت على سرى السقطى عند الموت ، وكان ممن أحرق قلبه الخوف من الله ، فقلت له : كيف تجدك ؟ فقال :

كيف أشكو إلى طبيبى ما بى   والذى بى أصابنى من طبيبى

فأخذت المروح لأروح عليه ، فقال : كيف يجدر ريح المروحة من قلبه يحترق ثم

(١) أنيس المؤمنين : ١٦ .
(٢) ديوان الإمام الشافعى : ٣٠ .
(٣) إحياء علوم الدين : ٤/٥٦٩ .
(٤) التذكرة للقرطبى : ٣٩ .

أنشد :

القلب محترق والدمع مستبـق   والخوف مجتمع والصبر مغتـرق
كيف القرار على من لا قرار له   مما جناه الأسى والشوق والقلـق

ثم ذكر الله ومات رحمه الله (١) .

١٣ ـ حكى عن زكريا عليه السلام أنه هرب من اليهود فقفوا أثره ، فلما دنوا منه رأى شجرة فقال لها :« يا شجرة أدخلينى فيك » ، فانشقت الشجرة فدخل فيها ، ثم التأمت عليه ، فأشار عليهم إبليس أن يأتوا بالمنشار ويشقوها نصفين حتى يموت فيها ، ففعلوا كما قال إبليس ـ وذلك حيث اعتصم بالشجرة ولم يعتصم بالله ـ فشق بالمنشار نصفين فلما بلغ المنشار دماغه صاح ، فقيل له : يا زكريا إن الله تعالى يقول لك: لم لا تصبر للبلاء؟ تقول آه ، لو قلتها مرة ثانية لأخرجتك من ديوان الأنبياء [لم أجد للرواية أصلاً] (٢) .

١٤ـ ذهب الصحابى عثمان بن عفان ﷺ ليعود الصحابى عبد الله بن مسعود ﷺ فى مرضه الذى مات فيه ، فقال له عثمان : يا ابن مسعود أى شيء تشكو ؟ فقال له : أشكو كثرة ذنوبى ، فقال عثمان : فأى شيء ترجو ؟ قال ابن مسعود : أرجو رحمة ربى ، فقال عثمان : فأى شيء تخاف ؟ فقال : أخاف عذاب ربى ، قال عثمان : أأستدعى لك الطبيب يا ابن مسعود ؟ قال : أمرضنى الطبيب ، وبعد ذلك تلا قوله تعالى :« ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ . . ﴾ [النساء : ٧٨] ، ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة : ٥١].

فقال له عثمان : أوصى لبناتك بشيء من المال ؟ وكان عنده أربع بنات مع صبيان، قال : وكيف أسألك المال وقد تركت لهم سورة الواقعة من قرأها أول نهاره وقاه الله الفقر طول يومه (٣) .

١٥ ـ جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال : أجب ربك ، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ، فرجع الملك إلى الله فقال : إنك بعثتنى إلى عبد لك لا يريد

(١) إحياء علوم الدين : ٤/ ٥٧٠ .
(٢) أهوال القبور : ٧٢ وقال : نقلاً عن « مكاشفة القلوب » .
(٣) أنيس المؤمنين : ٤٤ .

الموت وقد فقأ عينى ـ قال : فرد الله عينه ، وقال : ارجع إلى عبدى فقل له : الحياة تريد ؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور ، فما وارت يدك من شعره فإنك تعيش بها سنة . قال ثم مه ؟ قال : ثم الموت ، قال : فالآن يارب من قريب (١) .

١٦ ـ قال سليمان لملك الموت : إذا أمرت بى فأعلمنى ، فأتاه فقال : يا سليمان قد أمرت بك ، قد بقيت لك سويعة ، فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب ، فقام يصلى فاتكأ على عصاه ، قال : فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متوكئ على عصاه ، ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت ، قال : والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حى ، قال : فبعث الله دابة الأرض إلى منسأته فأكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ، فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا ، قال : فذلك قوله : ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبأ : ١٤] ، قال : وبلغنى عن غيره أنها مكثت سنة تأكل من منسأته حتى خر (٢) .

١٧ ـ روى أن ملك الموت دخل على داود عليه السلام ، فقال : من أنت ؟ فقال: من لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا ، قال : فإذًا أنت ملك الموت . قال : نعم ، قال : أتيتنى ولم أستعد بعد ؟ قال : يا داود أين فلان قريبك ؟ أين فلان جارك ؟ قال : مات قال : أما كان لك فى هؤلاء عبرة لتستعد (٣) .

*** ومن أجمل ما قيل فى هذا المعنى من أشعار :**

إن الحبيب من الأحـــباب مختلس ... لا يمنع الموت بواب ولا حـــرسُ
فكيف تفـــرح بالـــدنيا ولذتهـــا؟ ... يا من يعد عليه اللـــفظ والنفسُ
أصبحت يا غافلاً فى النقص منغمساً ... وأنت دهرك فى اللـــذات منغمسُ
لا يرحم الموت ذا جهـــل لغرتـــه ... ولا الذى كان منه العلم يُقتبـــسُ
كم أخرس الموت فى قبر وقـــفت به ... عن الجواب لساناً ما به خـــرسُ
قد كان قصرك معمـوراً له شـــرف ... فقبرك اليوم فى الأحداث مندرسُ

---

(١) رواه أحمد (٢ / ٨٤٠) ورواه البخارى فى كتاب الجنائز (١٢٧٤) .

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير : ٤١٧ .

(٣) التذكرة للقرطبى : ٤٨ .

وقال آخر :

أيا من يـــدعى الفـــهم
إلى كم يا أخـــى الوهم
تعد الذنـــب والذنـــب
وتخطـــئ خطأ الجـــنب
أما بان لـــك العيـــب
أما أنـــذرك الشـــيب
وما فى نصـــحه ريـــب
أما نـــادى بـــك الموت
أما أسمـــعك الصـــوت
ألا تخشى مـــن الفـوت
فتحـــــطاط وتهتـــم
فـــكم تسير فى الزهو
وتختــــال من السهو
وتنفـــــض إلى اللهو
كأن المـــــوت ما عـــم
كـــأنى بك تـــنحط
إلى اللـــحد وتنـــغط
وقد أسلـــمك الرهط
إلى أضيـــــق من فم
هناك الجـــسم ممدود
ليستأكـــله الـــدود
إلى أن ينـــخر العود
ويمسى العـــظم قد رم
فعود نفســـك الخير
ودع ما يعـــقب الضير
وهيئ مركب الســـير
وخف من لجـــة اليم

وقال آخر :

ألا أيها المغرور مالـك تلعـب ... تؤمل آمـــالا ومـــوتك أقرب
وتعلم أن الحرص بحـر مبعـد ... سفينته الدنيا فـــإياك تعـــطب
وتعلم أن الموت ينقض مسرعا ... علـيك يقينا طعمه ليس يعـــذب
كأنك توصى واليتامى تراهـم ... وأمهم الثكلى تنـــوح وتنـــدب
تغص بحزن ثم تلطم خدهـا ... يراها رجـال بعـــدما هـــى تحجب
وأقبل بالأكفان نحوك قاصـد ... ويحثو عليك الترب والعين تسكب

وقال آخر :

إن الطبيـــب بطـــبه ودوائـــه ... لا يستطيع دفاع نحب قـــد أتى
ما للطبيب يمـوت بالـــداء الـــذى ... قد كان أبرأ مثله فيمـا مضـــى
مات المداوِى ، والمداوَى ، والذى ... جلب الدواء وباعه، ومن اشترى

وقال آخر :

ما فى الحياة بقـــاء ... ما فى الحياة ثبـوت
نبنى البيوت وحتما ... تنهار تلك البـيوت
تموت كل البـــرايا ... سبحان من لا يموت

وقال آخر :

يا من بدنياه اشتغل ... وغره طـــول الأمل
الموت يأتى بغتـــة ... والقبر صندوق العمل

وقال أبو العتاهية :

يا نفس قد أزف الرحيل ... وأظلك الخطب الجـليل
فتأهبى يا نفـس لا يــــ ... لعب بك الأمل الطويل
ولتـــنزلن بمـــنزل ينســـ ... ى الخليل بــه الخـــليل
وليركبن عـــليك مــــن ... ثقل الثرى هـــم ثقيل
قرن الفناء بنـــا جميعا ... فلا يبـقى عزيز أو ذليل

وقال آخر :

قد مضى العمر وفات ... يـــا أسير الغفلات
فإلى كم ذا التعـــامى ... عن أمور واضحات

لم يلن قلبك أصــلا بالزواجر والعظـات
أين من قد كان يفـخر بالجياد الصافنــات
سار عنها رغم أنــف للقبور الموحشــات
فاغنم العمر وبــادر بالتقى قبل الممــات
واطلب الغفران ممـن ترتجى منه الهبــات
حصل التقوى وبادر مسرعا قبل الفـوات
وإلى كم أنت غـارق فى بحار الظلمـات
بينما الإنسان يســأل عن أخيه قيل مات
أهله يبكـون عليــه حسرة بـالعـبرات
وله مــال جزيــل كـالجبال الراسيات
كم بها من طول مكث من عظام ناخرات
فأنب وارجع وأقلــع عن عظيم السيئات
ثم نادى فى الدياجى يامجيب الدعوات
ما وجدنا من شفـيع فى مضيق الكربات

وقال آخر :

يا نفس مالك عن مماتك غافلة وأراك فى ثوب الأمانى رافلة
دنياك منزلة أقــمت بظــلها فتزودى منها فإنـك راحــلة
إن لم يزل عنك الـذى تحوينه منها وإلا كـنت عنه زائــلة

وقال آخر :

حق على من يكون الموت مورده وظلمة القبر بعد الموت ملـحده
ألا يرى قط إلا خـائفا وجــلا طوى السرور وأقصـاه وأبعـده
يبكى لما قد جنى الدهر من زلـل بكاء من كان جسر النار مرصده

وقال آخر :

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حى
ولكننا إذا متنا بعثنا ونسأل بعدها عن كل شىء

★ ★ ★

الباب الثامن عشر :

قصص حول القبور

١ ـ كان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكى ، وتبكى من هذا ؟ قال : إن رسول الله ﷺ قال : « إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه أحد فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » (١) .

٢ ـ قال أنس : لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم على بن أبى طالب رضى الله عنه دخل عليها رسول الله ﷺ وجلس عند رأسها ، فقال : « رحمك الله يا أمى. كنت أمى بعد أمى . تجوعين وتشبعيننى ، وتعرين وتكسوننى ، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميننى ، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة » ثم أمر أن تغسل ثلاثا ، فلما بلغ الماء الذى فيه الكافور سكبه رسول الله ﷺ بيده ، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه وألبسها إياه وكفنها فوقه ، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلاما أسود يحفرون قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال : « الحمد لله الذى يحيى ويميت ، وهو حى لا يموت ، اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ، ووسع عليها مدخلها . . . إنك أرحم الراحمين » وكبر عليها أربعا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق ـ رضى الله عنهم أجمعين (٢) .

٣ ـ قال مالك بن دينار : أتيت القبور ذات يوم على سبيل الزيارة والتذكار ،

---

(١) أخرجه الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه .

(٢) التذكرة للقرطبى : ١١١ .

والتفكر فى الموت والاعتبار فتمنيت من يخبرنى عنهم خبرا ، أو يقص لى من آثارهم أثرا . . فقلت شعرا :

أتيت القبور فناديتها   فأيـــن المعظـــم والمحتقر
وأين المذل بسلطـانه   وأين العزيز إذا ما افتخر ؟

يقول : فسمعت رجلا من بين القبور يرد على بقوله :

تفانوا جميعا فمـا مخـــبر   وماتوا جميعا وأضحـوا عبر
وساروا إلى ملك عـــادل   عـــزيز مطـــاع إذا ما أمر
تروح وتغدو بنات الثرى   فتمحو محاسن تلك الصـور
فيا سائلى عن أناس مضوا   أما لك فيمن مضى معتبر ؟

قال مالك بن دينار : فرجعت أبكى الدموع الغزار ، واعتبرت بذلك أى اعتبار(١).

٤ ـ قال ابن السماك : مررت على المقابر ، فإذا على قبر مكتوب :

يمر أقـاربى جنـــبات قبـــرى   كأن أقـــاربى لـــم يعرفونى
وذو الميراث يقتسمـون مالـــى   وما يألون أن جحدوا ديونى
وقد أخذوا سهامهموا وعاشوا   فيالله أســـرع ما نســـونى (٢) .

٥ ـ روى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه لما رجع من صفين ، ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال : قبر من هذا ؟ فقالوا : قبر خباب بن الأرت ، فوقف عليه وقال : رحم الله خبابا ، أسلم راغبا ، وهاجر طائعا ، وعاش مجاهدا ، وابتلى فى جسمه آخرا ، ألا وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ثم مشى فإذا هو بقبور ، فجاء حتى وقف عليها ، وقال : السلام عليكم أهل الديار الموحشة ، والمحال المقفرة ، أنتم لنا سلف ، ونحن لكم تبع ، وبكم عما قليل لاحقون ، اللهم اغفر لنا ولهم ، وتجاوز عنا وعنهم ، طوبى لمن ذكر المعاد ، وعمل ليوم الحساب ، وقنع بالكفاف ، ورضى عن الله تعالى ، ثم قال : يا أهل القبور . . أما الأزواج فقد نكحت ، وأما الديار فقد سكنت ، وأما الأموال فقد قسمت ، وهذا ما عندنا ، فما عندكم ؟ ثم

---

(١) من وصايا الرسول : ١ / ٧٠ .
(٢) إحياء علوم الدين : ٤ / ٥٧٥ .

التفت إلى أصحابه وقال : أما إنهم لوتكلموا لقالوا : وجدنا خير الزاد التقوى (١) .

٦ ـ مر داود الطائى بامرأة تبكى على قبر وهى تنشد هذه الأبيات :

عدمت الحيـاة فلا نلتها ... إذا أنت فى القبر قد أوسدوكا
وكيف ألذ بطعم الكرى ... وها أنت فى القـبر قد أفردوكا

ثم قالت : يا أبتاه بأى خديك بدأ الدود ؟ قال : فخر داود الطائى مغشيا عليه(٢).

٧ ـ قال ثابت البنانى : دخلت المقابر لأزور القبور . . وأعتبر بالموت وأتفكر فى البعث والنشور وأعظ نفسى لعلها ترجع عن الغى والفجور ، فوجدت أهل القبور صموتا لا يتكلمون ، وفرادى لا يتزاورون ، فآيست من مقالهم ، واعتبرت بأحوالهم ، فلما أردت الخروج إذا بصوت يقول : يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس معذبة فيها (٣) .

٨ ـ يروى أن بعض المتعبدين أتى قبر صاحب له كان يألفه فأنشد يقول :

مـالـى مـررت على القبـور مسـلّما ... قبر الحبيب فلم يـــــرد جوابـى
أحبيب مالك لا تجيب مناديـــــا ... أمللت بـعـدى خـلـة الأصـحـاب

قال: فهتف بى هاتف من جانب القبر يقول :

قال الحبيب وكيف لى بجوابكم ... وأنا رهـــــــين جنادل وتراب
أكل التراب محاسنى فنسـيتكم ... وحجبت عن أهلى وعن أصحابى
وتمزقت تلك الجلود صفائحـــا ... يا طـالما لبســـت رفيع ثـــياب
وتفصلت تلك الأنامل من يدى ... ما كان أحـــسنها لخـــط كتابى
وتساقطت تلك الثـنايا لـــؤلؤا ... ما كان أحسنهـــا لـــرد جواب
وتساقطت فوق الخدود نواظرى ... يــاطـالما نـظرت بها أحـبابـــى
فعليكموا منى السلام تقطعـت ... عنى وعـــنكم خلـة الأصحاب (٤) .

٩ ـ يروى أن حفارا كان بمصر يحفر القبور ، فحفر ثلاثة أقبر ، فلما فرغ منها غشيه النعاس ، فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبر ، فقال أحدهما

---

(١) المستطرف : ٦١٤ .
(٢ ، ٣) الروض الفائق : ٣٥ .
(٤) من وصايا الرسول : ١ / ٧٠ .

لصاحبه : اكتب فرسخا فى فرسخ ، ثم وقفا على الثانى وقال أحدهما : اكتب ميلا فى ميل ، ثم وقفا على الثالث ، فقال: اكتب فترا فى فتر (١) ، ثم انتبه فجىء برجل غريب لا يؤبه له فدفن فى القبر الأول ، ثم جىء برجل آخر فدفن فى القبر الثانى ، ثم جىء بامرأة مترفة من وجوه أهل البلد حولها ناس كثير فدفنت فى القبر الضيق الذى سعته فترا فى فتر (٢) .

١٠ ـ توفيت امرأة الفرزدق ـ الشاعر ـ فخرج فى جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن البصرى ، فقال له الحسن : يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة ، فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم تعافنى ... أشد من القبر التهابا وأضيقا
إذا جائنى يوم القيامة قائد ... عنيف وسوّاق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى النار مغلول القلادة أزرقا (٣) .

١١ ـ قال صالح المرى : كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر فنمت وإذا بالقبور قد شققت وخرج الأموات منها وجلسوا حلقا حلقا ونزلت عليهم أطباق مغطية وإذا فيهم شاب يعذب بأنواع العذاب من بينهم ، قال : فتقدمت إليه وقلت : يا شاب . . . ماشأنك تعذب من بين هؤلاء القوم ؟ فقال : يا صالح . . بالله عليك بلغ ما آمرك به وأد الأمانة وارحم غربتى لعل الله عز وجل أن يجعل لى على يديك مخرجا . . إنى لما مت ولى والدة جمعت النوادب والنوائح يندبن على وينحن كل يوم فأنا معذب بذلك النار عن يمينى وعن شمالى وخلفى وأمامى لسوء مقال أمى فلا جزاها الله عنى خيرا ، ثم بكى حتى بكيت لبكائه ، ثم قال : يا صالح . . بالله عليك اذهب إليها فهى فى المكان الفلانى ـ وعلم لى المكان ـ وقل لها لم تعذبى ولدك يا أماه ، ربيتنى ومن الأسواء وقيتنى فلما مت فى العذاب رميتنى : يا أماه . . لو رأيتنى والأغلال فى عنقى والقيد فى قدمى وملائكة العذاب تضربنى وتنهرنى ، فلو رأيت سوء حالى لرحمتنى وإن لم تترك ما أنت عليه من الندب والنياحة الله بينى وبينك يوم تشقق سماء عن سماء ويبرز الخلائق لفصل القضاء .

---

(١) الفتر هو ما بين السبابة والإبهام « شبر » .
(٢) التذكرة للقرطبى : ١٥١ .
(٣) إحياء علوم الدين : ٤ / ٥٧٤ .

قال صالح : فاستيقظت فزعا ومكثت فى مكانى قلقا إلى الفجر فلما أصبحت دخلت البلد ولم يكن لى هم إلا الدار التى لأم الصبى الشاب ، فاستدللت عليها فأتيتها فإذا بالباب مسدود ، وصوت النوادب والنوائح خارج الدار ، فطرقت الباب فخرجت إلىَّ عجوز فقالت : ما تريد يا هذا ؟ فقلت : أريد أم الشاب الذى مات ، فقالت : وما تصنع بها ؟ . . هى مشغولة بحزنها ، فقلت : أرسليها إلىَّ ، معى رسالة من ولدها ، فدخلت فأخبرتها فخرجت أم عليها ثياب سود ووجهها قد اسود من كثرة البكاء واللطم، فقالت لى : من أنت ؟ قلت : أنا صالح المرى ، جرى لى البارحة فى المقابر مع ولدك كذا وكذا ، رأيته فى العذاب وهو يقول : يا أمى ربيتنى ومن الأسواء وقيتنى ، فلما مت فى العذاب رميتنى ، وإن لم تترك ما أنت عليه بينى وبينك يوم تشقق سماء عن سماء . . فلما سمعت ذلك غشى عليها وسقطت إلى الأرض ، فلما أفاقت بكت بكاء شديدا وقالت : يا ولدى . . يعز على ذلك ولو علمت بحالك ما فعلت ، وأنا تائبة إلى الله تعالى من ذلك ، ثم دخلت وصرفت النوائح ولبست غير تلك الثياب وأخرجت إلىَّ كيسا فيه دراهم كثيرة وقالت : يا صالح . . تصدق بهذه عن ولدى ، قال صالح : فودعتها ودعوت لها وانصرفت وتصدقت عن ولدها بتلك الدراهم ، فلما كان ليلة الجمعة الأخرى أتيت المقابر على عادتى فنمت ، فرأيت أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وجلسوا على عادتهم وأتتهم الأطباق ، وإذا ذاك الشاب ضاحك فرح مسرور فجاءه أيضا طبق فأخذه ، فلما رآنى جاء إلىَّ فقال : يا صالح . . جزاك الله عنى خيرا خفف الله عنى العذاب وذلك بترك أمى ما كانت تفعل ، وجاءنى ما تصدقت به عنى ، قال صالح : فقلت : وما هذه الأطباق ؟ فقال : هذه هدايا الأحياء لأمواتهم من الصدقة والقراءة والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعة ، يقال له : هذه هدية فلان إليك فارجع إلى أمى وأقرئها منى السلام وقل لها : جزاك الله عنى خيرا ، قد وصل إلىَّ ما تصدقت به عنى وأنت عندى عن قريب فاستعدى . قال صالح : ثم استيقظت وأتيت بعد أيام إلى دار أم الشاب ، وإذا بنعش موضوع على الباب .

فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا : لأم الشاب ، فحضرت الصلاة عليها ودفنت إلى جانب ولدها بتلك المقبرة فدعوت لهما وانصرفت (١) .

---

(١) الكبائر : ١٤١ .

١٢ ـ قال الأصمعى ـ رحمه الله ـ : كنت كثير التفكر فى عجائب الأمور . . وأجيل الفكر فى البعث والنشور وأتسلى بقراءة الكتابة على القبور . . فمن ذلك رأيت ثلاثة قبور على صف وعليها لوح مكتوب عليه :

ألا قل لماش على قبرنا　　غفول لأشياء حلت بنا

سينـدم يوما لتفريطـــه　　كما قد ندمـــنا لتفريطنا

وقال أيضا : وجدت على حجر مكتوبا فى المقبرة :

وقفت على الأحبة حين صفت　　قبور همو كأفراس الرهان

فلما أن بكيت وفاض دمـــعى　　رأت عيناى بينهمو مكانى

قال : ومشيت قليلا ودمعى مسكوب ، فوجدت على قبر لوحا وعليه مكتوب هذه الأبيات :

يا أيها الناس كان لـــــى أمل　　قصر بى عن بلوغه الأجل

فليتق الله ربــــه رجـــــل　　أمكنه فى حـــياته العمل

ما أنا وحدى جعلت حيث ترى　　كل إلى مانقــــلت ينتقل

وقال : وجدت امرأة تبكى على قبر ولديها وتنشد :

بالله يا قبر هــــل زالت محاسنه　　وهـــل تغير ذاك المــنظر النضر

يا قبر ما أنت لا روض ولا فلك　　فكيف يجمع فيك الشمس والقمر (١) .

١٣ ـ كان الربيع بن خثيم قد حفر فى داره قبرا ، فكان إذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ، ثم يقول : « رب ارجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت » يرددها ، ثم إذا شعر بانقطاع أنفاسه ضرب باب القبر برجله وقال لنفسه : ها أنت يا نفس عدت فاعملى ما قلت ، ثم يقول: أخشى يا نفس أن تنزلين هذا المنزل وتنادين « رب ارجعون » فلا يستجاب لك (٢) .

١٤ ـ حكى أن امرأة جاءت إلى الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ فقالت : إن ابنتى ماتت وقد أحببت أن أراها فى المنام ، فعلمنى صلاة أصليها لعلى أراها ، فعلمها صلاة فرأت ابنتها وعليها لباس القطران والغل فى عنقها والقيد فى رجلها فارتاعت لذلك ،

---

(١) الروض الفائق : ٣٨ .

(٢) إحياء علوم الدين : ٤ / ٥٧٤ .

فأعلمت الحسن فاغتم عليها ، فلم تمض مدة حتى رآها الحسن فى المنام وهى فى الجنة على سرير وعلى رأسها تاج ، فقالت له : يا شيخ أما تعرفنى ؟ قال : لا ، قالت له : أنا تلك المرأة التى علمت أمى الصلاة فرأتنى فى المنام ، قال لها : فما سبب أمرك ؟ قالت: مر بمقبرتنا رجل فصلى على النبى ﷺ وكان فى المقبرة خمسمائة وستون إنسانا فى العذاب فنودى : ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة الرجل على النبى ﷺ (١) .

١٥ ـ وروى أيضا عن الحسن البصرى أنه قال : كنت خلف جنازة فاتبعتها ، حتى وصلوا بها إلى حفرتها فنادت امرأة فقالت : يا أهل القبور . . لو عرفتم من نقل إليكم لأعزرتموه ؟ قال الحسن : فسمعت صوتا من الحفرة وهو يقول : قد والله نقل إلينا بأوزار كالجبال ، وقد أذن لى أن آكله حتى يعود رميما . قال : فاضطربت الجنازة فوقع النعش ، وخر الحسن مغشيا عليه (٢) .

١٦ ـ حكى العتبى ـ رحمه الله ـ فقال : كنت عند قبر رسول الله ﷺ فرأيت أعرابيا قد أقبل على بعير ، فنزل عنه ثم أتى قبر النبى ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله . . السلام عليك يا صفوة الله . . أنت الذى أنزل الله عليك : ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء ٦٤] وقد ظلمت نفسى وها أنا قد أتيتك فاشفع لى عند ربى، ثم أنشد:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت النبى الذى ترجى شفاعته ... عند الصراط إذا ما زلت القدم
أنت البشير النذير المستضاء به ... وشافع الخلق إذا يغشاهم الندم
تخصهم بنعيم لا نفاد له ... والحور فى جنة المأوى لهم خدم
تعطى الوسيلة يوم العرض مغتبطا ... عند المهيمن إذ ما تحشر الأمم
والحوض قد خصك الله الكريم به ... يوما عليه جميع الخلق تزدحم
تسقى لمن شئت يا خير الأنام وكم ... قوم لعظم الشقاء والبعد قد حرموا
صلى عليك إله العرش ما طلعت ... شمس وحن إليك الضال والسلم(٣) .

---

(١) التذكرة للقرطبى : ٨٦ .
(٢) نفس المصدر : ١١٠ .
(٣) الروض الفائق : ٤٠٧ .

١٧ ـ قال أحد التابعين : كنت جالسا عند ابن عباس رضى الله عنهما فأتاه قوم فقالوا : خرجنا حجاجا ومعنا صاحب لنا حتى انتهينا إلى حى ذات الصفاح فمات فهيأنا له ، ثم انطلقنا فحفرنا له قبرا ولحدا فإذا نحن بثعبان أسود قد ملأ اللحد ، فتركناه وحفرنا له مكانا آخر ، فإذا نحن بثعبان آخر قد ملأ اللحد ، فتركناه وحفرنا له ثالثا ، فإذا نحن بثعبان مثله فتركناه وأتيناك .

فقال ابن عباس رضى الله عنهما : ذاك العمل الذى كان يعمله ، انطلقوا فادفنوه فى بعضها ، فو الله لو حفرتم الأرض كلها لوجدتموه فيها ، فأخبروا قومه ـ قال : فانطلقنا فدفناه فى بعضها ، فلما رجعنا أتينا أهله بمتاع له كان معنا ، فقلنا لامرأته : ما كان له من عمل ؟ قالت : كان تاجرًا يغش الناس ويخون الأمانة (١) .

١٨ ـ قال عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ لبعض جلسائه : يا فلان لقد أرقت الليلة أتفكر فى القبر وساكنه ، وإنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به . . ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ، ويجرى فيه الصديد ، وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان . . بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب ـ قال : ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه (٢) .

١٩ ـ يروى أن فارسا مر بغلام فسأله : يا غلام أين العمران ؟ فقال له : اصعد الشرف ، فصعد فأشرف على مقبرة ، فقال : هذا الغلام ! إما جاهل أو حكيم ، فرجع إليه فقال له : سألتك عن العمران فدللتنى على المقابر ! !

فقال الغلام : إنى رأيت أهل تلك ينقلبون إلى هذه ، ولم أر أحدا ينقلب من هذه إلى تلك وإنما ينقلب من الخراب إلى العمران ، ولو سألتنى عما يواريك وفرسك لدللتك . . ثم أنشد :

القبر باب وكل الناس داخلـه	يا ويح عمرى بعد الموت ما الدار
الدار جنة خلد إن عملت بما	يرضى الإله ، وإن خالفت فالنـار
هما داران ما للمرئ غيرهمـا	فانظر لنفسك أى الدار تختـــار

(١) تنبيه الغافلين : ٢٧ .

(٢) إحياء علوم الدين : ٤ / ٥٧٣ .

*** ومن أجمل ما روى فى هذا المعنى من أشعار :**

هى القناعة لا تبغى بها بــــدلا   فيها النعيم وفيها راحـــة البدن
وانظر لمن حوى الدنيا بأجمعها   هل راح منها بغير القطن والكفن

وقال آخر :

ضعوا خدى على لحدى ضعـــوه   ومن عفر التراب فـــــوسدوه
وشقوا عنه أكفانـــــــا رقاقـا   وفى الرمس البعيد فـــــغيبوه
فلو أبصـــرتموه إذ تقـــضت   صبيحة ثالث أنـــــكرتمـــوه
وقد سالـــــت نواظر مقلتيه   على وجناته وانفض فـــــوه
وناداه النـدا : هـــــذا فـلان   هلموا فانظروا هــــل تـعرفوه
حبيبكم وجاركـــم العـــــزيز   تقادم عـــهده فنســـيتموه

وقال آخر:

أيـهـا الـواقـف اعــتبارا بـقـبـرى   استمع إلى قول عظمى الرميـم
أودعونى بطن الضريح وخافـــوا   من ذنوبى وآيسوا من نعيــــم
قلت : لا تجزعوا علىّ فإنـــــــى   حسن الظن بالرب الرحـــيم
ودعونى بما اكتسبت رهيــــــنا   فأنا قادم على مولى كريـــــم

وقال آخر :

أرى أهل القصور إذا أمـيتوا   بنوا فوق المقابر بالصخـــور
أبوا إلا مباهاة وفـــــــخرا   على الفقراء حتى فى القبور
لعمرك لو كشفت الترب عنهم   فما تدرى الغنى من الفــقير
ولا الجلد المباشر ثوب صـوف   من الجلد المباشر للحريـــــر
إذا أكل الثرى هذا وهــــذا   فما فضل الغنى على الفقيـــر ؟

وقال آخر :

وإذا وليت أمور قوم لــــيلة   فاعلم بأنك بعـدها مسئول
وإذا حملت إلى القبور جـنازة   فاعلم بأنك بعدها محمول
يا صاحب القبر المنقش سطحه   ولعله مــــن تحته مغلول

وقال آخر :

مشيناها خطى كتبت علينا   ومن كتبت علـيه خطى مشاها

وأرزاق لـــنا متفرقات فمـــن لـم تأته منا أتاها
ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت فى أرض سواها

وقال آخر :

قف بالقبور وقل على ساحاتها من منكم المغمور فى ظلماتها
ومن المكرم منكم فى قعرها قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذى العيون فواحد لا يستبين الفضل فى درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن تصف الحقائق بعضا من حالاتها
أما المطيع فنازل فى روضة يفضى إلى ما شاء من دوحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلب فى حفرة يأوى إلى حياتها
وعقارب تسعى إليه فروحه فى شدة التعذيب من لدغاتها

وقال آخر :

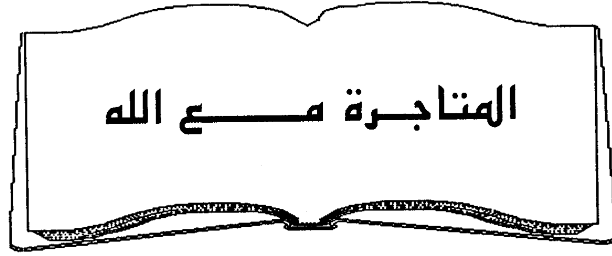
عجبت للإنسان فى فخره وهو غـدا فى قبره يقبر
ما بال من أولـه نطفة وجيفة آخره . . يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر

وقال آخر :

عجبت لجـازع ، باك مصـاب بأهل ، أو حميم ذى اكتئاب
شقيق الجيب ، داعى الويل جهلا كأن الموت كالشىء العجـاب
وسوى اللـه فيه الخلق حتى نبى الله منه لم يحـاب
لـه ملك ينادى كل يـوم لدوا للموت وابنوا للخـراب

* * *

الباب التاسع عشر :



١ ـ لما نزل قول الله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال أبو الدحداح ـ رضى الله عنه ـ : يا رسول الله ، إن الله يريد منا القرض ؟ قال : « نعم يا أبا الدحداح » قال : أرنا يدك ـ قال ـ فناوله يده ، قال : قد أقرضت ربى حائطى ـ وحائطه فيه ستمائة نخلة ـ فجاء يمشى حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعيالها ، فنادى : « يا أم الدحداح » قالت : لبيك ، قال : « اخرجى فقد أقرضته ربى » (١) ـ وفى رواية ـ : «قال : اخرجى من الحائط فإنى بعته بنخلة فى الجنة ، فقالت : ربح البيع ، أو كلمة تشبهها » (٢) .

٢ ـ عن عمر رضى الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ يوما أن نتصدق ، ووافق ذلك مالاً عندى ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر رضى الله عنه إن سبقته يوما ، فجئت بنصف مالى ، فقال رسول الله ﷺ : « ما أبقيت لأهلك ؟ » قلت : أبقيت لهم . قال : « ما أبقيت لهم ؟ » قلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده . فقال : « يا أبا بكر ، ما أبقيت إلى أهلك ؟ » قال : أبقيت لهم الله ورسوله . قلت : لا أسبقه إلى شىء أبدا (٣) .

٣ ـ روى أن أحد الصحابة مرض على عهد النبى ﷺ ، فسأل عنه يوما . فقيل

---

(١) رواه أبو يعلى والطبرانى ورجالهما ثقات ورجال أبى يعلى رجال الصحيح . . كذا فى حياة الصحابة : ٢/ ٢٥٤.

(٢) رواه أحمد والطبرانى ورجالهما رجال الصحيح . . كذا فى الإصابة : ٤ / ٩٥ .

(٣) أخرجه أبو داود والترمذى ، وقال : حسن صحيح ، والدارمى والحاكم والبيهقى . . وغيرهم « حياة الصحابة : ٢ / ٢٤٧ » .

له : إنه انتقل إلى رحمة الله . . فقال عليه الصلاة والسلام : « ألم يقل شيئا ؟ » فقيل له : إنه حين أحس بالموت قال : ليتها كانت كثيرة . . ليتها كانت الجديدة . . ليته كان كاملا . . فلم ندر ماذا يعنى بذلك . . فقال الرسول ﷺ : « كان هذا الصحابى يسعى ذات يوم جمعة مهرولا إلى المسجد فوجد فى الطريق رجلا ضريرا وليس معه من يقوده إلى المسجد فأخذ بيده . . وعند الموت رأى ثواب ذلك ـ أى الخطوات ـ فقال : ليتها كانت كثيرة ، وكان يسعى لصلاة الصبح فى يوم اشتد برده فوجد رجلا فى الطريق يكاد أن يقتله البرد ، وكان يلبس حلتين ـ جلبابين ـ إحداهما جديدة والأخرى قديمة ، فأعطى الرجل القديمة ، وعند الموت رأى ثواب ذلك فقال : ليتها كانت الجديدة، وفى أحد الأيام رجع إلى داره فسأل امرأته عما لديها من طعام ، فقدمت له رغيفا من خبز الشعير ، فلما هم بتناوله إذا بطارق يطرق الباب ويقول : إنى جائع ، فأعطاه نصف الرغيف ، وعند الموت رأى ثواب ذلك فقال : ليته كان كاملا » (١) .

٤ ـ فى يوم من الأيام جاء إلى عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ ألف بعير محملة بالتمر والزيت والزبيب فجاءه تجار الجملة وقالوا له: نزيدك الدرهم درهمين يا عثمان ؟

فقال عثمان بن عفان : بعتها بأكثر من هذا ، فقالوا : نزيدك الدرهم بخمسة ؟

فقال لهم : لقد زادنى غيركم الدرهم بعشرة . . لقد بعتها لله ولرسوله ، والحسنة بعشر أمثالها ثم تصدق بهم على فقراء المسلمين (٢) .

٥ ـ قال السدى : كان شريكان فى بنى إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر ، فافترقا على ستة آلاف دينار ، لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار ، ثم افترقا فمكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا ، فقال الكافر للمؤمن : ما صنعت فى مالك ؟ أضربت به شيئا ، أتجرت به فى شىء ؟

قال له المؤمن : لا فما صنعت أنت ؟ فقال : اشتريت به أرضا ونخلا وثمارا بألف دينار ـ قال ـ فقال له المؤمن: أو فعلت ؟ قال : نعم . فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلى ، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم

---

(١) من وصايا الرسول : ١ / ٣١٩ وذكره هكذا دون إسناد .

(٢) أنيس المؤمنين : ٣١ .

قال : اللهم إن فلانا ـ يعنى شريكه الكافر ـ اشترى أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا بألف دينار ثم يموت غدا ويتركها ، اللهم إنى اشتريت منك بهذه الألف دينار أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا فى الجنة ـ قال ـ ثم أصبح فقسمها فى المساكين ـ قال ـ ثم مكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا ، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن : ما صنعت فى مالك أضربت به فى شىء ؟ أتجرت به فى شىء ؟ قال : لا . قال : فما صنعت أنت ؟ قال : كانت ضيعتى « مزرعتى» قد اشتد علىَّ مؤنتها فاشتريت رقيقا ـ عبيدا ـ بألف دينار يقومون لى فيها ، ويعملون لى فيها ، فقال له المؤمن أو فعلت ؟ قال : نعم ـ قال ـ فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلى ، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال : اللهم إن فلانا ـ يعنى شريكه الكافر ـ اشترى رقيقا من رقيق الدنيا بألف دينار يموت غدا فيتركهم أو يموتون فيتركوه . اللهم إنى اشتريت منك بهذه الألف دينار رقيقا فى الجنة ـ قال : ـ ثم أصبح فقسمها فى المساكين .

قال : ثم مكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا ، فقال الكافر للمؤمن : ما صنعت فى مالك ؟ أضربت به فى شىء ؟ أتجرت به فى شىء ؟ قال : لا . فما صنعت أنت ؟ قال : كان أمرى كله قد تم إلا شيئا واحدا فلانة قد مات عنها زوجها فأقرضتها ألف دينار فجاءتنى بها ومثلها معها ، فقال له المؤمن : أو فعلت ؟ قال : نعم .

قال : فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلى ، فلما انصرف أخذ الألف دينار الباقية فوضعها بين يديه وقال : اللهم إن فلانا ـ يعنى شريكه الكافر ـ تزوج زوجة من أزواج الدنيا بألف دينار ، فيموت غدا فيتركها أو تموت غدا فتتركه ، اللهم وإنى أخطب إليك بهذه الألف دينار حوراء عيناء فى الجنة ـ قال:ـ ثم أصبح فقسمها بين المساكين .

ـ قال : ـ فبقى المؤمن ليس عنده شىء فخرج شريكه الكافر وهو راكب فلما رآه عرفه فوقف عليه وسلم وصافحه ، ثم قال له : ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت ؟ قال: بلى ، قال : وهذه حالى وهذه حالك ؟ قال المشرك : أخبرنى ما صنعت فى مالك ؟ قال : أقرضته . قال : من ؟ قال : الملىء الوفى . قال : من ؟ قال : الله ربى ـ قال ـ فانتزع يده من يده ثم قال : ﴿ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ . أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ [الصافات: ٥٢ ، ٥٣]؟ قال السدى: محاسبون ـ قال: ـ فانطلق

الكافر وتركه ، فلما رآه المؤمن وليس يلوى عليه رجع وتركه ، وجعل يعيش المؤمن فى شدة من الزمن ، ويعيش الكافر فى رخاء من الزمان .

قال : فإذا كان يوم القيامة وأدخل الله تعالى المؤمن الجنة يمر فإذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار فيقول : لمن هذا ؟ فقال : هذا لك ، فيقول : يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملى أن أثاب بمثل هذا ؟ ـ قال : ـ ثم يمر فإذا هو برقيق لا تحصى عدتهم ، فيقول : لمن هذا ؟ فيقال : هؤلاء لك ـ فيقول : يا سبحان الله . . أو بلغ من فضل عملى أن أثاب بمثل هذا ؟ ـ قال ـ ثم يمر فإذا هو من ياقوتة حمراء مجوفة فيها حوراء عيناء ، فيقول: لمن هذه ؟ فيقال : هذه لك . فيقول : يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملى أن أثاب بمثل هذا ؟

قال : ثم يذكر المؤمن من شريكه الكافر فيقول : ﴿ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ [الصافات: ٥٢ـ ٥٣] .

ـ قال : ـ فالجنة عالية والنار هاوية . ـ قال ـ فيريه الله تعالى شريكه فى وسط الجحيم من بين أهل النار ، فإذا رآه المؤمن عرفه ، فيقول : ﴿ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الصافات : ٥٦ ـ ٦٠] ـ قال ـ فيتذكر المؤمن ما مر عليه فى الدنيا من شدة فلا يذكر مما مر عليه فى الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت [١] .

٦ ـ ورد أنه كان فى بيت على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ خمس من الأنفس: على ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، والحارس ـ الخادم ـ ولم يذوقوا فى ليلتهم طعاما فباتوا ليلتهم على الطوى ـ الجوع ـ وما أن أصبحوا حتى دفعت فاطمة ردائها إلى على ليبيعه ويقتاتوا بثمنه ، فباعه على رضى الله تعالى عنه بستة دراهم . . وبينما هو فى الطريق إلى بيته لقى جماعة كاد الجوع يقتلهم فآثرهم بالدراهم الستة على نفسه وزوجته وأولاده وأعطاهم إياها . . وما أن تجاوزهم بخطوات حتى أقبل عليه رجل فى يده ناقة، فألقى عليه السلام ثم قال :

يا أبا الحسن ألك فى شراء هذه الناقة ؟ قال على : أجل لو كان معى ثمنها . قال

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم ، وذكره ابن كثير فى تفسير سورة الصافات : ٣ / ١٨١ .

الرجل : خذها نسيئة ـ بثمن مؤجل ـ وأد ثمنها حين يفتح الله عليك . . . قال على: بكم تبيعها قال : بمائة درهم ، فاشتراها على وأخذ بزمامها ، وذهب ، فقابله رجل آخر فقال له أتبيع هذه الناقة يا أبا الحسن ؟ قال : نعم. . قال : بكم اشتريتها ؟ قال : بمائة درهم .

فقال له الرجل : أنا أشتريها منك بربح ستين درهما ، فباعها له بعد أن دفع الرجل إليه المائة والستين درهما . . ثم ذهب بعد ذلك قاصدا بيته ، فلقيه الرجل الأول فقال لعلى : أين الناقة يا أبا الحسن ؟ قال : قد بعتها . قال : فأعطنى حقى إذن . . فدفع إليه المائة وبقى معه الستون .

ثم هرول إلى بيته وصب الدراهم فى حجر السيدة فاطمة الزهراء وقص عليها القصة قائلا : تاجرت مع الله بستة دراهم فأعطانى ستين . . لكل درهم عشرة دراهم

قالت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها : لا نأكل من هذا المال حتى نعرض الأمر على رسول الله ﷺ ، فأقبلا على رسول الله ﷺ وأخبراه بالقصة . . فابتسم صلوات الله وسلامه عليه ثم قال : « أبشر يا على . . تاجرت مع الله فأربحك . . فالبائع جبريل . . والمشترى ميكائيل ، والناقة مركب فاطمة فى الجنة » ثم قال : « يا على أعطيت ثلاثا لم يعطها غيرك . . لك زوجة سيدة أهل الجنة ، وولداك سيدا شباب أهل الجنة ، ولك صهر هو سيد المرسلين فاشكر الله على ما أعطاك ، واحمده فيما أولاك» (١).

٧ ـ كما روى أن عليا كرم الله وجهه بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام ، أخاف أن يكون الله قد أهاننى (٢) .

*** ومن أجمل ما روى فى هذا المعنى من أشعار :**

ما أحسن الجود فى الدنيا وفى الدين	وأقبح البخل فيمن صيغ من طين
ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا	لا بارك الله فى دنيا بلا ديـــــن

ـ كان الإمام على وفاطمة ـ رضى الله عنهما ـ يأكلان ، فدخل مسكين يطلب طعاما، فوضع علىٌّ اللقمة من يده ، وقال :

(١) من وصايا الرسول : ١ / ٣١٧ .

(٢) إحياء علوم الدين : ٢ / ٣١٤ .

فاطم ذات المجد واليقين يابنت خير الناس أجمعين
أما ترين البائس المسكين قد قام بالباب لــه حنين
يشكو إلينا جائع حزيـن كـل امـرئ بكسـبه رهين

فقالت فاطمة رضى الله عنها :

أمرك سمعا يا ابن عم طاعة ما فى لؤم ولا وضاعــــة
أطعمه ولا أبالى الســاعة أرجو إذا أشبعت ذا مـجاعة
أن ألحق الأخيار والجماعـة وأدخل الخلد ، ولى شفاعة [1] .

ـ كما قال على رضى الله عنه فى يتيم جاء يطلب رزقا ، وقد وضع اللقمة من يده:

فاطم بنت السيد الكريم بنـــت نبى خلقه عظيم
قد جاءنا الله بذى اليتيـم من يرحم اليوم فهو رحيم
موعده فى جنة النعيـم حرمها اللـــه على اللئيـم

فقالت فاطمة رضى الله عنها :

إنى أعطيه ولا أبالى وأوثر الله على عيالى
أمسوا جياعا وهم أشبالى [2] .

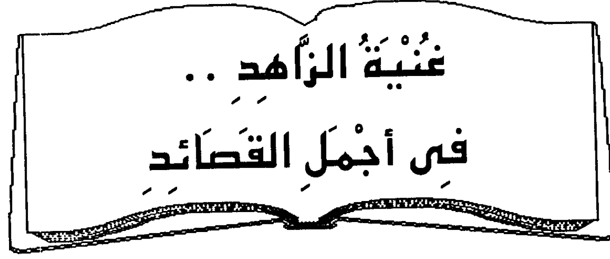
وقال آخر :

رأيت الناس قد مالوا لمن فى بيته المـــال
ومن لم يكن له مـال فعنه الناس قد مـالوا
رأيت الناس قد ذهبوا لمن فى بيته الذهـــب
ومن لم يكن له ذهب فعنه الناس قد ذهبوا
رأيت الناس منفضـــة لمن فى بيته الفضـــة
ومن لم يكن له فضـة فعنه الناس منفـضة

★ ★ ★

(١ ، ٢) ديوان الإمام على .

الباب العشرون :



قصيدة : « رحيل » والتى نسبت إلى زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ، ونسبت فى بعض الكتب إلى غيره .

ليس الغريب غريب الشام واليمن ... إن الغريب غريب اللحد والكفن
إن الغريب له حق لغربته ... على المقيمين فى الأوطان والسكن
لا تنهرن غريباً حال غربته ... فالدهر ينهره بالذل والمحن
سفرى بعيد وزادى لن يبلغنى ... وقوتى ضعفت والموت يطلبنى
ولى بقايا ذنوب لست أعلمها ... الله يعلمها فى السر والعلن
ما أحلم الله عنى حين امهلنى ... وقد تماديت فى ذنبى ويسترنى
تمر ساعات أيامى بلا ندم ... ولا بكاء ولا خوف ولا حزن
أنا الذى أغلق الأبواب مجتهداً ... على المعاصى وعين الله تنظرنى
يا ذلة كتبت فى غفلة ذهبت ... يا حسرة بقيت فى القلب تحرقنى
دعنى أنوح على نفسى وأندبها ... واقطع الدهر بالتذكير والحزن
دع عنك عذلى يا من كان يعذلنى ... لو كنت تعلم ما بى كنت تعذرنى
دعنى أسح دموعاً لا انقطاع لها ... فهل عسى عفرة منها تخلصنى؟

* * * * * *

كأننى بين كل الأهل منطرحاً ... على الفراش وأيديهم تقلبنى
وقد تجمع حولى من ينوح ومن ... يبكى علىَّ وينعانى ويندبنى
وقد أتوا بطبيب كى يعالجنى ... ولم أر الطب هذا اليوم ينفعنى
واشتد نزعى وصار الموت يجذبها ... من كل عرق بلا رفق ولا هون

واستخرج الروح منى فى تغرغرها وصار ريقى مريراً حين غرغرنى
وغمضونى وراح الكل وانصرفوا بعد الإياس وجدوا فى شرى الكفن
وقام من كان أحب الناس فى عجلٍ نحو المغسل يأتينى يغسلنى
وقال يا قوم نبغى غاسلاً حذقاً حراً اديباً أريباً عارفا فطنِ
فجاءنى رجل منهم فجردنى من الثياب وأعرانى وأفردنى
وأودعونى على الألواح منطرحاً وصار فوقى خرير الماء ينظفنى
وأسكب الماء من فوقى وغسلنى غسلاً ثلاثاً ونادى القوم بالكفن
والبسونى ثياباً لا كمام لها وصار زادى حنوطى حين حنطنى
وأخرجونى من الدنيا فوا أسفاه على رحيل بلا زاد يبلغنى
وحملونى على الأعناق أربعة من الرجال وخلفى من يشيعنى
وقدمونى إلى المحراب وانصرفوا خلف الإمام فصلى ثم ودعنى
صلوا على صلاة لا ركوع لها ولا سجود لعل الله يرحمنى
وأنزلونى فى قبرى على مهل وقدموا واحداً منهم كى يلحدنى
وكشف الثوب عن وجهى لينظرنى فأسكب الدمع من عينيه أغرقنى
وقام محتدماً بالعزم مشتملاً وصفف اللبن من فوقى ثم فارقنى
وقال هيلوا عليه التراب واغتنموا حسن الثواب من الرحمن ذى المننِ

* * * * * *

فى ظلمة القبر لا أم هناك ولا أب شفيق ولا أخ يُؤَنِّسنى
وهالنى صورة فى العين إذ نظرت من هول مطلع ما قد كان أفزعنى
من منكر ونكير ما أقول لهم قد هالنى أمرهم جداً فأدهشنى
وأقعدونى وجدوا فى مسائلتى مالى سواك إلهى من يخلصنى
فامنن علىَّ بعفو منك يا أملى فإننى موثق بالذنب مرتهن
تقاسم الأهل ما لى بعدما انصرفوا وصار وزرى على ظهرى فأثقلنى
واستبدلت زوجتى بعلاً لها بدلى وحكَّمته على الأموال والسكن
وصيرت ولدى عبداً ليخدمها وصار مالى حلاً لهم بلا زمن

* * * * * *

فلا تغرنك الدنيا وزينتها وانظر إلى فعلها فى الأهل والوطن
وانظر إلى من حوى الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن
خذ القناعة من دنياك وارض بها لولم يكن لك إلا راحة البدن
يا زارع الخير تحصد بعده ثمراً يا زارع الشرْ موقوف على الوهن
يا نفس كفى عن العصيان واكتسبى فعلاً جميلاً لعل الله يرحمنى
يا نفس توبى واعملى حسناً عسى تجازين بعد الموت بالحسن
ثم الصلاة على المختار سيدنا ما وضأ البرق فى شام وفى يمن

* * * * * *

نونية البستى

للشاعر على بن محمد البستى أبو الفتح ، ولد فى مدينة « بست » بأفغانستان، توفى سنة ٣٦٠ هجرية ، وقصيدته هذه تعد من عيون الشعر العربى الممزوج بالحكمة والزهد .

زيادة المرئ فى دنياه نقصانُ ... وربحه غير محض الخير خسرانُ
وكل وجدان حظ لا ثبات له ... فإن معناه فى التحقيق فقدانُ
يا عامراً لخراب الدهر مجتهداً ... تالله هل لخراب الدهر عمرانُ
ويا حريصاً على الأموال يجمعها ... أنسيت أن سرور المال أحزانُ
زع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها ... فصفوها كدر ، والوصل هجرانُ
وأرع سمعك أمثالاً أفصلها ... كما يفصل ياقوت ومرجانُ

* * * * * *

إذا جفاك خليل كنت تألفه ... فاطلب سواه ، فكل الناس إخوانُ
وإن نبت بك أوطان نشأت بها ... فارحل فكل بلاد الله أوطانُ
والصادق البر فى الدنيا مسيلمةٌ ... والأحمق الغر فى النعماء لقمانُ
فأكيس الناس من فى كيسه كِسَرٌ ... لا من يُمدُ له فى الفضل ميدانُ
الناس هضب شمام حيث ميسرة ... لكنهم حيث مال المالُ أغصانُ
كنا نرى أنما الإحسان مكرمة ... فاليوم من لا يضر الناس .. محسانُ

* * * * * *

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان
وإن أساء مسيء فليكن لك فى ... عروض زلته صفح وغفران
وكن على الدهر معواناً لذى أمل ... يرجو نداك ، فإن الحر معوانُ
واشدد يديك بحبل الدين معتصماً ... فإنه الركن .. إن خانتك أركانُ
من يتق الله يحمد فى عواقبه ... ويكفه شر من عزوا ومن هانوا

من استعان بغير الله فى طلب ... فإن ناصره عجز ، وخذلانُ
من كان للخير مناعاً ، فليس له ... على الحقيقة إخوان ، وأخدان
من جاد بالمال ، مال الناس قاطبة ... إليه ، والمال للإنسان فتانُ
من سالم الناس يسلم من غوائلهم ... وعاش وهو قرير العين جذلانُ
من كان للعقل سلطان عليه .. غدا ... وما على نفسه للحرص سلطان
من مد طرفاً بفرط الجهل نحو هوى ... أغضى على الحق يوماً . .وهو خزيانُ
من عاشر الناس لاقى منهم نصباً ... لأن سوسهم بغى وعدوانُ
ومن يفتش عن الإخوان .. يقْلِهِمُ ... فجل إخوان هذا العصر خوَّان
من استشار صروف الدهر قام له ... على الحقيقة طبع الدهر برهان

* * * * * *

من يزرع الشر يحصد فى عواقبه ... ندامة ، ولحصد الزرع إبان
من استنام إلى الأشرار ، نام وفى ... قميصه منهم صلٌّ وثعبانُ
كن ريق البشر إن الحر همته ... صحيفة وعليها البشر عنوانُ
ورافق الرفق فى كل الأمور ، فلم ... يندم رفيق ، ولم يذممه إنسانُ
ولا يغرك حظ جره خرق ... فالخرق هدم ، ورفق المرئ بنيانُ
أحسن إذا كان إمكان ومقدرة ... فلن يدوم على الإنسان إمكانُ
والروض يزدان بالنور فاغمة ... فالحر بالأصل والإحسان يزدانُ
صن حر وجهك ، لا تهتك غلائله ... فكل حُرٌّ لحر الوجه صوانُ
وإن لقيت عدوا ، فالقه أبداً ... والوجه بالبشر والإشراق غضانُ
خذها سوائر أمثال مهذبة ... فيها لمن يبتغى التبيان تبيانُ
ما ضر حسانها ، والطبع صائغها ... إن لم يقلها قريع الشعر .. حسانُ

* * * * * *

البـــردة (١)

القصيدة التى أعجبت الرسول ﷺ

أنشد الشاعر (كعب بن زهير) هذه القصيدة بين يدى الرسول ﷺ ليمدحه بها ، وقد طرب ـ عليه الصلاة والسلام ـ لسماعها فخلع بردته الشريفة استحساناً وإعجاباً وألقاها على الشاعر ، فاشتهرت بالبردة .

وتتكون من (٥٩) بيتاً اخترنا بعضها لعدم الإطالة ، وقد راعينا ترقيم البيت الذى اخترناه ؛ ليعرف القارئ رقمه فى القصيدة .

يقول الشاعر فى مطلعها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبولُ ... متيم إثرها لم يفد مكبولُ
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ... لا يشتكى قصر منها ولا طولُ

ثم يقول :

تسعى الوشاة جنابيها وقولهم ... إنك يا ابن أبى سلمى لمقتولُ
وقال كل خليل كنت آمله ... لا ألهينك إنى عنك مشغولُ
فقلت خلوا سبيلى لا أبا لكمو ... فكل ما قدر الرحمن مفعولُ
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوماً على آلة حدباء محمولُ
أنبئت أن رسول الله أوعدنى ... والعفو عند رسول الله مأمولُ
مهلاً هداك الذى أعطاك نافلة الـ ... قرآن فيها مواعيظ وتفصيلُ
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم ... أذنب ولو كثرت فى الأقاويلُ

ثم يقول فى نهاية قصيدته :

إن الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلولُ

---

(١) نشرت فى مجلة « أخبار الأدب » عدد ٩/ تاريخ ١٢ سبتمبر ١٩٩٣م .

في عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيلُ
شم العرانين أبطال لبوسهم من نسج داؤد فى الهيجا سرابيلُ
بيض سوابغ قد شكت لها حلق كأنها حلق القفعاء مجدولُ
لا يفرحون إذا نالت رماحهم قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا
يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التنابيلُ
لا يقع الطعن إلا فى نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليلُ

* * * * * *

فهرس الجزء الأول